الكاتب الفلسطيني

د. أحمد أبو مطر

العدد "١٠" تشرين أول "أكتوبر" ١٩٧٩



الكاتب الفلسطيني

فصلية عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين

العدد ١٠، تشرين الأول ١٩٧٩

رئيس التحرير
ناجي علوش

نائب رئيس التحرير
رشاد ابو شاور

المشرف الفني
حسيب الجاسم

أمانة التحرير
حنا مقبل
يحيى يخلف
هاني مندس
جميل هلال
عبد القادر ياسين

المستشارون : عبد الكريم الكرمي ، إحسان عباس ، محمود درويش ، معين بسيسو ، بسام ابو شريف ، ناصيف عواد ، علي اسحق ، خالد ابو خالد ، د. سعيد حمود ، معن بشور .

المحتويات

الاشتراكات السنوية

٣٠ ليرة لبنانية في لبنان وسوريا
٦٠ ليرة لبنانية في بقية الأقطار العربية
١٠٠ ليرة لبنانية في اقطار العالم .
١٥٠ ليرة لبنانية للمؤسسات .

كلمة الكاتب

المثقفون الفلسطينيون والحركة السياسية

تدفق المثقفون الوطنيون الفلسطينيون على المقاومة الفلسطينية الراهنة ، بمجرد أن نهضت من بين حطام هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ السوداء .

وأكد هؤلاء المثقفون بأنهم ليسوا ببغاوات ، ولا هم الوتر المتراخي في الحركة السياسية الفلسطينية . فناضلوا ، وبذلوا ، وضحوا ، حتى كانت مذبحة أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، ومنها بدأ خط المثقفين الصاعد في الهبوط ، وبدأت نسبتهم في صفوف منظمات المقاومة في الانحسار . واتسمت علاقتهم بالحركة السياسية الفلسطينية بالتوتر والاهتزاز . وسمعنا عن عشرات المثقفين الوطنيين الفلسطينيين يغادرون خنادق الثورة الى المانيا الغربية وكندا والولايات المتحدة الامريكية وعمان والأمارات ... الخ .

وليس في الأمر ما يثير الاستهجان ... إذ أن المثقف الوطني يصاب بالقرف من تراكم الاحباطات . وهذا لا يعني أنه لم يحاول ، بل حاول وفشل ، مرات ومرات ، وأخيرا قرر الافلات .

وليس سرا ان المقاومة الفلسطينية تعاني من أمراض الثورات ، ولكن بشكل مضاعف ، ربما بسبب الافتقاد الى الأرض والنظرية ، مما يفسح المجال لبعض سلبيات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة ، حيث يتنخى الناصحون المخلصون .

والمثقف الوطني هو الأرهف حسا ، الأسرع تأثرا بما يدور هنا ، لذا فرد فعله يأتي أسرع من غيره من الفئات والطبقات الاجتماعية . ولعل مما يزيد في ألم المثقف إحساسه بأنه يراد له بأن يكون جزءا من

« الديكور » ، أو أن يتحول الى رقم في اللعبة ، أو مسمار في الآلة . ويزيد في عذابه تلك المحاولات التي تجري للتكفير والهجرة .

على أن الصورة ليست الى هذا الحد من السواد ، فلا شك ان التضحيات لم تذهب هدرا ، فشعبنا انتقل من الخيام الى الخنادق ، والمقاومة الفلسطينية هي نقطة النور الأشد إضاءة في حلكة الوطن العربي الراهنة . وشعبنا ألف السلاح ، وغدا من الصعوبة بمكان إعادة عقارب الساعة الى الوراء ، حين كان الفلسطيني بلا هوية . وقضيتنا تبوأت مركزا مرموقا في العالم ، والتأييد لها يتسع ، يوما بعد يوم ، وأصبح يشار إلى أبو عمار ، اليوم ، بالبنان ، من بين قادة حركات التحرر في العالم ... وبجهود المخلصين يمكن لهذه الانتصارات أن تتضاعف ، ويجرى توظيفها للوصول الى هدفنا الاستراتيجي في التحرير وبناء فلسطين المستقلة الديمقراطية . وبغياب هذه الجهود فان هذه الانتصارات معرضه للانتكاس .

ومع ذلك ، فدور المثقف لا ينحصر في التلقي ، بل يتعداه الى التصحيح ومجابهة السلبيات والأخطاء ، وعدم الاستسلام اليها ، أو الانهزام أمامها ، أو تجنب « التلوث » بآثار القتال ضدها . فالثورة « النظيفة » لم تولد في أي بقعة من العالم ، بعد ، وعلى المثقفين الوطنيين ان يتضافروا من أجل دحر غول السلبيات ، الذي يهدد وجود المقاومة نفسه ، وليس وجود المثقف فحسب .

والهجرة ترجح كفة سلبيات المقاومة ، وتضعف مقاومتها ... والأمر المطروح هو إنقاذ المقاومة وليس الانقاذ الذاتي .

وتحية للذين غادرونا هذا الشهر ... شاعرنا الكبير ، محمود درويش ، والمربي التقدمي ، الدكتور سعيد حمود . وأملنا أن لا تطول غيبتهما . ففلسطين هي ، أولا وأخيرا ، لنا ، ونحن لها .

عبد القادر ياسين

دراسة في اهداف سياسة «المواجهة الحضارية مع اسرائيل» ... وافكارها

دكتور حمزه المصري

« لماذا لا نعامل الاسرائيليين كما نعامل الفرنسيين والانجليز » .

سيديسين

مدير مركز الدراسات الاستراتيجية بجريدة الاهرام

« لا اعتقد ان اسرائيل المعاصرة قد اكتسبت ارضا عالمية في الفن التشكيلي اكثر مما كسبنا » .

الدكتور لويس عوض

«... نحن لنا تاريخ في التعاون مع اليهود في مصر » .

الدكتور مرسي سعد الدين

رئيس هيئة الاستعلامات المصرية

« العقلية اليهودية سوف تنظر الى شعب مصر كسوق » .

الدكتور محمد عبد الصمد زعيمه

مدرس الادب العبري ــ جامعة القاهرة

في ظل سياسة « التطبيع » ، عقدت في مركز **الدراسات الاستراتيجية بجريدة الاهرام** ، ندوة حضرها عدد من المفكرين الصهاينة ونظرائهم من المصريين ، وذلك في النصف الثاني من شهر حزيران (يونيو) الفائت ، لدراسة « **الأسس الحضارية المشتركة** » وبعد انفضاضها ، امسكت صحيفة **الأهرام** « شبه الرسمية » بالخيط ، وتابعت خط الندوة . فأفردت صفحتها الثقافية لاستجواب لضيف

من وجوه ثقافة المرحلة ، تحت عنوان مثير : « **مصر ومعركة التحدي الحضاري مع اسرائيل** » ، قبل عرض ومناقشة اهم الافكار التي وردت في هذه السلسلة ، سنجتهد في تحليل أهداف السياسة الاعلامية لما يسمى في مصر الآن « **معركة التحدي الحضاري مع اسرائيل** » .

ــ ٢ ــ

أهداف السياسة الاعلامية لما يسمى في مصر الآن ب ــ معركة التحدي الحضاري مع إسرائيل :

نعتقد انه لا قيمة تذكر لمناقشة الأفكار التي يسمح بنشرها في مصر الآن بمعزل عن تحليل وتحديد أهداف السياسة الاعلامية ، التي يشرف على تخطيطها ، الآن ، **منصور حسن** . [وكيل بيوتات العطور وانوات التجميل الفرنسية] وزير الدولة الحالي ، ومسؤول الاعلام ، والناطق الرسمي باسم الحزب الوطني الديمقراطي .

فما دام كل ما يجب ان يكتب ، وما لا يجب ان ينشر ، يبدأ وينتهي عند السيد/منصور ، فلا يجوز ان ننشغل بالجدل عن فهم السياسة .

لماذا تروج السياسة الاعلامية لمعركة تحدي حضاري مع اسرائيل ؟

في اعتقادنا هناك اهداف خمسة أساسية لهذه السياسة الاعلامية تتمثل في الآتي :

١ ــ استنفار لاستمرار الاستثنائية :

لا شك أن حالة الحرب مع إسرائيل كانت تضيف خصوصية جديدة لطابع نظام الحكم في مصر سمحت دائما للسلطة بفرض اوضاع استثنائية كان انعكاسها في الواقع يؤدي الى مسألتين :

أ ــ تعطيل وتقييد العديد من الحريات السياسية والديمقراطية وفرض حالة الطوارىء ، مع ما يستتبعها من قوانين استثنائية ، وقضاء استثنائي و... الخ .

ب ــ المسألة الثانية تمثلت في فرض اعباء اقتصادية جسيمة على الطبقات الشعبية المصرية اوصلت فقراءها الى حافة المجاعة .

كانت هذه الجماهير « تقبل » تبعات الأوضاع الاستثنائية المترتبة على حالة الحرب ، مشترطة جدية المواجهة واستمرارها . لكن في فترات التراخي العسكري كان الشعب المصري يسارع باعلان تمرده على الأوضاع الاستثنائية رافعا مطالبه السياسية والاقتصادية ، والتي كانت دائما مقرونة بوجهها الوطني ، [هذا ما حدث في انتفاضة شباط (فبراير) ١٩٦٨ ، احتجاجا على المحاكمات الهزلية لقيادات سلاح الطيران ، وما حدث في انتفاضات الطلاب في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٢ ، احتجاجا على تأجيل عام الحسم وضبابية الرؤية عند القيادة .]

بعد اكتوبر تفككت حالة الحرب [اجتماعات الخيمة ١٠١ ، رحلات **كيسنجر المكوكية** ، **الفصل** الأول والثاني للقوات في سيناء] . وتصدعت بالتالي الأعمدة التي ارتكزت عليها وضعية الظروف الاستثنائية ، ولم تعد مقبولة ولا مبررة ، فتصاعدت تمردات الجماهير المصرية وهباتها [في يناير ١٩٧٥ ، انطلقت مظاهرات عمال حلوان تهتف يا بطل العبور شعبك من غير فطور ، وتبعتها اعتصامات عمال المحلة الكبرى ، وشبرا الخيمة ، اضراب عمال هيئة النقل العام ... حتى الهبة الشعبية العامة في ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧] .

ان ادراك **السادات** لخطر انكفاء حالة الحرب على الأوضاع الداخلية هو الذي يفسر حملته الثرثارة عن معركة البناء ومعركة الأمن الغذائي والكسائي .. والاسكاني .. الخ ويفسر تصريحاته باطلاق النار على كل من يجروء على التظاهر [خطابه في جامعة اسيوط] وحله لمجلس الشعب ، واقصاء المعارضة الوطنية منه .

هذا الى جانب الاستنفار الدائم للجيش بدعوى معركة على الحدود الليبية ، وحماية منابع نهر النيل في السودان ، ومواجهة خطر الشيوعية عند قابوس في الخليج . في ضوء هذا الفهم تأتي السياسة الاعلامية الجديدة التي تنفخ في « استمرار المعركة » خصوصا في اعقاب فشل الحملة الاعلامية التي سبقتها ، وترافقت مع مباحثات السلام وتوقيع المعاهدة ، والتي كانت تعد الشعب المصري بالمن والسلوى الامريكي الصنع . كان لا بد من وضع خطوط سياسة اعلامية جديدة تمتص الآثار السلبية والجانبية لحملة الرخاء الموعود ، وتستمر في الدعاية لاستمرار المواجهة وما يترتب عليها من استمرار الاستثنائية .

٢ ــ موازنة الهزة الانقلابية في الوجدان المصري :

ما تزال روافد الفكر المصري ـ القومي والديني واليساري والليبرالي ـ تلتقي عند نقطة معاداة الصهيونية . وكانت السياسة الرسمية ، لربع قرن مضى أو يزيد ، ومناهج التربية والتعليم ، ووسائل الاعلام والدعاية ، وفئات الكتب والدراسات ... الخ تعكس ، بدرجة أو بأخرى ، موقفاً معاديا للفكرة الصهيونية ، والكيان الاسرائيلي . ان ادراك مكونات الوجودان القومي للمصريين ، وطبيعته تساعدنا على فهم الهزة التي يواجهها الآن ، وتدفع بعضه للشلل ، والبعض للتمحور حول الذات .. لكن التطرف يبقى هو نقطة الجذب الأقصى والتيار الغالب الذي يتشكل في رحم المجتمع المصري الآن . لهذا فان السياسة الاعلامية تلح على الايحاء باستمرار التحدي والمواجهة مع اسرائيل ، في محاولة لاعادة التوازن الداخلي المختل في وجدان مصر القومي ، وامتصاص الخطر الآتي من الاتجاه الصاعد للتطرف .

٣ ـ تطمينات للبرجوازية الوطنية في مصر :

ثالث اهداف السياسة الاعلامية الجديدة في مصر يسعى لطمأنة اجنحة وطبقات وطنية من البرجوازية المصرية بدأت تدرك وتقاوم اخطار السياسة الاقتصادية « للسلام » وهجمة الاحتكارات الامريكية على السوق القومي ، والصناعة الوطنية والتجارة الداخلية والخارجية ... وعلى الاوعية المصرفية والادخارية .. الخ ..

ويمكننا ان نستعرض بعض الامثلة الدالة على موقف هذه الاجنحة الوطنية ، ومنها :

ـ توصيات المؤتمر السادس للجمعية المصرية للادارة المالية ، التي تصدرتها التوصية بـ « تحقيق التوازن بين الاستيراد للأغراض الانتاجية والاستيراد للاغراض الاستهلاكية ومراعاة الانتاج المحلي في ذلك » .

ـ حركة معارضة تقودها البرجوازية الوطنية داخل مجلس الشعب السابق [٣٨٤ سؤال واستجواب وطلب احاطة حتى ١٥ أيار (مايو) ٧٨] ، انصبت اغلبها على الدفاع عن الاقتصاد القومي والاستقلال الاقتصادي .

ـ تقرير البنك المركزي المصري عن آخر الربع الأول من عام ١٩٧٨ ، ويشير الى نسبة الودائع لدى البنوك الأجنبية الى جملة الاصول بلغت حوالي ٨٠٪ ، بينما لم تتجاوز نسبة الاستثمارات ١٠٪ من نفس الأجمالي .

ـ حملة « **الأهرام الاقتصادي** » ، المجلة التي تعبر عن افكار قطاعات هامة من الراسمالية المصرية عن اوضاع البنوك الأجنبية : « انها تجمع الودائع ، وتحصل العمولات البنكية ، وتفتح الاعتمادات لتمويل واردات مصر من السلع الاستهلاكية في معظمها ، وتحقق ارباحا كبيرة في سوق النقد الأجنبي ، ولتجنى في هدوء ثمرة انفتاحنا المصرفي في آخر كل عام » . وتطالب المجلة « بضرورة هيمنة الدولة على مؤسسات التمويل والاستثمار ، وانشاء الصندوق القومي للاستثمار كبنك وطني للتنمية ، وزيادة نماء المصرفية الوطنية ، كبنوك الدولة ، او كأغلبية مشاركة في البنوك المشتركة » .

الأهرام الاقتصادي ، العدد ٥٧٠ ، ١٩٧٩/٥/١٥ .

ـ وتدافع قيادات القطاع العام عن مشاريعها في مواجهة هجمة الاحتكارات الاجنبية

● في مجال التجارة الخارجية والدولية : نقرأ مقالا **لمحمود عبد القادر صبور** رئيس شركة مصر للاستيراد والتصدير جاء فيه ما يلي « يجب ان نأخذ بزمام المبادرة أمام التحديات الاقتصادية ، خصوصا في مجال تجارة مصر الخارجية والدولية ، وقد يعترضنا قيام منافسة سلعية بين مصر واسرائيل ومحاولة الدخول في أسواقنا اقتصاديا وماليا ..

الأخبار ، ١٩٧٩/٧/٣ .

ـ وهناك ايضا على سبيل المثال دراسة للمهندس **ابراهيم محمد شركس** ، نائب رئيس الهيئة العامة للتصنيع حول « الآثار الخطرة على الاقتصاد المصري لمشروع العامرية » ، وهو مشروع مجمع صناعي للغزل والنسيج تحاول الاحتكارات الامريكية اقامته في منطقة العامرية ويهدد باغلاق مصانع الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى (٣٥ الف عامل) وشركة نسيج كفر الدوار وصباغي البيضا (٢٠ الف عامل) ...

الأهرام الاقتصادي ، عدد ٥٦٢ ، ١٩٧٩/١/١٥ .

ـ كما تصدى الدكتور **احمد ابو اسماعيل** ، وهو وزير مالية سابق ، لمهاجمة نفس المشروع .

ـ والدكتور **محمد شامل اباظه** ، عضو مجلس الشعب ، قال عن المشروع في المجلس انه « سيقوم على انقاض صناعة الغزل والنسيج القائمة في مصر » .

وعشرات من المواقف التي تواجه بها البرجوازية الوطنية اخطار السياسة الاقتصادية « للسلام » . لهذا فان السياسة الاعلامية التي تروج لمعركة التحدي الحضاري مع اسرائيل تتوجه ، في الاساس ، لهذه القطاعات الهامة ، لتطمينها على استمرار المنافسة والقدرة على مواجهة الاحتكارات الأجنبية ، والأهم من ذلك محاولة المحافظة على المواقع السياسية لهذه الطبقات ، ومنع استقطابها في المواقع المعارضة لسياسات النظام .

٤ ـ تبرير التسارع في خطوات التطبيع ... ونتائجه :

لا يخلو يوم يمر على مصر الآن من خبر زيارة وفد أو شخصية اسرائيلية لمصر . ولا يمكن ، بالقطع ، اتخاذ بعض التعبيرات التي رافقت هذه الزيارات تعميمها على الموقف الشعبي كله . ان الدعاية الصهيونية تضخم بشدة هذه الدعاية ، وهي التي تقف وراء الاخراج المسرحي لها [**عزرا وايزمان** ، يتجول في خان الخليلي ، **موشي دايان ، يطالب برفع الحراسة وترك الجماهير تقترب منه** ، **شارون** يصر على ركوب الترام مع الجماهير ، **مناحيم بيغن** ينزل من سيارته ليصافح المارة ، ويتحدث معهم ، ويصرح بان انصاره في مصر اكثر منهم في اسرائيل] .. والحقيقة ان تسارع خطوات التطبيع ، وسياسة التقارب « الزائد عن حده » تستفز مشاعر الشعب المصري ، لهذا كان لا بد للسياسة الاعلامية ان تروج لمفهوم المواجهة الحضارية ، لتبرر ما يحدث وتمتص غضبة الشعب بدعوى متطلبات معرفة ملامح اسرائيل عن قرب .

٥ ـ استبعاد الحرب والايحاء بوسائل اخرى لحل الصراع :

تحمل السياسة الاعلامية الحالية ـ التي تروج لمسألة التحدي الحضاري ـ مظهر من مظاهر المغالطة والتعمية الاستبدالية لطبيعة الصراع بين مصر والأمة العربية ، وبين الكيان الاسرائيلي في فلسطين ، **فهي** تحاول ، من ناحية ، إيهام الشعب المصري باستمرار الصراع ، ولكن بوسائل اخرى ، وتحاول ، من ناحية اخرى ، أن تطرح « حلا » للصراع ، قائم على المنافسة السلمية وكسب رهان التحدي الحضاري .

خلاصة القول : يمكن القول : اجمالا ، ان السياسة الاعلامية الحالية في مصر ، والتي تروج لمعركة تحدي حضاري مع اسرائيل ، تهدف الى استمرار فرض الأوضاع الاستثنائية على الجماهير المصرية بوجهيها ، الاقتصادي والسياسي ، وهي تحاول موازنة الهزة الانقلابية الحاصلة في المشاعر والوجدان القومي للمصريين ، كما تسعى لتطمين البرجوازية والراسمالية المصرية الوطنية على مصالحها ، وتدرا عنها تخوفها المشروع من « منافسة » الاحتكارات الامريكية ، وهي تحاول ، بالاكثر ، المحافظة على مواقع هذه الطبقات وعدم استقطابها لاتجاه المعارضة ، وتحاول هذه السياسة الاعلامية ايضا ، ان تبرز عملية التسارع في سياسة التطبيع ، وامتصاص ردة الفعل الشعبية ، وهي اخيرا تشدد على استبعاد الحرب والعمل العسكري كوسيلة لحل الصراع بين الأمة العربية والكيان الصهيوني ، والايحاء باستمرار الصراع بالوسائل السلمية ، وفي اطار التحدي الحضاري .

* * *

في الجزء التالي نناقش اهم الأفكار التي وردت في السلسلة التي نشرتها الأهرام تحت عنوان « مصر ومعركة التحدي الحضاري مع إسرائيل » .

١ ـ سيد يسين :

يشغل « **سيد يسين** » الآن منصب مدير **مركز الدراسات الاستراتيجية بجريدة الأهرام** ، وكان هذا المركز قد انشىء ، اصلا ، لانجاز مهمتي دراسة التاريخ المصري المعاصر ، ودراسة الكيان الاسرائيلي . ويقود يسين ، الآن ، عمليات التغيير الداخلية اللازمة لتحويل المركز عن مهامه الوطنية . نشر مقال سيد يسين ، في **الأهرام** ، بتاريخ ٧٩/٧/٣ ، تحت عنوان « مواجهة حضارية مع اسرائيل لماذا » . وسوف نناقش ثلاثة افكار اساسية وردت في المقال :

ـ ١ ـ

في بداية المقال يتذكر **سيد يسين** عبارة قالها **الدكتور**

احمد عبد الرحمن مصطفى ، رئيس قسم التاريخ الحديث بكلية الأداب ـ جامعة عين شمس ، العبارة تقول :

« **ما معناه ان قدرات جيل كامل من الساسة المصريين ضاعت في خضم التفاوض مع الانجليز** » .

وهنا يحاول **سيد يسين** سحب هذه العبارة على الحاضر ، وهي بفرض صحتها تؤدي الى النتائج المنطقية ، التي توصل اليها نفس هذا الجيل من الساسة المصريين ، فاعلن **مصطفى النحاس** ، في ٨ أكتوبر ١٩٥١ ، الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، مسقطا بذلك عهدا كاملا من اعتماد المفاوضة والتحكيم الدولي اسلوبا وحيدا لطلب الاستقلال .

لكن **سيد يسين** يستنتج شيئا اخر تماما غير وقائع التاريخ المعاصر وحقائقه ، فهو يرى « **ان الساسة المصريين قد حرمت مصر من ملكاتهم الذهنية الفذة ، التي كان يمكن ان يستثمروها في التفكير الابداعي لتحديث المجتمع المصري ، ونقله من التخلف الى العصرية** » .

فاذا كان **سيد يسين** يثق في الاستاذ الدكتور **احمد عبد الرحيم مصطفى** ، الذي نقل عنه العبارة السابقة ، والتي بنى عليها استنتاجه ، فاننا نقرأ له عبارة مثبتة في احدى كتب الدكتور وتقول : « **من هنا بدا ان الغرب المسيحي قد بدأ حربا صليبية جديدة ، وان تكن هذه المرة قد اتخذت شكلا اقتصاديا امبرياليا . هدفها اخضاع العالم الاسلامي لاوروبا** » .

مصر والمسألة المصرية ـ دار المعارف ، ص ٥٥ .

ماذا يمكن ان يستنتج **سيد يسين** من هذه العبارة ؟ وهل يمكن مواجهة هذه الأوضاع بالانصراف الى « التفكير الابداعي لتحديث المجتمع المصري » ، حسب زعمه . فضلا عن خطأ الاستنتاج والطرح ، الذي ورد بالمقال ، تأتي مسألة اللاامكانية . فاذا كانت التنمية والتحديث غير ممكنة الآن بالنسبة للدول المتخلفة ، ومصر منها للأسف ، بحكم سيطرة الاحتكارات الامبريالية على السوق العالمي والتجارة الدولية . ونظرا لطبيعة التبادل اللامتكافىء في العلاقات الاقتصادية ، وتفاوت معدلات التنمية بين ما اصطلح على تسميته بالدول الصناعية المتقدمة والدول المتخلفة ، فان هذه التنمية والتحديث تصبح مستحيلة في ظل ظروف الاحتلال الأجنبي المباشر وفرض شروط التبعية ، كما كان حادثا في مصر تحت الاحتلال البريطاني . كانت رؤوس الأموال الأجنبية تمتلك ٦٠٪ من مجموع ميزانية المؤسسات المالية في مصر ، وكانت رؤوس الأموال الوطنية لا تمثل اكثر من ٢٣٪ منها ، كان نصيب الأجانب في المناصب الرئيسية للشركات المساهمة لا يقل عن ٥٠ ـ ٦٠٪ ، وكانت هناك ١١,٥٪ من جملة هذه الشركات جميع اعضاء مجالس ادارتها من الاجانب . والمحاولات القليلة للرأسمالية المصرية « **مجموعة بنك مصر** » للانفراد بسوقها القومي ، حطمتها التدخلات المباشرة للاحتكارات الاجنبية ، وفرضت عليها فرضا مشاركتها (احتكارات **برادفورد وايرز**) لاقامة **شركة مصر للغزول والنسيج صباغي البيضا** ، « واحتكارات **يونج ماكوكس ، كينجز** » التي اجبرت الرأسمالية المصرية على مشاركتها واقتسام السوق معها .

هل كان ممكنا في ظل هذه الشروط « تحديث المجتمع المصري ونقله من التخلف الى العصرية » حسب الاستنتاجات التي توصل اليها سيد يسين .

واذا أضفنا لمشكلات مصر الاقتصادية المعاصرة [توقف التنمية ، العجز المتزايد في ميزان المدفوعات ، التضخم ، الانفجار السكاني ، تراكم الديون بكل أنواعها ... وفوائدها .. الخ] اذا اضفنا الى كل ذلك .. وجود الكيان الاسرائيلي على بوابة مصر الشرقية تتزايد باستمرار آلته العسكرية ، والاعباء الاقتصادية الجديدة المترتبة على دور الشرطي الافريقي والخليجي الذي تحاول مصر ان تلعبه ، لادركنا على الفور عدم توافر امكانية ما لأحداث تنمية حقيقية من اي نوع كانت ، اشتراكية .. او حتى رأسمالية ، على حد سواء .

ـ ٢ ـ

يقول « **سيد يسين** » في جزء تال من مقاله :

« **لماذا لا نعاملهم (يقصد الاسرائيليين) كما نعامل الفرنسيين والانجليز مثلا** » .

● على ما في هذا المنطق من تبسيط مخل ، وقياس مغلوط وخاطىء ... فيبدو انه ولا بد من التأكيد على الحقائق التي يعتقد البعض انها صارت قديمة ، وغير صالحة .

اسرائيل ليست فرنسا ، ولا انجلترا ، لانها تجمع عنصري واستعماري اغتصب ارضا عربية هي

فلسطين ، وشرد شعبها العربي الفلسطيني ، وهي نتاج الامبريالية الاحتكارية ، وتربطها علاقة عضوية بها ، وهدفها تكريس تجزئة الأمة العربية ، وحماية المصالح الامبريالية ، وفرض التخلف والتبعية على الشعب العربي .

لكن ما نريد ان نؤكد عليه هنا ليقرأه كل من يفكر بطريقة المفكر الاستراتيجي المصري ، **سيد يسين ، هو ان وجود الكيان الاسرائيلي يستهدف مصر وشعبها ، بشكل اساسي ومحدد .**

دعونا ، الآن ، نقرأ جملة قديمة ، لكنها حية ومعاصرة : كتب هذه العبارة دبلوماسي نمساوي عام ١٨٣٠ « **ان بريطانيا لا يمكن ان تتمنى لمصر ان تكون قوية ومستقلة عنها . ان وضع مصر الجغرافي وواقع كون التجارة مع الهند تشكل ، اساسا ، عظمة بريطانيا ، قد جعلت بكل تأكيد هذه الدولة الكبيرة ، حريصة على ابقاء مصر مقاطعة ضعيفة وعاجزة** » .

أ ـ بروكتش [من كتاب أوروبا ومصير الشرق العربي ، ص ٣٠]

اما البريطانيون انفسهم فقد كانوا اكثر صراحة ومباشرة حين افصحوا عن سياستهم ازاء مصر كما سنقرأ .

يقول **اللورد كيرزون** « **فلسطين هي خط الدفاع الاستراتيجي بالنسبة لمصر ، وانه اذا وجب ان ندافع عن القناة في المستقبل ، وهي الجهة الضعيفة في مصر ، فسيتم ذلك من جهة فلسطين** » وهو ذاته ما أكده « هربرت صويل اول مندوب سامي بريطاني لفلسطين .

طارق البشري . **الحركة السياسية في مصر . ص ٢٣٥ .**

فاذا اضفنا لهذه العبارات الحية ثلاث حقائق ، ارتبطت وتوافقت مع الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني ، في ١٩٤٨ ، ادركنا صاب الرأي القائل بان مصر وشعبها هو المستهدف . هذه الحقائق هي :

١ ـ الحركة الشعبية المصرية كانت تهدد في اعوام ٤٦ ـ ٤٨ بتجاوز القصر ، والأحزاب ، وكانت تعرض الاحتلال البريطاني لخطر فادح ، ونجاح اي حركة شعبية في مصر سيجد مردوده سريعا في انفجار المنطقة العربية كلها ضد الاستعمار .

٢ ـ ان بريطانيا العظمى كانت في طريقها لأن تفقد زعامتها للعالم الرأسمالي . او هي كانت قد فقدتها بالفعل من سنوات ، وانها استشعرت التهديدات القوية من امكانية قيام نظام وطني قوي في مصر يهدد مصالحها الاقتصادية الحيوية ، وأرادت ، عن طريق دورها في تأسيس الكيان الصهيوني ، ابقاء مصر ضعيفة بفعل التهديدات المباشرة لها من اتجاه الشرق ، وان تستخدم صنيعتها في العدوان على مصر ، او العودة مرة اخرى اذا ما سنحت لها الفرصة لذلك وعلى النحو الذي شهدته مصر عام ١٩٥٦ .

٣ ـ اما الولايات المتحدة الامريكية فقد احتلت مكانة بريطانيا في تزعم العالم الرأسمالي ، واصبحت وريثه الشرعي الوحيد ، وتزايدت مصالحها الاقتصادية الحيوية في العالم العربي ، وكان اسهامها في تأسيس هذا الكيان العنصري على حدود مصر تكريسا لتجزئة الامة العربية ، والحيلولة بين مصر وقيامها بدورها القائد الوحدوي في المنطقة ، كانت أمريكا تحقق استراتيجية الامبريالية ، التي لم تتغير ، في ابقاء مصر منهكة ، مهددة ، وضعيفة .

ان احدا ، في مصر لا يمكن ، مهما كانت الجهود المبذولة في ذلك ، ان يعامل الاسرائيليين كما يعامل الفرنسيين ، او الانجليز ، الا اذا كان على شاكلة السيد يسين .

ـ ٣ ـ

بين المناظرة الوهم .. والاشكالات الابدية :

بقي في مقالة السيد يسين جزء ثالث يحتاج لتعليق . انه يرفض « **ان نستدرج الى مناظرة وهمية عنوانها المواجهة الحضارية مع اسرائيل** » .

لكن هذه العبارة ، التي تبدو منطقية ومتعقلة ، لا تملك الوقوف على قدميها لحظة واحدة ، او السير الى الامام خطوة اخرى ، فالمفكر الاستراتيجي الذي يرفض المناظرة الوهمية يستبدلها ، حسب قوله : « **بقائمة زاخرة بالاشكالات الابدية** » ومنها ، على حد قوله : « **هل انتهينا الى ان الاشتراكية الديمقراطية هي ايديولوجيتنا الجديدة** » ، « **هل استقر العلم كقيمة اساسية في مجتمعنا** » ، و « **هل انتهينا الى حل في المشكلة التي تطل برأسها ، بين الحين والحين ، عن**

وضع الدين في مجتمعنا » .

وهكذا ، فان **السيد يسين** ، الذي يرفض المناظرة لانها وهم ، يعود بعد سطر واحد ليتاجر فيها ، وليطرح علينا اشكالاتها الأبدية .

*** * ***

الدكتور لويس عوض .

في ١٩٧٩/٦/٢٥ نشر **الدكتور لويس عوض** رأيه في نفس سلسلة « **مصر ومعركة التحدي الحضاري مع اسرائيل** » ، على صفحات جريدة الأهرام .

جاء مقال الدكتور موجزاً ومختصراً . ويبدو ان العلة في ذلك مرجعها وضوح موقف الدكتور وآرائه . **فلويس عوض** له افكاره التي تحاول رد مصر الى الحضارة الفرعونية ، ويصنف الفتح العربي الاسلامي باعتباره غزوة اجنبية ، ويدعو لانتماء مصري للثقافة الأوروبية ... الخ .

الى جانب ظاهرة الأيجاز في مقال **لويس عوض** ، سوف نلحظ ، على الفور ، ركاكة وتفكك الأفكار التي يطرحها ، وهذا نموذج منها : انه يتحدث ، مثلا ، عن تكافؤ في قدرات عزف الموسيقى الكلاسيك بين فناني مصر وإسرائيل !! ويضيف : « **هناك نموذج اخر في الفنون التشكيلية** » ويستطرد ... « **أنا لا أعتقد أن اسرائيل المعاصرة .. قد اكتسبت ارضا عالمية في الفن التشكيلي اكثر مما كسبنا** » .

ثم ان الدكتور ينبهنا الى كشف هام « **هو ان هناك في تراث الحضارة الغربية عددا كبيرا من العبقريات في الأدب والفلسفة من أصل يهودي ، مثل : برجسون في الفلسفة ، وإينشتاين في العلوم الطبيعية ، وكافكا في الأدب ، وغيرهم .. غير اننا يجب ان نطرح كل هؤلاء لانهم دخلوا التراث الانساني بوصفهم نتاجا للقومية الفرنسية ، والألمانية والروسية ... الخ ، وليس بوصفهم نتاجا للقومية الاسرائيلية** » .

تحدث الدكتور ، اذن ، عن اصطلاحين : « اسرائيل المعاصرة » ، « القومية الاسرائيلية » ، قبل ان نناقش هذه الأفكار ، نحيل القارىء على عبارة جاءت في نفس مقال الدكتور تقول العبارة ان الدكتور يرفض « **الخزعبلات المتوارثة منذ العصور الوسطى** » .

ولويس عوض الذي رفض ، مرارا ، اعتبار الدين الاسلامي من عناصر القومية العربية ، يعود اليوم ليقبل ، طواعية ، ان تكون « اليهودية » ، حتى ولو كانت وحدها ، سندا لما أسماه بـ « القومية الاسرائيلية » . ان اسرائيل هذا التجمع العنصري المصطنع ، هو تجمع لا قومي في أساسه ، ويستند الى بعض نصوص من التوراة مختلف ، حتى الآن ، على تفسيرها . والدكتور الذي يرفض الخزعبلات يقول بالحرف « في اسرائيل المعاصرة » فهل يا ترى يعتقد **لويس عوض** في المزاعم التاريخية للصهاينة ، وحديثهم عن ارض الميعاد في فلسطين ، وهل هو ممن يعتقدون باسرائيل « تاريخية » ومعاصرة . اذا كان الدكتور يرفض الخزعبلات ، على حد قوله ، فما معنى قوله اذن « اسرائيل المعاصرة » . ولعل الدكتور يوافقنا على ان ٣٠ عاما هي كل عمر « اسرائيل المعاصرة !! » تصلح لأن تسمى تاريخا ، تؤسس فيه او عليه حضارة ما .

فاذا فتشنا عن عناصر ومقومات أخرى للقومية الاسرائيلية المزعومة ، وأخذنا اللغة المشتركة مثلا كأحد أهم عناصر ومقومات القومية لما وجدنا لها أثرا . وهاكم مثالين : أحدهما تاريخي ومن مصر بالتحديد ، ويقول : ان الدكتور « **البير موصيري** » وهو يهودي قد اصدر في عام ١٩٢٠ ، ولم تستمر الطبعة العبرية لهذه المجلة وقتا طويلا ، إذ توقفت لعدم الاقبال عليها نظراً لقلة الذين يجيدون اللغة العبرية ، من يهود مصر . اما الطبعة العربية للمجلة فقد استمرت اكثر من اربعة عشر عاما .

أحمد غنيم ، احمد ابو كف . **اليهود والحركة الصهيونية في مصر ، ص ٤٤ .**

والمثال الثاني معاصر ، ففي محاولة لحصر اللغات التي تصدر بها الصحف في اسرائيل نجد انها تشتمل على اللغات الاتية : الانجليزية ، العربية ، الالمانية ، الهنغارية ، والفرنسية ، والبولندية ، اليديشية ، والبلغارية والرومانية الى جانب دوريات تصدر بالاسبانية والفارسية .

اي وحدة في الثقافة تنتج عن هذا الكرنفال اللغوي ، واي مزاج مشترك ، واي تجانس اجتماعي ، اي عادات وتقاليد مشتركة يمكن ان تكون لهذا التجمع الذي تقسم عنصريته ذاتها عناصره الى « اشكنازيم » و « سفارديم » متمايزين تماما ، ويمارس احدهما قهرا اجتماعيا وعنصريا على الآخر ، ويمارس كلاهما

ومعا قهرا عنصريا واجتماعيا وسياسيا على الشعب العربي في فلسطين .

ان خلط الدكتور او غيره بين التحديث والحضارة امر غير مقبول ومردود عليه ، واذا ادركنا ان ظاهرة هذا التجمع العنصري هي نتاج مرحلة متقدمة في تطور الامبريالية التي تعكس ، بالضرورة ، في واجهتها وعلى سطحها فقط بعض المظاهر الأوروبية الحديثة . لكن يبقى هذا التجمع رغم مساحيق التجميل الاوروبية الامريكية على وجهه محكوم بتناقضاته الموضوعية داخله وتناقضه مع حركة التحرر الوطني العربية . وهو باليقين الى التفكك والانهيار .

— ٢ —

الجزء التالي والاخير الذي يحتاج الى تعليق في مقال **الدكتور لويس عوض هو قوله** :

« **لان خلفية مصر التاريخية خلال قرنين جعلت من الثقافة المصرية سلاحا من اسلحة التقدم ، ومانعا حائلا دون عودة مصر الى الوراء كما يريدها البعض** » .

المشكلة هنا اننا لا نعرف على وجه الدقة ما يعنيه **لويس عوض** بمصطلحي « التقدم » الذي يعتز به ، أو « الوراء » الذي يخشى من عودة مصر اليه . **فاذا كان الوراء الذي يعنيه الدكتور هو انتماء مصر العربي** ، فاننا نخالفه الرأي ، ونعتقد ان خلفية مصر التاريخية طوال قرنين من الزمان قد رسخت في الوعي والوجدان المصري حقيقة انتمائها للأمة العربية . وابرزت تلك كحقيقة تاريخية وموضوعية ، وشددت على طبيعة الاختيار الواعي والمصيري لهذا الانتماء العربي .

اما اذا كان « الوراء » هو استمرار الصراع مع الكيان الصهيوني ، فاننا نخالف **لويس عوض** ، مرة اخرى ، الرأي ، بل نؤكد على ان « السلام » لا يغير كثيرا من جوهر الصراع وطبيعته ، لانه قائم موضوعيا ، ومستمر الى ان يحل لصالح الأمة العربية .. شأنه في ذلك شأن كل صراع بين امة ومستعمر مستوطن ، يحسم ، مهما طال زمانه وتأخر ، لصالح الأمة .

لكن ما دام الدكتور لويس عوض لم يفصح صراحة عن طبيعة هذا « الوراء » ، فلا يسعنا هنا إلا ان نؤكد له ان الحاصل في مصر الآن لا يمكن باي معيار ان يكون « تقدم » ، لكنه هذا « الوراء » بعينه وان اختلطت على الدكتور — من فرط تسارع الاحداث — قوانين الحركة واتجاهاتها .

*** * ***

الدكتور مرسي سعد الدين :

كان **مرسي سعد الدين** ، يشغل ، الى وقت قريب ، منصب رئيس **هيئة الاستعلامات المصرية** . وقد نشر مقاله تحت نفس الموضوع ، « **مصر ومعركة التحدي الحضاري مع اسرائيل** » في **جريدة الأهرام** ، بتاريخ ١٩٧٩/٧/١٧ .

— ١ —

لم تسوقفنا كثيرا كلمات **مرسى سعد الدين** حول لقاءاته المشتركة مع الاسرائيليين « **ومشاعر الخوف والرهبة التي كانت تساور الاسرائيليين** » في هذه اللقاءات ، على حد تعبيره .

لكن ما استوقفنا حقا هو عبارته الخطيرة التي قال فيها :

« **ونحن لنا تاريخ في التعاون مع اليهود في مصر** » وخطورة هذه العبارة ليست فقط في تزييفها للتاريخ المصري ، الذي سنكشفه الآن امام الجميع ، وانما خطورتها تنبع من كون هذه العبارة تعبير دقيق عن خط الاعلام المصري الرسمي الذي يحاول ان يسحب مثل هذه العبارة على الحاضر ، ويروج الحديث عن تعاون وحياة اجتماعية مشتركة ، بهدف التمهيد لزحف الصهاينة ، الجدد على مصر .

والحقيقة ، ان تاريخ اليهود في مصر يحتاج منا لدراسة تفصيلية جادة . لكننا هنا سوف نستعرض ، في إيجاز ، حقيقة ما اسماه رئيس هيئة الاستعلامات « بتاريخ التعاون » .

حول تاريخ اليهود في مصر : لم يكن تاريخ اليهود في مصر ، في اي وقت ، تاريخ تعاون ، كما يزعم **مرسي سعد الدين** او غيره . وانما كان تاريخ استغلال وسيطرة من الطائفة اليهودية ، شاركت فيه بل امتازت

به عن كل الطوائف الأجنبية التي كان تاريخها ، هي الاخرى ، مع اليهود هو أبرز مظاهر سيطرة الاحتكارات الأوروبية على السوق المحلي .

فقد عاش في مصر ، حسب احصاءات عام ١٩٢٧ ، نحو ٦٢,٩٥٣ يهودي ، كانوا يسيطرون على اكثر فروع الاقتصاد المصري نشاطاً وحيوية .. وربحا .

فقد احتكروا ، بشكل يكاد يكون كاملا ، تجارة الذهب والمجوهرات ، وتجارة الورق وادوات الطباعة « مؤسسة شندلر » ، كما كانت لهم الاغلبية في اكثر مجالس إدارات البنوك ، الى جانب البنوك اليهودية الخالصة (بنك موصيري) ، بنك (سواريس) ، (الشركة المصرية المالية) .

واشتغلوا بالتسليف والربا والرهونات والسمسرة . (**الفريد كوهين**) ، واحتكروا قسما هاما من تجارة الحاصلات الزراعية والقطن المصري (**جوزيف سلامة**) . وسيطرت عائلات يهودية كاملة على صناعات حيوية في مصر ، كصناعات الحرير والمنسوجات (**عائلة منشه**) وصناعة الحليج والزيوت (**أسرة جوزيف سلامة**) واحتكروا تجارة الأدوات الكهربائية والبطاريات ، ومنتجات البلاستيك (**عائلة شغرمان**) . وكان ٩٩٪ من العاملين في بورصة الأوراق المالية في مصر من اليهود ، وسيطروا على تجارة الاستيراد والتصدير (**اودين جعار**) . وفي فترة من الفترات كان رئيس اتحاد الصناعات المصرية يهودي (**هنري نوس**) . وسكرتير الاتحاد يهودي أيضا (**دكتور ليفي**) وكان امين صندوق الغرفة التجارية يهودي (**حاييم دره**) ، وكان (**ادوين جعار**) رئيسا لجمعية المصدرين بالاسكندرية وأخيراً فان أحدهم ، وهو (**يوسف أصلان قطاوي**) ، قد وصل الى منصب وزير المالية في مصر

النفوذ اليهودي على الصحافة المصرية :

الى جانب هذا الاستغلال وتلك السيطرة الاقتصادية . فقد عمد يهود مصر للسيطرة على الصحافة ووسائل الأعلام ، فاسسوا شركات سينمائية ، واحتكروا تجارة الورق ، وادوات الطباعة ، ومارسوا تاثيرا على الصحف المصرية عن طريق التحكم في شركات الاعلان (**شركة الاعلانات الشرقية**) .

الحماية بالتجنس

تجنس كثير من اليهود في مصر بالجنسيات الأجنبية ، ليتحصنوا وراء قوانين الحماية التي فرضها الاحتلال البريطاني لمصر ، ومارسوا ابشع انواع الاستغلال والسيطرة ، دون ان يكون القانون المصري قادر على ملاحقتهم .

واعتاد يهود مصر الاستعلاء على المصريين ، وعدم الاختلاط بهم ، وكانت لهم احياءهم المغلقة عليهم ، ونواديهم وجمعياتهم الخاصة ، ولم تكن تربط الاغلبية منهم بالشعب المصري الا علاقات العمل القائمة على الاستغلال والمحصورة في دوائره .

ولا نغالي اذا قلنا ان اغلبية من اليهود في مصر كانوا قد دعموا بشدة الفكر الصهيوني ، وروجوا له في أغلب محافلهم الدينية ، وجمعياتهم ، والحديث طويل عن النشاط الصهيوني في اوساط يهود مصر .

الا يحق لنا ، بعد هذا العرض الموجز لنشاط اليهود في مصر ، أن نسأل رئيس هيئة الاستعلامات ، مرسي سعد الدين : أي نوع من التعاون هذا الذي يحدثنا عنه بين المصريين واليهود ؟! ولصلحة من يزيف التاريخ ويروج لهذه الأفكار ؟

ان موقفنا لا ينطلق من عداء لليهود بسبب عقيدتهم الدينية ولكن من مواجهة طبيعة الاستغلال الاقتصادي والطبقي للطائفة التي ربطت نفسها ، دائما ، بالامبريالية البريطانية بالامس وامريكا اليوم .

* * *

الدكتور محمد عبد الصمد زعيمه

او « صهينة مثقف مصري »

هو مدرس الأدب العبري بجامعة القاهرة ونجم صاعد في سماء ثقافة المرحلة بحكم ثقافته الأكاديمية .. وهو ، الى جانب ذلك ، مثال صارخ لـ « صهينة مثقف مصري » .

نشر **الدكتور زعيمة مقاله في الأهرام** ضمن سلسلة « **مصر ومعركة التحدي الحضاري مع اسرائيل** » ، بتاريخ ١٩٧٩/٧/١٧ ، بعنوان (**دور الشخصية في المواجهة الحضارية**) .

ــ ١ ــ

ان مدرس الادب العبري ، الذي طفحت على جلده أعراض الصهينة ، يقرأ علينا ، مباشرة ، من كتاب التاريخ الصهيوني ، ولا يتدخل حتى ولو بالتعليق فيما يزعمون .. فيكتب ... (**لتبدأ منذ نهاية القرن الثامن عشر بوادر ما يسمى بالقومية اليهودية ، ومنذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بدأت افكار اليهود تتطلع نحو «أرض الميعاد »** . انه يخشى ذكر اسم فلسطين ، كانما يتستر مع الصهاينة على جريمتهم . ولنرى كيف يكتب مدرس الأدب العبري عن جريمة اغتصاب فلسطين .. **وكان ان تمكن بعضهم من الهجرة واقامة المستعمرات حتى عام ١٩٤٨ . والذي اعلن فيه دولة اسرائيل »** . بعد ذلك ينتقل الدكتور للحديث عن « **التلاحم الحضاري المرتقب** »كما اسماه هو ، وفي رأيه انه « **سوف يتمخض عن لون خاص من العلاقات الثقافية** » . لكن **محمد عبد الصمد زعيمه** يسترد ذاكرته في نوبة مفاجئة ، ويتذكر انه يكتب لقراء مصريين ، وفي صحيفة مصرية ، فيقول : و« **العقلية اليهودية ــ كما اتنبأ ــ سوف تنظر الى شعب مصر كسوق رائجة للفكر وأمور التجارة** » . لكن غيبوبة التصهين ما تلبث ان تعاوده ، فيقترح لمواجهة هذه العقلية اليهودية ، التي قال انها تنظر الى الشعب المصري كسوق يقترح « **إقامة ما يمكن ان نسميه مهادنة فكرية بين المتخصصين في الدراسات العبرية هنا، وهم من المثقفين،وبين رجالات الفكر اليهودي»** . ومدرس الادب العبري يعتقد ان عباراته هذه غير واضحة فيشرحها لنا ، ويزيدها ايضاحا ، على النحو التالي : « **اعني بذلك التعامل بالدليل والحجة ، الذي يكون من شانه حتما على تجنب هدم عرى الصداقة بين الشعبين والانتقال الى ما يدعمهما .»** . من اين له ذلك الحديث عن عرى صداقة تربط بين الشعب المصري ، والصهاينة ؟

واليكم مثال آخر للهلوسة الفكرية التي طلع بها علينا هذا الدكتور : أنه يشيد بالجامعات المصرية في اثناء نوبة استرداد الذاكرة التي فاجأته ، فيقول « **فنحن على المستوى الثقافي في جامعاتنا خطونا خطوات بعيدة المدى في حين انهم ما زالوا يظنون ان خطواتهم الغربية اكثر حداثة من خطواتنا** » .

لكن حمى التصهين تعود لتطمس ذاكرته فيقول في نفس المقال ، « فلا تزال الدراسة في جامعاتنا سطحية تماماً » .

* * *

هكذا تظهر سريعا نتائج مرحلة « السلام » على الحياة الثقافية في مصر ، فتصيبها بالفصام والازدواجية ، وهذيان الغيبوبة .

اسرائيل والتكامل الاقتصادي العربي

د. عبد الرازق حسن

في خضم العمل العربي لحل مشاكله لتحقيق الوحدة الاقتصادية ، باعتبارها امل الجماهير العربية في النمو والتقدم ، برزت الى السطح ، في الفترة الأخيرة عقبة تهدد ما تم حتى الآن ، وقد تتطلب اعادة النظر في الاستراتيجية العربية لمواجهة هذه العقبة ، حتى لا يضيع ما استنفد من سنوات طويلة من عمر الشعب العربي ، بذلها بمعاناة شديدة ، وتضحيات ضخمة ، ليحقق ما حقق في ظروف بالغة الصعوبة . هذه المشكلة هي الصلح مع اسرائيل ، وقبولها بوضعها وفلسفتها القائمة في الجزء المغتصب من الوطن العربي ، ليس هذا فحسب بل ما يجعل المعاملات معها طبيعية ، في مختلف المجالات اقتصادية وسياسية وثقافية . وحتى ندرك خطورة هذا الأمر قد يكون من الضروري ان نرجع قليلا الى الوراء ، حينما انبت الاستعمار البريطاني بذرة الصهيونية في وطننا العربي بوعد بلفور عام ١٩١٧ باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وذلك في وقت كان العرب يقدمون فيه الضحايا للتخلص من النير التركي .

لم يكن عدد اليهود في فلسطين اكثر من ٨٥,٠٠٠ نسمة في عام ١٩١٤ ، مكونين ١٢,٤٪ من عدد السكان في ذلك الوقت . وقد اخذت بريطانيا نفسها بتوطين اليهود في فلسطين تحت ظل الوصاية متعاونة مع الوكالة الصهيونية ، حتى بلغ عددهم ٥٠٠,٠٠٠ نسمة مكونين ٢٦,٥٪ في عام ١٩٤٧ . ولكنها مكنتهم من مرافق البلاد وسلمتهم قيادها قبل أن تغادرها لتتولى قوى الاستعمار الجديد والصهيونية تغذيتها لتكون بمثابة الهراوة لكل من يقف ضد الاستعمار في استغلاله للمرافق العربية ، أو يحاول استعادة الجهد العربي ، ليعيش الشعب العربي في المستوى الكريم الذي يستحق . ولم تتوقف اسرائيل منذ اقيمت في جزء من فلسطين عام ١٩٤٨ ، عن فرض الارهاب على السكان العرب ، وعن طردهم من أرضهم وديارهم ليخلو لها الأمر كدولة عنصرية مجسمة للتعصب الديني ، الذي يرجع بنا الى عهد محاكم التفتيش في اسبانيا ، وتحالف الاستعمار مع اسرائيل ضد مصر عام ١٩٥٦ لضرب المكاسب الشعبية التي حققتها الحكومة الوطنية فيها ، من تأميم قناة السويس ، والعمل على تكوين جيش عربي مستقل عن السيطرة الاستعمارية واستخدامها مرة اخرى في عام ١٩٦٧ في ضرب القوى المتحررة في البلدان العربية المجاورة ، وابتلاع بقية فلسطين ، والتحكم في المرتفعات السورية ومحاولة جعل قناة السويس هي الحدود الشمالية الشرقية لمصر ، ولما كان ازدراء هذا الجزء من

الوطن العربي ليس بالأمر الهين ، فقد اتجهت سياسة اسرائيل لتفريغ المناطق العربية وابعاد العناصر الوطنية القومية منها ، وغرس المستوطنات في مختلف انحائها ، حتى اذا تمكنت من الأمر اتجهت لتحقيق حلم الصهيونية الأكبر ، وشعارها الذي تنادى به وهو دولة صهيونية من النيل الى الفرات . ومن خلال سياستها في ابتلاع الأراضي العربية ، واضعاف الكيان العربي فيها ، نجد انه بينما كان عدد اليهود في فلسطين المحتلة ١,٨٤٧,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٥٩ مقابل ٣٠٠,٠٠٠ فقط من العرب فان الوضع بعد الاستيلاء على الأجزاء الأخرى من فلسطين وبعض المناطق العربية تحول فأصبح عدد اليهود ٣,١ مليون نسمة وأصبح عدد السكان العرب نصف مليون . وما تحتاجه اسرائيل الآن هو فترة هدوء لتتمكن خلالها من ترويض الأقلية العربية ، والتضييق على من لا يرضيه الأمر فيفر الى الخارج ، وفي نفس الوقت تستمر الدعاية لاستجلاب اعداد اكبر من اليهود لتوطينهم وتدعيم الكيان الصهيوني بهم .

لقد أدركت الدول العربية في مرحلة تخلصها من الاستعمار ان صيانة استقلالها وتنمية مواردها ، ورفع مستوى معيشة مواطنيها لا يتم الا بتجميع قواها وتنسيق امورها ولهذا كان اجتماع اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي في الاسكندرية في سبتمبر/ اكتوبر من عام ١٩٤٤ لتقر مبدأ اقامة جامعة الدول العربية ، لتدعيم الروابط بين البلاد العربية ، وتوجيهها الى ما فيه خيرها وصلاح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانيها وآمالها وانما ذلك يتم استجابة للرأي العام العربي في جميع الأقطار العربية .

وقد نص البروتوكول المشار اليه انه « لا يجوز في أية حال ، اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أية دولة فيها » ، وأفرد البروتوكول بنداً خاصاً بفلسطين ، يكشف عن مدى الاحساس بخطورة ما تتعرض له ، وقبل ان تقوم لاسرائيل قائمة إذ جاء في ذلك البند « ان فلسطين ركن مهم من اركان البلاد العربية وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار في العالم العربي » وتأكيداً لحق الفلسطينيين في الحكم المستقل نص الملحق الخاص بفلسطين في اتفاقية الجامعة العربية على ان يشترك مندوب فلسطين في اعمال مجلسها . ونتيجة للمؤامرات الاستعمارية واقامة اسرائيل واحساس الدول العربية بالخطر الداهم عليها عقدت فيما بينها معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي اشارت فيه ان انشاء مجلس اقتصادي لدراسة وسائل تحقيق النهوض باقتصاديات الدول العربية ، واستثمار مرافقها ، وتسهيل تبادل منتجاتها وتنظيم نشاطها الاقتصادي وتنسيقه ، واكدت المعاهدة على تعهد كل دولة بألا تعقد اي اتفاق دولي يناقضها ، والا تسلك في علاقاتها الدولية مع الدول الأخرى مسلكا يتنافى مع اغراضها .

ولم تنتظر الأمة العربية حتى يهزها عدوانا ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ لتدرك خطورة هذا النبت الخطير في أرضها ، فقد اصدر مجلس الجامعة العربية بتاريخ ١١ ديسمبر عام ١٩٥٤ قراره رقم ٨٤٩ بالقانون الموحد لمقاطعة اسرائيل يقتضي الآتي :

١ ـ يحظر على كل شخص طبيعي او اعتباري ان يعقد بالذات او بالواسطة اتفاقا مع هيئات أو اشخاص مقيمين او منتمين اليها او يعملون لمصلحتها .

٢ ـ يحظر دخول او تبادل او الاتجار في البضائع والسلع والمنتجات الاسرائيلية وكذلك القراطيس المالية أو القيم المنقولة الاسرائيلية .

وتعتبر اسرائيلية السلع المنتجة في اسرائيل او التي دخل في صناعاتها جزء أيا كانت نسبته من منتجات اسرائيل سواء وردت من اسرائيل مباشرة او من طريق غير مباشر .

٣ ـ يجب على المستورد في الحالات التي تبنيها السلطات المختصة تقديم شهادة منشأ موضح به البلد الذي صنعت فيه ، وانه لم يدخل في صناعاتها اية مادة من منتجات اسرائيلية .

٤ ـ تسري احكام المقاطعة على السلع التي تدخل المناطق الحرة ، او تصدر منها ، وكذلك السلع التي تنزل في اراضي : او تعبر عبر اراضيها وتكون برسم اسرائيل او أحد الاشخاص أو الهيئات المقيمة بها .

٥ ـ يحظر عرض البضائع والسلع الاسرائيلية او بيعها او شراؤها او حيازتها ، ويعتبر في حكم البيع كل صفقة تتم على سبيل التبرع او البدل .

كان الهدف من انشاء الجامعة العربية اذن هو لتجميع الطاقات العربية لمواجهة مشاكل النمو والعلاقات الخارجية الدولية ، كما كان الهدف من عقد اتفاقية الدفاع المشترك وانشاء المجلس الاقتصادي هو التعاون وتنسيق امور التنمية والدفاع في مواجهة اسرائيل والدول التي تدفع بها لتكون رأس رمح في الوطن العربي .

واستكمالا للهدف العام من توحيد الطاقات العربية ، عقدت اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية التي نصت على حرية انتقال الاشخاص والأموال والسلع ، والاقامة ، والنقل ، والتملك ، وتنفيذاً لأحكام اتفاقية الوحدة الاقتصادية، اتجه مجلس الوحدة خطوة حاسمة باصدار قرار انشاء السوق العربية المشتركة لضمان تحقيق التكامل بين الأطراف المتعاقدة وتوحيد جهودها لتحقيق افضل الشروط لتنمية ثرواتها ورفع مستوى المعيشة فيها وظروف العمل بها .

وقد كان ارتباط بعض الدول الأجنبية باسرائيل عنصراً هاما في تحديد نوعية العلاقة الاقتصادية التي تقوم بينها ودول مجلس الوحدة ، فقد أشارت مذكرة الحكومة العراقية الى ان دول السوق الأوروبية عدا فرنسا تتخذ مواقف معادية للعرب ومساندة لاسرائيل مما يقتضي تقليص استيراداتها الى اقصى حد من تلك الدول (د/١٢) ، وجاء بتقرير الملحقين التجاريين بشأن التغلغل الاقتصادي لاسرائيل في تركيا وما يقتضيه الأمر من تدعيم العلاقات مع الدولة الأخيرة لتقلل من تعاملها مع الدولة الأولى (د/١٢) . وطلبت سوريا دراسة اتخاذ موقف عربي موحد للوقوف ضد التغلغل الاسرائيلي في كل من يوغوسلافيا واليابان (د/١٤) . وحول العلاقات الاقتصادية والتجارية لدول المجلس ازاء بعض البلدان في ضوء موقفها من اسرائيل قرر المجلس « توثيق العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الدول الاعضاء والدول الصديقة في

المعسكر الاشتراكي والعالم الثالث والدول الاخرى ، واعادة النظر في العلاقات الخارجية للدول الاعضاء وتحويل مستورداتها الى اقصى حد ممكن لا سيما السلع الاستهلاكية والوسطية من الدول التي تساند العدوان الصهيوني وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية بما يحقق استخدام الاقتصاد العربي كسلاح فعال في معركة المصير العربية » (ق ٤٤٩/د ١٤) . وحول هذا الأمر ايضا اتخذ المجلس قراراً بان تقوم اللجنة الاقتصادية الدائمة .. بدراسة اسس ومبادىء السياسة الاقتصادية العربية لمقاومة التغلغل الاسرائيلي في مختلف اسواق العالم .. (ق ٤٧٥/د ١٥) .

ولا يمكن ان نغفل هنا الموقف العربي المشترك الذي اتخذ عقب حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ بايقاف ضخ النفط لمنعه من الوصول الى الدول المساندة الى اسرائيل وما كان لهذا الموقف العربي الموحد من آثار اقتصادية واجتماعية ، وسياسية دعمت المركز العربي ومكنت الدول النفطية من تصحيح اسعار النفط ، وتأميم عملية استخراجه ، ومنحها مركزاً دوليا مرموقاً ومهابا منذ ذلك الوقت .

وقد أدت المقاطعة العربية لاسرائيل والمشروعات والأفراد المتعاملين معها الى احداث اثر واضح في الولايات المتحدة التي تغذي اسرائيل بكل امكانيات البقاء فاتخذت من التشريعات والاجراءات ما يضعف من أثر تلك المقاطعة العربية من المزايا الضريبية التي تمنحها عادة لتشجيع الصادرات ، وذلك بالنسبة للجزء الخاص بصادراتها للدول العربية ، ومع ذلك فقد كانت اكثر الشركات استفادة من الدول العربية هي شركات النفط التي لم تكترث بالخسائر التي تنجم عن هذا التشريع وتجاهله الى حد كبير[١] ، وأصدرت الحكومات المحلية في بعض الولايات الاميركية تشريعات ضد المقاطعة العربية لاسرائيل مثل نيويورك وكاليفورنيا ، وماريلاند ، وماساشوستس ،والنيوى .

وحاولت العناصر الصهيونية ان تدفع بالأمر لاتخاذ مواقف مماثلة في بريطانيا غير انها لم تجد الاستجابة الكافية ، ويبدو ان المقاطعة قد ظهر اثر مفعولها مع نمو المعاملات بين الدول العربية والدول الغربية ولهذا كانت محاولات البحث عن طريق آخر لتثبيت اقدام اسرائيل وفي نفس الوقت عدم المساس بالعلاقات الاقتصادية بين الدول العربية والدول التي يهمها بقاء اسرائيل ولم تكن الدول العربية في تحركها الاقتصادي والسياسي خلال ثلث قرن إلا معبرة عن مطالب الشعب العربي . مدركة للمخاطر التي تحيط به سواء الوافد منها من الخارج . أو الناشىء من زرع دولة استيطانية فيه . وقبول الأمر الواقع بالتعايش مع اسرائيل والتعامل معها كدولة صديقة سيؤدي الى مخاطر بعيدة المدى . لا سيما والوطن العربي في موقع استراتيجي لا يمكن التهوين منه وتحتوي ارضه على النسبة الكبرى من احتياطات الطاقة المحركة والتي تفيض بالرخاء على التجمعات الصناعية المتقدمة . ويهم الدول الاستعمارية ان تكون لها اليد الطولى في أمر الوطن العربي ، واذا كان ليس من السهل عليها التدخل المباشر في اطار التوازن الدولي القائم ، فان وسيلتها لذلك هي اسرائيل التي تدفع اليها سنوياً ببلايين الدولارات ليس للتنمية فحسب ، وانما لبناء قاعدة عسكرية نووية ضاربة في المنطقة ، ولهذا كان رفض

الاعتراف باسرائيل ، وعدم الموافقة على التعايش السلمي معها يتفق مع منطق الامور ، لأن مثل هذا الاعتراف لا يعني في النهاية إلا الموافقة على مبدأ الاغتصاب وهو امر مرفوض في العلاقات الدولية المعاصرة ، لهذا كان لوثيقتي كامب ديفيد التي حاولت رسم اطار السلام في الشرق الأوسط واطار اتفاق معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ردود فعل عنيفة في الوطن العربي أدت الى عقد مؤتمر قمة عربي ببغداد لتدارس الموقف العربي الذي سيترتب على الصلح بين مصر واسرائيل .

وتتلخص اهم البنود غير العسكرية في الوثيقتين في الآتي :

١ ـ انهاء حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل .
٢ ـ اقامة علاقات سلام وتعاون بين اسرائيل والدول العربية المجاورة .
٣ ـ الغاء المقاطعات الاقتصادية .
٤ ـ استكشاف امكانيات التطور الاقتصادي في اطار اتفاقيات السلام .
٥ ـ حرية مرور السفن الاسرائيلية في خليج السويس وقناة السويس واعتبار مضيق تيران وخليج العقبة ممرات دولية امام جميع الدول وحرية المرور البري والطيران فوقها .
٦ ـ انشاء طريق سريع يربط بين سيناء والأردن بالقرب من ايلات .
٧ ـ رفع القيود على حرية انتقال البضائع والاشخاص .
٨ ـ اقامة علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل .
٩ ـ يتمتــع مواطنو كل من الدولتين بحماية القوانين المطبقة في دولتهم .

١٠ ـ يطلب من مجلس الأمن المصادقة على معاهدات السلام ومن الاعضاء الدائمين في المجلس التوقيع عليها ، ومطابقة سياستهم وتصرفاتهم مع التعهدات التي يحتويها اطار وثيقة السلام(١) .

ويتضح من ذلك ان هاتين الوثيقتين تناقضان تماماً ما أخذت الدول العربية نفسها به تجاه اسرائيل . وما رتبت عليه امورها حتى الآن وبقبول مصر لمبدأ الصلح مع اسرائيل ، وجعل العلاقات معها علاقات طبيعية ما يناقض اسس معاهدة الدفاع المشترك وما تبع منها من قرارات المقاطعة لاسرائيل .

ولما كان الأمر يتطلب منذ الآن استظهار النتائج التي تترتب على ابرام معاهدة صلح مع اسرائيل في حدود الاطار العام المشار اليه وانعكاسات ذلك على الوحدة الاقتصادية العربية التي تعد مصر ركناً اساسياً فيها فاننا نبين فيما يلي بعض هذه الآثار والنتائج .

● اتجهت مصر في السنوات الأخيرة للاسراع بالتنمية لمواجهة مشاكلها الاقتصادية الى اصدار قانون تشجيع رأس المال العربي والأجنبي للاستثمار في البلاد وفي حالة وجود علاقات طبيعية بين مصر واسرائيل ، وبناء على اطار اتفاقية السلام فان رأس المال الاسرائيلي قد يفد الى مصر ليعمل مستقلا ، أو بالمشاركة مع رأسمال مصري أو أجنبي وفي هذه الحالة فان المنتج

النهائي المصدر من مصر يصبح ممنوعاً من الدخول الى الدول العربية التي تطبق قرارات المقاطعة .

كما ان السماح بمرور السلع الاسرائيلية عبر الأراضي المصرية يؤدي الى الشك في البضائع المصدرة من مصر الى الدول العربية التي تطلب منها في هذه الحال اثبات ان تلك البضائع ليس مصدرها اسرائيل ، ولم يدخل في صنعها أي مواد مصنعة في اسرائيل وليس لأي اسرائيلي مصلحة فيها .

وتنص قرارات المقاطعة على ضرورة اتخاذ الدول العربية لاجراءات فعالة لعدم تسرب النفط الى اسرائيل واخذ التعهدات الكافية من الشركات المنتجة والمصدرة بضرورة مراعات ذلك ، وتثير اسرائيل في مفاوضاتها مع مصر حقها في المشاركة في النفط الذي استخرجته من سيناء ، أو حقها في شراء حاجتها منه باسعار معينة ، وتعني المشاركة اعتبار النفط المصري المستخرج من هذه المناطق خاضعاً للمقاطعة العربية ولا يجوز التعامل فيه كما تقضي تلك القرارارات بمقاطعة البواخر والبنوك وشركات اعادة التأمين التي تتعامل مع اسرائيل ، ولا تجيز كذلك قرارات المقاطعة مساهمة اي مؤسسة عربية في اصدار قروض طويلة الأجل اذا كان المستفيد فردا أو مؤسسة محظور التعامل معه .

وبالنسبة للأشخاص الطبيعيين ، لا تجيز قرارات مقاطعة اسرائيل السماح لهم بالدخول الى البلاد العربية إذا كانوا يحملون تأشيرات دخول اسرائيلية(١) وفي النهاية تؤدي تطبيقات قرارات المقاطعة الى وضع الاقتصاد المصري في موقف غريب في الدول العربية ، وان الأمانة العامة إذ تشير الى الآثار التي يرتقب ان يحدثهاابرام صلح مع اسرائيل فانها بحكم مسؤولياتها عن متابعة تنفيذ اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية وقرار السوق ستوالي دراسة الآثار المحتملة على ضوء ما يستجد من اوضاع وذلك حرصاً على مسيرة العمل العربي المشترك وتجنباً لأية هزات تعوق مسيرة الوحدة الاقتصادية العربية .

حواشـــي

---

(١) قدرت خسارة هذه الشركات بحوالي ٧٠ مليون دولار في حالة تطبيق القانون في الوقت الذي تصل فيه ارباحها الى حوالي ٧ بليون دولار ، تقدير مكتب مقاطعة اسرائيل ١٠/١٠/١٩٧٧ .
(١) **السياسة الدولية** /اكتوبر ١٩٧٨ .
(١) **المبادىء العامة لمقاطعة اسرائيل** /جامعة الدول العربية/ المكتب الرئيسي، مايو ١٩٧٧ .

في عامها السابع: الجبهة الوطنية الفلسطينية في الداخل تدخل مرحلة نوعية جديدة

ربعي المدهون

بحلول الخامس عشر من تموز هذا العام تكون **الجبهة الوطنية الفلسطينية** في المناطق المحتلة ، قد دخلت عامها السابع ، بعد تطورات نوعية جديدة ، مكنتها من العودة الى الحياة السياسية في المناطق المحتلة ، وقيادة نضال الحركة الجماهيرية ضد الاحتلال ، ومشاريع الحكم الذاتي التصفوي ، ومن اجل الاستقلال الوطني وتقرير المصير .

وكانت **الجبهة الوطنية الفلسطينية** قد تعرضت ، بعد تشكيلها بعام واحد الى سلسلة محاولات استهدفت تعطيل دورها ، وشل فاعليتها ،وحرمانها من متابعة تطوير أوضاعها لتكون التعبير الفعلي عن طموحات شعبنا في امتلاك اداته التنظيمية الفعالة ، وقيادته على مستوى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين، بعد ان احتلت موقعها الطبيعي في قيادة نضال جماهير الداخل ، ومثلت ، على امتداد عام تشكيلها والعام الذي تلاه، « الذراع الضارب **لمنظمة التحرير الفلسطينية** »و« امتدادها الطبيعي في المناطق المحتلة » . في حينها لعبت جملة من المواقف السياسية لبعض القوى الفلسطينية ، التي أحجمت عن مواصلة دعمها المادي والسياسي للجبهة ، وعدد من التغيرات والعوامل التي استجدت ، الدور البارز في تعطيل مسيرة تطور الجبهة ، وفي مقدمة ذلك ــ الانقلاب الابيض الذي تعرضت له صحيفة « **الفجر** » المقدسية ، في نهايات عام ٧٦ ومطلع ٧٧ ، مما افقد **الجبهة الوطنية الفلسطينية** أحد أبرز أدواتها التحريضية والتعبوية ، وحيث لعبت **الفجر** دورا اساسيا في التعبئة والتحريض الجماهيريين ، على امتداد سنوات من الاحتلال للضفة وقطاع غزة ، حتى باتت تعرف « بلسان منظمة التحرير الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة » . هذا في الوقت الذي توقفت فيه أشكال الدعم المادي المختلفة للجبهة ، وما أدى اليه ذلك من نتائج على صعيد تطوير أوضاعها ، وتنشيط دورها داخل المنظمات والبلديات والهيئات الشعبية والنوادي الاجتماعية .

في سياق هذين العاملين ، بقيت الأزمة التكوينية للجبهة على حالها ، إن لم تتراجع عن تشكيلها الأول ، والذي اقتصر ، في حينه ، على تسمية هيئاتها القيادية ، وبالتالي عجزت ، بفعل مجموع العوامل والظروف السابقة الذكر ، عن ترجمة ائتلافها القيادي ، على كافة الأصعدة ، بمعنى ، مد اذرعها وفروعها داخل كافة المؤسسات على اختلاف أدوارها ووظائفها السياسية والاجتماعية ، وعبر انتخاب ممثلي هذه المؤسسات للجبهة الوطنية . الامر الذي سهل عملية التراجع ودفع مسيرة الجبهة خطوات الى الوراء ، حتى لأمكن القول ، الى نصف عام مضى فقط ، انه لم يبق من جسد الجبهة عمليا سوى اسمها ، الذي لم يعد يعنى كثيرا في ظل تصاعد المد الجماهيري واشتداد وتيرة النضال بعد زيارة

السادات للقدس وتوقيع معاهدة كامب ديفيد .

هذه العوامل المستجدة بعد زيارة السادات للقدس ، والتي تطورت على قاعدة مجابهة مشروع الحكم الذاتي التصفوي ، بوصفه الحلقة الأشد خطرا على قضية شعبنا في المرحلة الراهنة ، مهدت لخلق الظروف المواتية لتوحيد الموقف الوطني ككل ومن حول الشعارات المطروحة ، حيث بدأت المناطق المحتلة تشهد المزيد من توحيد المواقف على مستوى المجالس البلدية والنقابات وسائر الهيئات الشعبية والاجتماعية .

الآن ، ومع انتهاء العام السادس لتشكيلها ، دخلت **الجبهة الوطنية** ، ومن بوابة هذه العوامل ، على مستوى النضال الوطني العام ، وتطورات الصراع على أرض الضفة والقطاع ، دخلت مرحلة نوعية جديدة قادت خلالها انتفاضات شعبنا الباسل خلال شهري أيار وحزيران الماضيين ، والتي أعادت احياء **الجبهة الوطنية الفلسطينية** مجددا ، ودفعها الى مقدمة الصراع وقيادته ، وهذه العوامل الممهدة والتي شكلت مناخ عودة الجبهة الى الحياة مجددا ، هي :

النزوع الواسع نحو التنظيم

منذ مطلع العام الماضي ١٩٧٨ ، وحتى الدخول في معركة المجابهة مع معاهدة كمب ديفيد ومشروع بيغن للحكم الذاتي ، بدأت الحركة الجماهيرية في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، رحلة خروجها من اطارات العمل العفوي ، الذي كان الطابع العام لغالبية التحركات الجماهيرية ، التي شهدتها هذه المناطق على امتداد السنوات السابقة وتحديدا منذ عامي ٧٥ ــ ٧٦ ، وهما عامي الركود الفعلي في مسيرة **الجبهة الوطنية** ، واختفاء دورها الفاعل والنشط الذي ميز الفترة الأولى منذ تشكيلها ، وعاد مجددا مع التطورات الأخيرة في المناطق المحتلة ، بعد زيارة **السادات** للقدس في تشرين الثاني ١٩٧٧ وتوقيع معاهدة كمب ديفيد . وعلى قاعدة مجابهة الوقائع الجديدة التي خلقتها زيارة القدس ، ومن ثم توقيع معاهدة كمب ديفيد ، وطرح **بيغن** لمشروعه التصفوي للقضية الوطنية لشعبنا ، ممثلا بمشروع الحكم الذاتي ، منذ ذلك الحين ، عاودت الحركة الجماهيرية ، تدريجيا ، سياق تحركاتها العفوية ، فلم تعد التظاهرات ، والصدامات العنيفة مع الاحتلال ، وحملات العرائض والمذكرات الاجتماعية ، لم تعد وحدها طابع الحركة الجماهيرية ، التي ابتدعت في خضم معارك المواجهة المذكورة أشكالا نضالية جديدة ، اتحدت ، في إطارها ، مختلف الطبقات الوطنية ، والفئات الاجتماعية ، والقطاعات الجماهيرية المختلفة ، فأصبحت المؤتمرات الجماهيرية الحاشدة ، ولقاءات المجالس البلدية ــ رغم قرارات المنع التي أصدرتها سلطات الاحتلال ، وحذرت فيها من استمرار عقد اللقاءات والاجتماعات بين رؤساء المجالس البلدية ــ واللقاءات التمثيلية ، والمحاضرات ، والمهرجانات السياسية ، أصبحت جميعها أبرز ظواهر الحركة الجماهيرية في الضفة والقطاع ، وباتت اكثر الأشكال النضالية بروزا في معارك المجابهة مع مشروع الحكم الذاتي والاستيطان والقمع والأرهاب التي تنظمهما سلطات الاحتلال ضد مختلف قطاعات الشعب الوطنية .

وبنتيجة التفاعل المتواصل لمختلف القطاعات الجماهيرية والمهنية ، مع مهماتها النضالية السياسية منها والمطلبية ، تزايد الميل نحو الانتظام ، والانغماس المتزايد في الاطارات المنظمة ، بوصفها اوراق تنظيمية نضالية بيد الحركة الجماهيرية ، ككل . فمنذ مطلع العام الحالي تشهد كافة المنظمات الجماهيرية ، من اتحادات طلابية ، ونقابات عمالية ، وجمعيات نسائية ، وأندية شبيبية ، وغيرها ، اقبالا متزايدا على الانتساب اليها ، والمشاركة بفعالية في كافة نشاطاتها السياسية والاجتماعية ، ونضالاتها المطلبية والسياسية ، وبنتيجة هذه العوامل تطورت الاشكال النضالية للحركة الجماهيرية ، والنزوع الجماهيري المتزايد نحو التنظيم ، فتمكنت الهيئات والمؤسسات الجماهيرية والمهنية النقابية ، من لعب دور متزايد في الحياة السياسية في المناطق المحتلة .

ففي ٢٣ تشرين ثاني ١٩٧٨ ، عقدت الحركة العمالية النقابية الفلسطينية في الأرض المحتلة ، مؤتمرا نقابيا ، ضم جميع النقابات العمالية في الضفة الغربية ، بما في ذلك ، نقابات القدس . تم المؤتمر تحت رعاية الاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة ، وفي مقر نقابة عمال البناء والمؤسسات العامة في لواء رام الله والبيرة . تدارس المؤتمرون الاوضاع السياسية ، واكدوا في بيانهم الختامي ، في اعقاب انتهاء اعمال مؤتمرهم ، ما جاء في مقررات كافة المؤتمرات الوطنية السابقة (مؤتمر القدس

الوطني العام) والمؤتمرات الشعبية الاخرى ، في بيرزيت : بيت لحم ، وغزه ، شرعية تمثيل م . ت . ف الوحيد للشعب الفلسطيني ، واعلنوا تأييدهم لقرارات قمتي الصمود والتصدي . واللقاء السوري – العراقي واخيرا شجبوا الدور الاردني « المشبوه في محاولاته تمثيل شعبنا الفلسطيني». اما اهم منجزات المؤتمر على صعيد مواصلة توحيد الموقف الوطني لجهة الادوات التنظيمية ، فكان قرار المؤتمر القاضي بان «الطريق الحقيقي لمواجهة وقبر المشاريع التآمرية هو النضال الحاد والشاق بمختلف اشكاله ، وتنظيم الجماهير الشعبية ، وتحقيق الوحدة الوطنية ضمن جبهة وطنية تقدمية مناضلة » . وهي – اي – قضية التوحيد – لا شك باتت مركز الحوار والمؤتمرات واللقاءات ، وهذا ما اكدت عليه المؤتمرات اللاحقة ولقاءات رؤساء البلديات الوطنية ، التي تمت رغم قرارات سلطات الاحتلال بمنع عقد مثل هذه اللقاءات .

على هذا الطريق ايضا عقدت احدى عشر نقابة مهنية في الضفة والقطاع اجتماعا عاما في ٢٥ أيار الماضي على طريق تطوير دورها في الحياة السياسية والاجتماعية . وتأكيد الاجتماع الوطني الكبير على رفض مؤامرة كمب ديفيد ومشروع الحكم الذاتي التصفوي . وقد خرج المجتمعون بسلسلة قرارات ، لا تختلف في مضمونها عما جاء في بيان الحركة النقابية السابقة الذكر – الا انها اضافت سلسلة قرارات على الصعيد المهني غادرت فيها صيغ المناشدة ، باتجاه تحديد التوجهات والعقوبات لجهة المخالفات . فقد نص بيان النقابات الاحدى عشر على « تحريم التعامل في انشاء اوادارة مؤسسات الحكم الذاتي المقترح ، والقاء العقاب على المهنيين الذين يخالفون هذا القرار » و السعي لدى النقابات المهنية ، والاتحادات المهنية العربية ، للمبادرة بدعم هذا القرار وتنفيذه . كذلك ، انشاء الصناديق اللازمة للمتضررين من هذا الموقف . كما اكد البيان . « ان مجمع النقابات المهنية ، ليس بديلا عن القوى السياسية والاجتماعية في الارض المحتلة ، وانما هو مشارك لها ، في تحمل اعباء النضال ، والتخطيط له ، غير ان النقابات المهنية مدعوة للمشاركة الايجابية في كافة اللجان الخاصة للدفاع عن الارض والمعتقلين ، وتبنى برامج عملية على مستوى النقابات لمساعدة المواطنين للتصدي لهذه المؤامرة » . وشدد على: « تحريم الاتصال المباشر او غير المباشر مع مبعوثي النظام المصري والولايات المتحدة واسرائيل ، والمكلفين باجراء الحوار والمفاوضات حول الحكم الاداري الذاتي في الوطن المحتل » . ودعا الى « ضرورة تلاقي القوى الوطنية – قولا وعملا – ممثلة باجهزتها السياسية ، والنقابية ، والاجتماعية في جبهة وطنية واحدة ، تقود النضال الفلسطيني ، داخل الاراضي المحتلة في اطار وتحت قيادة م . ت . ف . وان تجسد هذه الوحدة من خلال الممارسة الفعلية ، وفي اطار الجو الديمقراطي البناء ، وضمن برنامج الحد الادنى المتمثل في مقاومة الاحتلال الاسرائيلي ، والنهج الاميركي – الاسرائيلي – الساداتي ، الهادف الى تطبيق الادارة الذاتية ضد ارادة شعبنا ، والعمل نحو تحقيق حقوقنا الوطنية الثابتة » واخيرا طالب النقابات المهنية في الضفة والقطاع ، « بتوثيق التعاون فيما بينها ، وعقد اجتماعات دورية ودعوة التجمعين المهنين فيها للالتقاء دوريا ، والتنسيق في اعمالها » . جاءت هذه البيانات لتؤكد التطورات السياسية والتنظيمية والنضالية التي ميزت الشهور الاخيرة من مسيرة الحركة الجماهيرية في المناطق المحتلة ، والتي اعطت هذه المعاني جميعا، بل لوحظت هذه التطورات على صعيد مختلف الهيئات وفي مقدمتها الهيئات البلدية الوطنية ، والمنظمات النسائية والطلبة الذين لا يزالون يخوضون معركتهم في جامعة بيرزيت ومعاهد رام الله والمؤسسات التعليمية الأخرى. وقد نمت جميع هذه التحركات والاشكال النضالية ، على ارضية ولجان الدفاع عن المعتقلين ولجان الدفاع عن الاراضي والتي لعبت دورا كبيرا في مجابهة سياسة القمع والاستيطان ، والتي على ارضيتها ايضا انبثقت لجان التوجيه الوطني بل هي بحق المهد الاساسي لقيامها .

لجان التوجيه الوطني :

كما سبق واكدنا ، فان مجموع العوامل السالفة الذكر ، شكلت البساط الذي مضت عليه الحركة الجماهيرية ، باطمئنان في توجهاتها لتطوير أدواتها التنظيمية النضالية . مستفيدة من كافة العوامل التي وفرتها مسيرة المجابهة المستمرة مع الاحتلال من جهة ، ومن مغادرتها الفعلية لاشكال النضال العفوي ، نحو قيادة يومية لنضالاتها ، وقد أفرزت التجربة النضالية لشعبنا في مقارعة الاحتلال ، ومجابهة نتائج زيارة السادات ومعاهدة كمب ديفيد ، التشكيل التنظيمي

الاكثر تقدما من لجان الدفاع والاشكال التنظيمية الاخرى ، بل ومهد فعليا لعودة الجبهة الوطنية الفلسطينية في المناطق المحتلة ، بفعالية اكبر وفي اطار اكثر تقدما على صعيد بنيتها الداخلية ، وعلاقاتها التنظيمية بالمؤسسات والهيئات النقابية والمهنية . وهذا التشكيل الجديد هو ما اطلق عليه تسمية « لجان التوجيه الوطني » والتي تأسست تحت شعار « النضال ضد مشروع الحكم الذاتي ، ومن اجل قيادة نضال الجماهير الفلسطينية لاحباطه » . ففي واحد من اكبر المهرجانات الجماهيرية التي عقدت في نهايات العام الماضي ، تم انتخاب « اللجنة المركزية للتوجيه الوطني » التي تشكلت في حينها من ممثلين عن البلديات والنقابات العمالية ، والحركة النسائية والطلابية ، وعدد من الشخصيات الوطنية ، وقد انيطت باللجنة المركزية مهمة رئيسية تتلخص في « تنظيم وقيادة التحركات الجماهيرية ضد مشروع الحكم الذاتي ، والاشراف على اللجان الفرعية والمنطقية التابعة لها ، والتي بدء عمليا في انجاز تشكيلها مع اواخر أيار الماضي . فتم تشكيل لجنة للدفاع الوطني في مدينة نابلس ، ضمت ممثلين عن المجلس البلدي في المدينة الذي يرأسه المناضل بسام الشكعة وممثلين عن النقابات العمالية ، و الجمعيات النسائية ، والحركة الطلابية ، وعدد من الشخصيات السياسية الوطنية في المدينة. اما في رام الله والبيرة، فلم تستكمل المدينتان مهمتهما على هذا الصعيد ، وان تم مؤخرا ، تحديد ممثلي الهيئات المختلفة الذين سيشكلون «لجنتي التوجيه الوطني » في المدينتين . وبذات الاتجاه يجري العمل حاليا ، بوتيرة متسارعة ، لاستكمال تشكيل لجان التوجيه الوطني في مختلف المدن والقرى الاخرى في الضفة الغربية .

استنادا الى هذا التشكيل ، المرتكز على مهمات لجان التوجيه الوطني ، تبرز اهمية تشكيل اللجان ، ليس بوصفها اداة نضالية وحسب ، بل وباعتبارها اطارا عريضا يمكن له ان يضم ممثلي مختلف القطاعات والمهن والمؤسسات البلدية والهيئات الجماهيرية ، أي ما يمكن تسميته بالجبهة العريضة التي تقود وتنظم المجابهة ضد الخطر الرئيسي الذي يتهدد شعبنا ، ممثلا بمشروع الحكم الذاتي في هذه المرحلة .

الجبهة الوطنية تعود لقيادة النضال :

في ظل هذه المناخات الوطنية المتطورة ، اعادت القوى والمنظمات السياسية الفلسطينية الفاعلة في المناطق المحتلة ، الى جانب المؤسسات الجماهيرية والاجتماعية والهيئات النقابية والشخصيات الوطنية اعادت اتصالاتها فيما بينها . ورفعت درجة تنسيقها ، وصولا إلى لقاء ائتلافي جديد، على قاعدة الحوار الديمقراطي، وبرنامج الحد الادنى ممثلا بحشد كافة الطاقات والجهود لاسقاط مشروع بيغن للحكم الذاتي التصفوي . وقد اتفقت هذه القوى مجتمعة على اعادة احياء الجبهة الوطنية ، وتطوير دورها في قيادة النضال من الداخل ، وتوجت لقاءها الوحدوي هذا ببيان هام ، اصدرته في اواخر أيار الماضي ❊

بصدور هذا البيان ، تم تجاوز بعض العراقيل التي كانت تضعها بعض القوى ، امام محاولات اعادة احياء الجبهة الوطنية الفلسطينية وتم اسقاط محاولات التخريب عليها ، والتي استمرت اكثر من عامين ، وحالت دون احياء دورها السياسي ، واضطلاعها بدورها ، كقائد وموحد وموجه لنضالات الجماهير الفلسطينية في الداخل ، وضمانة رئيسية لاستمرارية موقفها الموحد. وفي ٢٢ حزيران الماضي ، استكملت الجبهة خطوتها ، بالاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية ، من خلال توجيه مذكرة لها ، اكدت فيها على « أن الوضع الجديد في المناطق المحتلة ، يتطلب ، وضع خطة صحيحة ، لمواجهة مؤامرة الحكم الذاتي وافشالها » و « ان جميع فئات الشعب الوطنية المخلصة في المناطق المحتلة ، رفضت وترفض مؤامرة الحكم الذاتي ، ايمانا منها ، بمسؤوليتها التاريخية ، امام الاجيال القادمة ، وهي مستعدة للنضال لاحباط المؤامرة ، بجميع الوسائل». واوردت الجبهة في رسالتها، شروط انجاز مهمات النضال المطروحة ، انطلاقا من موقع الجبهة الوطنية ، وموقع نضالاتها في اطار م . ت . ف . وانطلاقا من مطالبة المنظمة بالعمل على تأمين هذه بشروط ❊❊

دلالات عودة الجبهة الوطنية واهمية احيائها :

جاء احياء الجبهة الوطنية الفلسطينية ، راهنا ، وباتفاق القوى الاساسية على تطوير اللقاء بينها على

ارضية الجبهة ، ليقدم جملة من الاستخلاصات الهامة ، هي اساسا في صلب تطور نضالات الحركة الجماهيرية ، وادواتها التنظيمية القيادية والقاعدية وهذه الاستخلاصات هي :

اولا : دللت الخطوة النوعية ، ممثلة باحياء الجبهة الوطنية الفلسطينية ، ودخولها مرحلة جديدة من النضال ، على مقدرة القوى الوطنية والتقدمية في المناطق المحتلة على ايجاد الشكل المحدد والملموس، من اشكال اللقاءات ، ورص الصفوف فيما بينها على قاعدة الالتزام ببرنامج عمل نضالي ، يلبي حاجة ، وامكانيات الشعب الفلسطيني في هذه المناطق ويعزز من وحدته الداخلية ، بقيادة م . ت . ف ، وينمي بالتالي قدرته على مجابهة الخطوات الملموسة التي تحاول اطراف كمب ديفيد فرضها عليه .

ثانيا : يشير التحول النوعي في نمط العلاقة التي توحد الحركة الوطنية الفلسطينية داخل المناطق المحتلة مع الحركة الوطنية العامة للشعب الفلسطيني ، ممثلة بالثورة ومنظمة التحرير ، يشير هذا التحول ، الى انتقال الحركة الوطنية في الداخل من مواقع التأثر الى مواقع ، صنع القرار ، والتأثير في الاحداث السياسية ، فعلى امتداد الفترة من زيارة الرئيس المصري انور السادات للقدس وحتى الآن ، تمكنت الحركة الجماهيرية ، من لعب دور هام ، في ترسيخ البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتمكنت القوى التقدمية والديمقراطية داخل الحركة الجماهيرية ، من التسلح بمواقف جماهير المناطق المحتلة ، في معاركها لدعم ، وتصليب مواقف م . ت . ف . في وجه محاولات التطاول والوصاية الرجعية العربية عليها . وعلى صعيد تصحيح العلاقات الداخلية بين اطرافها . واخيرا تمكن الائتلاف الوطني التقدمي في المناطق المحتلة ، من تطويق محاولات التخريب وعرقلة اعادة بناء الجبهة الوطنية ، والتي كادت تبقى منها الاسم فقط طيلة اكثر من عامين .

ثالثا : جاء تشكيل لجان التوجيه الوطني العلنية وعلى راسها اللجنة المركزية للتوجيه الوطني ليقدم ادوات تنظيمية بيد الجبهة الوطنية وبالتالي بيد الحركة الوطنية الفلسطينية ككل ، هذه الادوات الجديدة تتميز بطابعها الخاص على صعيد انتشارها وتوزعها لتضم كافة المهن والهيئات والقطاعات المختلفة وفي جميع المدن والقرى ـ في حال استكمال تشكيلها ـ ويسهل قيادة العملية الثورية بيد الجبهة الوطنية في الصراع مع الاحتلال الصهيوني .

ان هذه المكتسبات العظيمة ، التي حققها شعبنا في الفترة الاخيرة ، تتطلب المزيد من الدعم والتأييد والتنسيق بغرض استمرار تطوير عمل الجبهة الوطنية ، وتمكينها فعلا من قيادة العملية النضالية بالداخل ، وهذا يتوقف على سلسلة من الخطوات التي لا بد وان تبت بها الاطراف الرئيسية المشاركة في هذا الائتلاف الجبهوي ، وفي مقدمة هذه الخطوات :

١ ـ انتهاج سياسة ثابتة ، في دعم الجبهة الوطنية ، ولجان التوجيه الوطني .

٢ ـ قطع كافة الخيوط والعلاقات التي لا زالت تربط بعض الاوساط ببعض الرموز الرجعية ، « والتي تحاول تشويه مواقف م . ت . ف الرافضة لاتفاقتي كامب ديفيد والحكم الذاتي ، والحلف الثلاثي الاميركي ـ الاسرائيلي ـ الساداتي ، وذلك لتبرير مواقفها المترددة من هذه القضايا » كما جاء في بيان الجبهة الوطنية الصادر في ايار الماضي .

٣ ـ العمل على شل تذبذب بعض الاوساط والعناصر في الداخل ، وكسب الاطراف الوطنية منها وحسم ترددها ، وعزل الاطراف المتخاذلة ، والحيلولة دون استعادة دورها ورد الاعتبار لها ، أو اعادتها الى الصف الوطني الذي لفظها .

٤ ـ تحويل اموال دعم الصمود الى عامل اضافي وقوة جديدة في صمود المناطق المحتلة ، ومغادرة سياسة التعاطي بالدعم الخاص لبعض العناصر ، وانتهاج سياسة الدعم الثابت للمؤسسات الوطنية التي وقفت طيلة سنوات الاحتلال ، في مقدمة المجابهين لسياساته ، والتي لا زالت تتعرض لضغوطات الرجعية العربية ، وحصارها الاقتصادي والسياسي لها .

بهذا كله ، يمكن للجبهة الوطنية التي استعادت عافيتها ، وهي تدخل عامها السابع ، تصليب وتطوير النضال الوطني ضد الاحتلال ككل ، ولاسقاط مشروع الحكم الذاتي التصفوي بحلقة ابرز في المهمات الوطنية الراهنة ، وحتى تعود الجبهة الوطنية الفلسطينية في الداخل الذراع الضارب بيد م . ت .ف في معركتها مع الحلول التصفوية ومعاهدة كمب ديفيد والحكم الذاتي .

حواشي

* ١ ـ ان جماهيرنا العربية التي اسقطت كافة الاحلاف في منطقتنا لقادرة ايضا على ان تسقط الحلف الساداتي الاميركي الصهيوني .

٢ ـ ان محاولات التصفية لقضية شعبنا وحقه في كامل ترابه الوطني سيكون مصيرها الفشل .

٣ ـ ان اسلوب المراهنة على الامبريالية الاميركية من اجل الضغط على اسرائيل ادى الى تنازل وتفريط بحق شعبنا وحق الشعوب العربية وانه رهان خاسر ومهين للامة العربية .

٤ ـ ان الحل المطروح لما يسمى بالادارة الذاتية هو حل مرفوض جملة وتفصيلا .

٥ ـ ان القيادة الوحيدة المؤهلة التي لها حق تمثيل شعبنا هي م . ت . ف .

٦ ـ ان وحدتنا الوطنية هي ضرورة وطنية واجبة ، وان تلاحمنا مع ثورتنا ووقوفنا صفا واحدا معها لهو الطريق الامثل لتحقيق اهدافنا الوطنية ولاسقاط كافة الحلول الاستسلامية الخائنة .

٧ ـ تعزيز تحالفنا مع قوى التحرر العربية والعالمية والدول الاشتراكية والصديقة لتعزيز جبهة النضال في وجه الحلف الاميركي الساداتي الصهيوني واسقاطه .

٨ ـ اننا نطالب برفع وتائر تطبيق الميثاق السوري ـ العراقي واقامة الجبهة الشمالية المقاتلة ومطالبة دول جبهة الصمود والتصدي تطوير الجبهة وزيادة فعاليتها النضالية واشراك العراق فيها كي تتحول لقوة قادرة على مجابهة الحلف الامبريالي ـ الصهيوني ـ الرجعي والعمل على ضرب المصالح الاميركية في المنطقة .

٩ ـ تصعيد النضال ضد الاستيطان والاستيلاء على الارض » .

** ١ ـ الاسراع في الاعلان عن الوحدة الوطنية بين كافة الفصائل في الخارج ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية والتأكيد على دعم الوحدة الوطنية في الداخل تنفيذا لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني الرابع عشر .

٢ ـ تحقيق الوحدة الوطنية في الداخل بين جميع الفصائل وتلاحم جميع القوى ضد الاحتلال والحكم الذاتي ونبذ جميع الخلافات التي من شأنها الحاق الضرر بهذه الوحدة .

٣ ـ اتخاذ موقف معلن واضح ضد الحكم الذاتي تتبناه جميع القوى الوطنية وذلك لقطع الطريق على كل من يحاول ايجاد التأويلات والفتاوى للتشكيك في موقف منظمة التحرير من اتفاقيتي كامب ديفيد والحكم الذاتي والدور الاميركي .

٤ ـ ضرورة اتخاذ موقف حازم من بعض الشخصيات في الضفة والقطاع التي تحاول تشويه موقف منظمة التحرير الفلسطينية الرافض لاتفاقيتي كامب ديفيد والحكم الذاتي والحلف الثلاثي الاميركي الصهيوني الساداتي وذلك لتبرير مواقفها المترددة من هذه القضايا المصيرية . وهذه الشخصيات تقوم بنشاطات محمومة لارسال المعلومات الخاطئة عن مواقف شعبنا في الداخل وتتصل مع بعض الاشخاص ممن لهم علاقة مع منظمة التحرير وتستغل بعض اقوالهم وتصريحاتهم للترويج الى الافكار الاستسلامية المتناقضة تماما مع سياسة المنظمة .

بالاضافة الى ذلك فان هذه الشخصيات تستغل هذه الاتصالات للخروج عن عزلتها وخداع الجماهير وتقوية مراكزها . وهذا يسبب الاساءة الى سمعة منظمة التحرير الفلسطينية ويثير بلبلة وتشكيك بين جماهير الشعب .

٥ ـ التصدي والتعتيم الاعلامي الخانق على نضال شعبنا في الداخل وذلك بتطوير جهاز الاعلام في الخارج وخاصة تقوية الاذاعة من الناحية الفنية لتصبح فيه مسموعة بشكل واضح .

٦ ـ توضيح قضية الحوار الفلسطيني الاردني واعطاؤه المفهوم الثوري التقدمي على اساس مقاومة

المخططات الامبريالية التي تهدف الى تصفية القضية الفلسطينية خلال تنفيذ اتفاقيتي كامب ديفيد بدءا بالحكم الذاتي . فان تصرفات السلطات الاردنية ضد المناضلين في الارين تبعث القلق في النفوس وتوحي بان هذه السلطات غير جادة في مقاومة هذه المخططات التصفوية ولا تزال تدور في فلك الحلول الاميركية تتحين الفرص للتخلي عن رفضها المشروط لهذه الحلول .

٧ ـ توضيح قضية دعم المناطق المحتلة فالاخبار التي تتسرب الى الداخل حول هذه القضية لا توحي بالاطمئنان بل وتثير القلق بخصوص الطريقة التي سيتم بها هذا الدعم ، فالذي نخشاه انه سيتم بواسطة الارين ويستغل لتقوية وتنشيط العناصر الموالية له ضد نفوذ القوى الوطنية وفي هذه الحالة لا يصل الدعم الى الجهات التي تستحقه بل وربما ادى الى نتائج سلبية .

أمن البحر الاحمر

بعض الملاحظات الجيوبوليتيكيـة

د. ابراهيم صقر

يهمنا في هذا المجال أن نشير الى بعض السمات التي يتميز بها البحر الأحمر ، ذات الصلة بالموضوع الذي نتناوله . من هذه السمات أن البحر الأحمر بحر ضيق في عمومه ، يبلغ عرضه ، في المتوسط،١٩٠ميلا ، ويصل في أقصاه الى ٧٤٠ ميلا ، ويضيق بشكل واضح ، في مداخله ممتداً في خليجين طويلين ضيقين ، وهما خليج السويس وخليج العقبة ـ في ناحية وحيث يتقارب جانباه إلى أن يأتي ـ المدخل الآخر عند باب المندب في الناحية الأخرى ، هذا فضلا عن الجزر العديدة المنتشرة في هذه المناطق . ولقد كان من نتائج هذه السمة ، سهولة التفاعل ـ صراعا وتعاونا ـ بين جوانبه وعلى مدى التاريخ الطويل (١)

ومن هذه السمات أنه بحر يمتد طويلا ، ولكن بشكل يكاد يكون رأسيا بين الشمال والجنوب من مناطق الشمال المعتدل الى الجنوب المداري والأستوائي . وهو حلقة طويلة وهامة في سلسلة الطريق البحري الهام بين المناطق المعتدلة والبارده في شماله وشماله الغربي من ناحية وبين المناطق المدارية والاستوائية في جنوبه وجنوبه الشرقي من ناحية الأخرى(٢)، الأمر الذي يجعل من مصلحة الجانبين أن يقوم بينهما تبادل مفيد للمنتجات ، يزيد حجم التجارة العابرة على هذا الطريق ، وخاصة أنه الطريق الأقصر ـ وبوضوح ـ بين المناطق المتبادلة للتجارة على جانبي البحر الأحمر .

وأذا أخذنا في الأعتبار أن إنشاء قناة السويس قد جعل من هذا الطريق طريقاً مستمراً ـ لا نتخلله أية حلقة أرضية تفرض التفريغ وأعادة الشحن ، هذا فضلا عن ان النقل البحري هو ، وبشكل واضح ، أرخص أنواع النقل ... فأن هذا الطريق البحري ، المستمر الأقصر من الطرق المنافسة هو .. الطريق المتفوق ـ وبشكل بارز ـ في نقل التجارة الضخمة ، المشار اليها فيما سبق ... ومن ثم يكون البحر الأحمر ـ وهو حلقة طويلة على هذا الطريق ـ ذا أهمية كبيرة لهذه التجارة العابرة الضخمة .

وزاد من هذه الأهمية أن الطريق يربط ما بين البلاد المتقدمة عموما من ناحية ، والبلاد المتخلفة عموما ، والتي أستعمرتها بلاد من المجموعة الأولى ـ من ناحية أخرى ، الأمر الذي جعله طريقاً هاماً لخدمة التجارة بين هاتين المجموعتين دن البلاد ، وهي تجارة تقوم على اختلاف مراحل التطور ، وعلى أساس من الاستغلال الاستعماري غير المتكافىء . وهو على أي الأحوال ، ذات اهمية خاصة بالنسبة للبلاد المتبادلة لها على جانبي البحر الأحمر .

وفي هذا المجال فقد أزدادت أهمية طريق السويس الأقتصادية والأستراتيجية ، وبشكل بارز . ومن ثم أزدادت أهمية البحر الأحمر كمعبر للتجارة ، مع تزايد أهمية البترول ، وبروز أهمية الخليج العربي كمنتج ضخم وكمصدر أول في العالم له ، ومع أهميته الحيوية لأوربا الغربية وأمريكا على الجانب الآخر من الطريق .

المخططات الامبريالية التي تهدف الى تصفية القضية الفلسطينية خلال تنفيذ اتفاقيتي كامب ديفيد بدءا بالحكم الذاتي . فان تصرفات السلطات الاردنية ضد المناضلين في الاردن تبعث القلق في النفوس وتوحي بان هذه السلطات غير جادة في مقاومة هذه المخططات التصفوية ولا تزال تدور في فلك الحلول الاميركية تتحين الفرص للتخلي عن رفضها المشروط لهذه الحلول .

٧ ــ توضيح قضية دعم المناطق المحتلة فالاخبار التي تتسرب الى الداخل حول هذه القضية لا توحي بالاطمئنان بل وتثير القلق بخصوص الطريقة التي سيتم بها هذا الدعم ، فالذي نخشاه انه سيتم بواسطة الاردن ويستغل لتقوية وتنشيط العناصر الموالية له ضد نفوذ القوى الوطنية وفي هذه الحالة لا يصل الدعم الى الجهات التي تستحقه بل وربما ادى الى نتائج سلبية .

أمن البحر الاحمر

بعض الملاحظات الجيوبوليتيكية

د. ابراهيم صقر

يهمنا في هذا المجال أن نشير الى بعض السمات التي يتميز بها البحر الأحمر ، ذات الصلة بالموضوع الذي نتناوله . من هذه السمات أن البحر الأحمر بحر ضيق في عمومه ، يبلغ عرضه ، في المتوسط، ١٩٠ميلا ، ويصل في أقصاه الى ٧٤٠ ميلا ، ويضيق بشكل واضح ، في مداخله ممتداً في خليجين طويلين ضيقين ، وهما خليج السويس وخليج العقبة ــ في ناحية وحيث يتقارب جانباه إلى أن يأتي ــ المدخل الآخر عند باب المندب في الناحية الأخرى ، هذا فضلا عن الجزر العديدة المنتشرة في هذه المناطق . ولقد كان من نتائج هذه السمة ، سهولة التفاعل ــ صراعا وتعاونا ــ بين جوانبه وعلى مدى التاريخ الطويل (١)

ومن هذه السمات أنه بحر يمتد طويلا ، ولكن بشكل يكاديكون رأسيا بين الشمال والجنوب من مناطق الشمال المعتدل الى الجنوب المداري والأستوائي . وهو حلقة طويلة وهامة في سلسلة الطريق البحري الهام بين المناطق المعتدلة والبارده في شماله وشماله الغربي من ناحية وبين المناطق المدارية والاستوائية في جنوبه وجنوبه الشرقي من ناحية الأخرى(٢)، الأمر الذي يجعل من مصلحة الجانبين أن يقوم بينهما تبادل مفيد للمنتجات ، يزيد حجم التجارة العابرة على هذا الطريق ، وخاصة أنه الطريق الأقصر ــ وبوضوح ــ بين المناطق المتبادلة للتجارة على جانبي البحر الأحمر .

وأذا أخذنا في الأعتبار أن إنشاء قناة السويس قد جعل من هذا الطريق طريقاً مستمراً ــ لا تتخلله أية حلقة أرضية تفرض التفريغ وأعادة الشحن ، هذا فضلا عن ان النقل البحري هو ، وبشكل واضح ، أرخص أنواع النقل ... فأن هذا الطريق البحري ، المستمر الأقصر من الطرق المنافسة هو .. الطريق المتفوق ــ وبشكل بارز ــ في نقل التجارة الضخمة ، المشار اليها فيما سبق ... ومن ثم يكون البحر الأحمر ــ وهو حلقة طويلة على هذا الطريق ــ ذا أهمية كبيرة لهذه التجارة العابرة الضخمة .

وزاد من هذه الأهمية أن الطريق يربط ما بين البلاد المتقدمة عموما من ناحية ، والبلاد المتخلفة عموما ، والتي أستعمرتها بلاد من المجموعة الأولى ــ من ناحية أخرى ، الأمر الذي جعله طريقاً هاماً لخدمة التجارة بين هاتين المجموعتين دن البلاد ، وهي تجارة تقوم على اختلاف مراحل التطور ، وعلى أساس من الاستغلال الاستعماري غير المتكافىء . وهو على أي الأحوال ، ذات اهمية خاصة بالنسبة للبلاد المتبادلة لها على جانبي البحر الأحمر .

وفي هذا المجال فقد أزدادت أهمية طريق السويس الأقتصادية والأستراتيجية ، وبشكل بارز . ومن ثم أزدادت أهمية البحر الأحمر كمعبر للتجارة ، مع تزايد أهمية البترول ، وبروز أهمية الخليج العربي كمنتج ضخم وكمصدر أول في العالم له ، ومع أهميته الحيوية لأوربا الغربية وأمريكا على الجانب الآخر من الطريق .

ومن هذه السمات ، ايضا ، أن البحر الأحمر كانت له اهمية في تاريخ الاستعمار كمنفذ بحري على طريق الهند والشرق الأقصى ، وفي استعمار الدول الغربية لأفريقيا الشرقية ولقد زادت هذه الأهمية بعد حفر قناة السويس ، وشهد البحر الأحمر نشاطا وتنافسا اقتصاديا وعسكريا زاخرا .

ومن هذه السمات أن البلاد العربية ، وان كانت تكاد تغطي كل شواطىء البحر الأحمر ، إلا أن الوجود الاسرائيلي الصغير على خليج العقبة ، واهمية البحر الأحمر كمنفذ لتجارة أسرائيل مع المناطق الى جنوبه وشرقه ، يجعل البحر الأحمر مجالا من مجالات الصراع بين أسرائيل والبلاد العربية . واذا كانت محاولات الوصول الى تسوية ، الدائرة منذ مدة الى الآن ، قد تخفف إذا انتهت الى تسوية - من الصراع بين أسرائيل وبعض البلاد العربية فأن من المحتمل ان الصراع بين أسرائيل وبعض البلاد العربية الأخرى سوف يستمر ، وسوف يستمر ، لأمد غير قصير .. وسوف - يعكس ذلك نفسه بالضرورة ، في البحر الأحمر .

ويمكننا أن نضيف الى هذه الصورة بعض الظواهر الهامة في عالمنا الراهن ، وهي ظواهر لها انعكاساتها على البحر الأحمر وعلى الصراع فيه ، وعلى مشاكل أمنة . ومن هذه الظواهر ، ظاهرة تزايد أهمية الوطن العربي والشرق الأوسط ككل بمنافذه المتعددة المتنوعة وفي أتجاهات شتى ، ببتروله الضخم انتاجا ، واحتياطيا ، وتصديرا ، وارصدة ، وقوة مالية لها أثارها في العالم ، متقدمة ومتخلفة ، بقدرته الشرائية الضخمة ، بتلاصقه مع جنوبي الأتحاد السوفياتي ، أحد العملاقين ، بوجوده كحلقة وصل متوسطة في قلب الثالوث القاري ، بكل ما له من أهميات خطيرة ، وعلى الداخل من الشمال والشرق للقارة الأفريقية .

وهذا ينقلنا الى الظاهرة الثانية التي تهمنا ، وهي أهمية تزايد القارة الأفريقية في المرحلة الراهنة بثرواتها الضخمة ، والمتنوعة ، والمتزايدة ، بمايكتشف من جديد فيها ، اليوم تلو اليوم ، بسوقها الكبير والمتزايد سواء لحاجات الأستهلاك ، أو الأنتاج والنمو ، أو كمجال للأستثمار ، كبير ومتزايد ، بأهميتها الأستراتيجية ، كمصدر لكثير من المواد ذات الأهمية الأستراتيجية . وكعمق لأوربا الغربية والشرق الأوسط ، يقرب انبعاج فيه (عند داكار) من نصف الكرة الغربي ، كما لا تقرب اية نقطة أخرى في العالم القديم ، ويبتعد طرف فيه (في نهايتهاالجنوبية) عن الكتلة الشرقية ، كما لا تبتعد أية نقطة أخرى في الثالوث القاري ، وكشاطىء تمر حواليه الطرق البحرية الهامة طريق السويس راس الرجاء الصالح ..الخ .

ويقود ما سبق الى الحديث عن ظاهرة ثالثة في عالمنا الراهن ، وهي ظاهرة تزايد الصراع الدولي في ، وبين ، وعلى هذه المناطق ، وفي ، وبين ، وعلى بلاد العالم الثالث عموما ، ويظهر ذلك بشكل ابرز في نصف الكرة الشرقي . ذلك أن ما تحقق من توازن الرعب النووي ، أو توازن الردع النووي أدى - فيما أدى اليه - الى درجة أكبر من التركيز - في الصراع بين الكتلتين الغربية والشرقية ، وبالأساس بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين الأتحاد السوفياتي - على بلاد العالم الثالث ، التي تعاني ، الآن ، من درجة متزايدة من الأستقطاب .

وتتفاعل هذه الدرجة المتزايدة من الأستقطاب ، مع درجة متزايدة من الصراع الأجتماعي في بلاد العالم الثالث ، بين القوى التي تنشد التغيير لمصلحة الطبقات الأفقر ، التي تشكل الغالبية الساحقة في هذه البلاد ، وبين القوى التي تحاول مقاومة التغيير أو تعطيله . وتتداخل مستويات الصراع أو دوائره المحلية والاقليمية والعالمية وتتساند فيه الجوانب ذات المصالح المشتركة أو المتقاربة في مواجهة الجوانب المضادة التي تتساند هي الأخرى ويدعم بعضها بعضا . وتتزايد حدة هذا الصراع ، وتبرز ضراوته ، وتستعمل فيه كل الوسائل المتاحة ، وتزداد هذه الحدة ، بشكل واضح ، في المناطق ذات الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية . ومن هذه المناطق الوطن العربي والشرق الأوسط على وجه العموم وكذلك القارة الافريقية ، وان كنا نخص بالذكر منها - وخاصة هنا ، أي فيما يتصل بموضوعنا - منطقة القرن الافريقي .

من كل ما سبق يمكننا أن نقرر ، ان للمنافذ المختلفة ، وخاصة البحرية منها في - عالم اليوم الذي يموج بالصراع - دورا كبيرا واهمية متزايدة ، وان البحر الأحمر اهميته الخاصة بين هذه المنافذ ، وخاصة مع اهمية المناطق المحيطة به .

وقد كثر الحديث في الماضي القريب ، وخاصة في الفترة الأخيرة ، عن البحر الأحمر ، وعن أمنه ، واهتمت بذلك الحكومات ، وتحركت الهيئات المختلفة للبحث والنقاش في الموضوع . ويكفي أن نشير الى اللقاءات الحكومية المتعددة ، ثنائية ومتعددة الأطراف ، في العامين الماضيين بخاصة ، والى البيانات الصادرة عن هذه اللقاءات والتصريحات المعلنة عن الرسميين في العديد من البلاد . ويكفي أن نشير كذلك على سبيل المثال ، الى المشروع البحثي المشترك الذي يقوم به مركز الدراسات السياسية والأستراتيجية التابع لمؤسسة الأهرام بالتعاون مع مجموعات بحث من ايطاليا والمانيا الغربية(٢)

وفي منطقتنا يتحدث البعض عن تحويل البحر الأحمر الى « بحيرة » عربية وعن السيطرة على « مداخله » او « مخارجه » ، واغلاق العرب له على من يريدون ، أودون من يريدون ، وعن أبعاد البحر الأحمر عن « نفوذ القوى الكبرى » ، « وعن الصراع الدولي » ...الخ . وفي مناقشة هذه الأهداف .. نبدأ بأبراز بعض النقاط المتصلة بالصراع الدولي الواسع ، الذي يعتبر ما يجري في البحر الأحمر لا ينفصم عنه بل أن بينهما علاقة عضوية .

وبادىء ذي بدء ، فأن مجرد السيطرة على الشواطىء ، او على نقط ذات اهمية أستراتيجية عليها ، او على جزر ذات موقع هام في مرحلة معينة ، كل ذلك ، رغم أهميته ، فأنه لا يضمن - وحده - السيطرة البحرية في منطقة ما . ذلك أن العنصر الأهم في السيطرة البحرية ، هو القوة البحرية ذاتها . هذه القوة - اذا حققت تفوقا على غيرها - هي التي كانت تحقق السيادة في البحر ، وتعوق غيرها أو تمنعه . وهي التي كانت تثبت مراكزها في النقط ذات الأهمية الأستراتيجية ، وتمنع غيرها من ذلك ، وكانت حتى تخرجه ، أحيانا منها . أن حارس هذه « البوابات » والنقط الأستراتيجية ، على العموم ، هو الأساس . أن « البوابات » والنقط الأستراتيجية لا تحقق ، في ذاتها ، سيطرة أو سيادة ، أنها تساعد وتدعم . ولكن العبرة ، أساسا ، بالقوة التي تحقق السيادة والسيطرة .

ويكفي ، في أبراز ذلك ، أن نشير إلى تفوق البرتغاليين ، بعد عصر الكشوف البحرية . لقد فشل البنادقة والمصريون في مواجهتهم ، ووقف مدهم ، وتفوقهم في التجارة بين الشرق والغرب . وأكثر من ذلك ، فأن الأسطول البرتغالي دخل الى البحر الأحمر وحتى خليج السويس . وأن نشير الى تفوق الأنجليز ، وسيطرتهم ، فيما بعد ، على ناصية البحار ولمدة ثلاثة قرون تقريبا ، وفرضهم للسلام البريطاني ، كسادة للبحر في هذه الفترة . ويكفي أن نشير هنا الى فشل نابليون في مصر والشرق . وفشله ، بالنهاية ، في المواجهة الشاملة ، والى أهمية أستمرار السيادة البريطانية على البحر ، فيما تلا ذلك من صراعات . لقد أثبتت « معيارالدولتين التاليتين (٤) فعاليته . لقد كان التفوق في القوة البحرية هو الذي يحقق التفوق في البحر ، بل ويدعمه بسيطرة هذه القوة البحرية المتفوقة ، على النقاط ذات الأهمية الأستراتيجية ، وحرمان الغير منها . ويمكن أن نشير ، أيضا ، الى أيطاليا ، والى أحلامها الكبيرة بتحويل البحر المتوسط الى « بحيرة ايطالية » . لقد كانت النتيجة ، ليس فقط أن هذا الشعار لم يتحقق ، وانما ، أيضا ، أن خطوط أتصال الدولة الأم والأمبراطورية قد تقطعت . لقد كان التفوق في القوة البحرية عاملا هاما ، بل وحاسما ، وانتهى الحلم ، وأنتهت الأمبراطورية .

وبعد الحرب العالمية الثانية كان التفوق البحري الأمريكي صارخا ، وفي كل مكان . وفرض ما سماه البعض أنذاك « السلام الأمريكي » ولكن هذه الفترة لم تطل كثيرا ، إذ كان العملاق الآخر في العالم يزداد بروزه . وبدأ هذا العملاق الثاني يمد ذراعه البحري ، الى كل مكان في العالم ، بالتدريج وبسرعة . ونحن نعيش اليوم مرحلة العملاقين البحريين - كما هما عملاقان في كل مجال آخر . الفارق بينهما وبين غيرهما كبير كبير ، حتى انه ليشار الى الآخرين أيا كانوا على انهم الدول الأقل . أن الدولتين العملاقين هما دولتان عالميتان ، وهما دولتان ذات مصالح عالمية ، تسندها قدرة على أستعمال ما لديها من أدوات متنوعة للقوة ، في أي مكان في العالم ، وفي أكثر من مكان ، في وقت واحد . وهنا يمكن أن نرى أهمية وجود الدولة العملاق البحري ، الذي تسنده قواتها البحرية وقواتها على وجه العموم .

ونحن نعيش في ظل التوازن النووي مرحلة الانفراج (٥) وهي مرحلة الصراع المحكوم . ذلك أن الدولتين بينهما تناقض لا مجال للتوفيق فيه ، ومن ثم فلا

مندوحة من استمرار الصراع بينهما . ولكن بتحفظ أساسي، هو الا يؤدي الصراع الى حرب ، تتحول الى حرب نووية بينهما . ومن هنا ، فانهما تديران الصراع ، بكل الوسائل المتاحه ، في أطار يقف بحركة عند حد أحتمال ان تؤدي هذه الحركة الى صراع نووي . وفي موضوعنا هنا ، نجد ان الدولتين العملاقين ، اللتين تتعايشان في عالم اليوم ، في صراع وتنافس ، تعملان في بحار مفتوحة بالكامل لهما . ان أحداً غيرهما لا يستطيع اغلاقها ، وان أيهما لا يتصور ان يفكر في حرمان الآخر من استعمالها ، الأمر الذي يعني حرمانه من تحقيق مصالح حيوية ، ومن ثم يؤدي الى مواجهة نووية لا يحتملها الطرفان .

ان لأمريكا مصالحها الحيوية في البحر الأحمر ، كمعبر للتجارة العالمية عموما ، ومعبر للبترول ، وحلقة هامة في انسياب قواتها البحرية على المستوى العالمي ، وتواجدها ، حيث تستدعي الأحداث ، داخل هذا البحر ، او في مكان آخر عن طريقه ، لتسند الأصدقاء ، وتردع الأعداء ، لتستعرض العضلات ، وتظهر الوجود ، وعلى أي الأحوال لتوازن الوجود السوفياتي بوجود امريكي .

وأن للاتحاد السوفيتي ، هو الآخر ، مصالحه الحيوية في البحر الأحمر ، كمعبر للتجارة العالمية ، وجزء هام من طريق حيوي يربط بين اجزاء الاتحاد السوفياتي ، وحلقة هامة في انسياب قواته البحرية على المستوى العالمي ، وتواجدها حيث تستدعي الأحداث ، داخل هذا البحر أو في أي مكان آخر عن طريقه ، لتسند الأصدقاء وتردع الأعداء ، لتستعرض العضلات وتظهر الوجود ، وعلى أي الأحوال ، لتوازن الوجود الأمريكي — والوجود الغربي عموما بوجود سوفياتي .

ان جزءاً من عالمية مصالح الدولتين العملاقين وقوتهما ، هو تواجدهما في كل مكان على ظهر البسيطة . ومن ثم ، لا يمكن ان ينغلق عنهما اي بحر عام ، مهما كان صغيرا ، أو ضيقا ، ولا يتصور احد ان تسمحا بذلك . ومهما أمتنعت القواعد والتسهيلات ، فسوف تعملان على التواجد ، مهما كلفهما الأمر ، وقد يكون ذلك صعبا ، ولكنه ليس مستحيلا ، بأي حال من الأحوال .

ان التموين في البحر حقيقة قائمة . ويعوض عدم توفر التسهيلات الأرضية الكافية ، ان التقدم في بناء السفن ، والتطور في أستعمال الوقود ، لا يحتاج الى وجود قواعد متعددة متقاربة ، كما كان الأمر يقتضي في الماضي ، حتى الماضي القريب . ثم ان التقدم في الطيران الأستراتيجي ، والأمكانات الضخمة في نقل القوات المحمولة جواً ، تشكل ، عند اللزوم ، سنداً هاما للقوات البحرية ، في قيامها بمهماتها في أماكن كثيرة في العالم .

وينبغي علينا ان نذكر بنقطة هامة . وهي انه في هذا العالم ، الذي يزداد فيه التركيز في الصراع على بلاد العالم الثالث ، وتتداخل فيه دوائر الصراع ، فأن من غير الصحيح ان يتصور البعض ، انه بحرمانه جانبا عملاقا من استعمال تسهيلات كان يستعملها سابقا ، يمكنه ان يحرم هذا الجانب ، من الوجود في منطقة ما ، والتأثير فيها بفاعلية . ذلك ان الدولة العملاق ، الى جانب انها لن تسمح بذلك ، مهما كلفها الأمر(٦) فأنها عادة ما تكسب تسهيلات في أماكن أخرى ، حين تفقد التسهيلات في بعض الأماكن . ويكفي أن نشير ، على سبيل المثال ، الى أن السوفيات ، في الوقت الذي خسروا فيه بعض التسهيلات في البحر الأحمر وما وراءه ، في مصر والسودان والصومال ، فأن التسهيلات التي يتمتعون بها قد زادت في اليمن الجنوبية واثيوبيا ، وفي أماكن عدة في المحيط الهندي .

ولو تصورنا ،من الناحية الأفتراضية البحته ، ان القوى المحلية وقفت جميعها معا — وهذا في الظروف السائدة في المرحلة التي نعيشها ، افتراض غير واقعي — وان هذه القوى أرادت ان تحول بحراً ما الى « بحيرة » فيما بينها ، وان تبعد عنه الدول العملاقة ، والصراعات الدولية فيما بينها ، فأن ذلك امنيات لا يمكن ان تتحقق . ان التواجد في البحر الأحمر ، كحلقة في سلسلة طرق الملاحة العالمية ترتبط بما وراءها من المنافذ البحرية . بل ان التواجد في البحر الأحمر ذاته ، كواحد من بحار العالم ، وباهميته الأستراتيجية الكبيرة . كل ذلك مسائل أساسية . ولا يمكن إبعاد القوى العالمية عن هذا البحر ، مهما كانت المحاولات ، فضلا عن الأحلام والأماني . بل أن الصراع والتنافس بين الدولتين العملاقين لا يفرض ، فقط ، أن يتواجد العملاقان في البحر الأحمر ، وانما يعطي للآخرين درجة أكبر من حرية الحركة فيه ، ولا يمنع احداً من استعمال هذا البحر ذي الصفة الدولية وذي الأهمية الأستراتيجية .

ان الدول الأقل الكبيرة فضلا عن الأعراف الدولية ، وحرية ذرع البحار ، تتمتع بدرجة اكبر من حرية الحركة عن ذي قبل . وهي عادة ما تنتهي الى كتلة في الصراع في مواجهة الأخرى ، ومن مصلحة أصدقائها ان تتواجد فتضيف نشاطا ، وتضيف قوة ، وتضيف مساندة . ومن المهم ان نضيف هنا انه في عالم التدخل غير المباشر ، الذي نعيشه في هذه المرحلة في عالم التدخل بالوكالة ، فاننا كثيرا ما نجد لهذه الدول نصيبيا هاما عند توزيع الأدوار ، وفي لعب هذه الأدوار . ان وجود هذه القوى في البحار ضروري لها ، وضروري لغيرها .

ان الدول الصغيرة هي الأخرى ، فضلا عن الأعراف الدولية ، وحرية ذرع البحار ، تتمتع بدرجة اكبر من حرية الحركة عن ذي قبل . وبعضها — على الأقل — يلعب دوراً بالوكالة في المنطقة التي يقوم فيها . وهو بذلك ، اذا كان لا يربح طرفا ما في صراع العمالقة والكتل فانه يقدم شيئا ، وقد يكون شيئا كثيرا ، على المستوى الأقليمي ، للطرف العملاق الآخر ، بمساندته اتجاهاً سياسياً و/ أو جماعة معينة و/ او بمحاربته اتجاهاً سياسيا و/ او جماعة معينة . وحرية حركة هذه القوى في البحار ليست فقط مسألة حيوية لمصالحها هي ، وانما هي ، كذلك ، مسألة ضرورية لحركة الكبار وتفاعلهم في الأطار الدولي الراهن .

وفي عصر تداخل مستويات او دوائر الصراع الذي نعيشه في عالمنا — مع طقس التعايش المتنافس السائد فأن الدول الأصغر في الأقليم — فضلا عن الأعراف الدولية وحرية ذرع البحار ، تتمتع — في ظل أصدقائها الأكبر — بدرجة اكبر من حرية الحركة ، لم تكن تحلم بها من قبل . ان الضغط ، والمنع ، والحرمان ، في ظروف الأستقطاب الدولي بما يتم به من صراع محكوم ، تعايش وتنافس في وقت معا ، مسألة غير واقعية ولا يمكن ان يتصور الا اذا اتفق عليه العملاقان، او سكت عنه العملاقان ، معا وفي وقت واحد . هذا شيء لا يسهل تصوره ، في ظل الصراع الدولي القائم اليوم .

وهذا ينقلنا الى ما يزعمه البعض ، وما يتمناه البعض الآخر ، من ان ينجح العرب ، اذا اجتمعت كلمتهم — في ان يغلقوا البحر الأحمر على **أسرائيل** . ويهمنا هنا — ان نتناول الأمر بشيء من الموضوعية .

ا — فحتى لو تصورنا ان تتحد كلمة كل الدول المطلة على البحر الأحمر — فيما عدا أسرائيل — على منع هذه الدولة من استعمال البحر الأحمر ، فأن هذا لا يضمن تحقيق الهدف ، لأن هناك — بالمصلحة والضرورة والواقع — دولا خارجية ، يمس هذا التصرف مصالحها ومكانتها ، ولا تستطيع أن تسكت عليه ، وهي قادرة على شل حركة من يحاولون هذا المنع . وليس من مصلحة الجانب الآخر في الصراع الدولي المحكوم الذي نعيشه أن يساعد على هذا المنع ، بما يحمله من معان ، وما قد يؤدي اليه تصرفه من مضاعفات .

ب — هذا فضلا عن ان **افتراض ان تتحد كلمة الدول المطلة على البحر الاحمر** في ظروف الأستقطاب التي تمر بها بلاد العالم الثالث ، هو افتراض غير واقعي .

جـ — بل ان افتراض تتحد كلمة **كل الدول العربية المطلة على البحر الاحمر** في ظروف الأستقطاب والصراع الأجتماعي التي تمر بها بلاد العالم الثالث هو افتراض غير واقعي .

د — ولقد أثبتت تجربة الحرب الأخيرة مع أسرائيل ، بعد فترة من بدئها ، ان محاولة اغلاق البحر الأحمر على اسرائيل لا يمكن ان تستمر : لأن الكتلة الغربية ، والولايات المتحدة بالأساس ، لا يمكن ان تسمح بهذا .

هـ — هذا فضلا عن ان لأسرائيل مخرجا آخر على البحار ، عن طريق البحر المتوسط ، ورغم أن هذا المنفذ — وكان هو منفذ أسرائيل الأساسي الى افريقيا الشرقية والى جنوبي وشرقي آسيا — رغم انه منفذ أطول كثيرا مما لو استعمل البحر الأحمر كمنفذ الى هذه المناطق ، فأن أسرائيل ، قبل عام ١٩٥٦ ، لم تركع على ركبتيهافي صراعها ، ولم تشل حركتها مع المناطق المذكورة . ولقد اظهرت الأحداث فيما بعد أن أغلاق البحر الأحمر على اسرائيل مسألة لا يمكنها ، ولا يمكن لأصدقائها الكبار ، أن يسلموا بها ، ويسكتوا عليها .

و — وبعد كل هذا ، فالكلام في هذا الموضوع هذه الأيام بعد ، ومع محاولات الوصول الى تسوية نهائية مع اسرائيل ، وهي تسوية تضمن بنصوص واضحة حرية حركة اسرائيل وحرية الحركة منهاواليها،يصبح غير ذي موضوع .

ويمكن ان ننتهي ، من كل ما سبق ، الى ان السيطرة المطلة على البحر الأحمر — في الظروف الدولية السائدة —

بواسطة قوة من خارجه ، أو قوة أوعدة قوى داخل هذا البحر أمر غير وارد ، وترتبط بهذه الحقيقة الحقيقة التالية : وهي أن إبعاد أية قوة عن البحر الأحمر ، أو منع أية قوة ، داخلية أو خارجية ، من أن تنزع هذا البحر وتستعمله ، وتمر منه الى ما وراءه هذا الأبعاد أمر غير وارد . ومن ثم فأن إبعاد البحر الأحمر عن وجود القوى الكبرى وعن نفوذ القوى الكبرى وعن صراعات القوى الكبرى أمر غير وارد . ذلك بارز اليوم ، كما لم يبرز في أي وقت مضى ، في ظروف الأستقطاب السائد في الظروف الراهنة ، ومع ظروف التداخل الشديد بين مستويات أو دوائر الصراع ، محلية كانت أو إقليمية ، أو عالمية .

ان تشابك المصالح وترابطها ، بين الجوانب المتقاربة ، على المستويات الثلاثة ، من ناحية : وتعارضها مع المصالح المتشابكة والمترابطة ، بين الجوانب المتقاربة ، على المستويات الثلاثة في الظروف الآخر للصراع ، من ناحية أخرى . هذا مع امكانية العمل المشترك وفاعليته الأكبر ، يجعل من مصلحة الأطراف المتصارعة تواجد الأصدقاء ، على المستوى الأقليمي ، وعلى المستوى الدولي الأشمل . هذا التواجد مسألة بالقطع — مفيدة . ومن ثم فهي مسألة تهم هذه الأطراف لدعم المساندة في المواجهة . بل أن **وجود القوى الصديقة** لدولة ما ، أو عدد من الدول في بحر ما ، سواء أكانت هذه الدول الصديقة من داخله أو من خارجه ، فضلا عن أن أحداً لا يستطيع أن يمنحه ببساطة ، فأنه مفيد لهذه الدولة أو هذه الدول ، من حيث انه يوازن وجود الآخرين من غير الأصدقاء ، ومن حيث أن هذا الوجود ، في ذاته ، يشكل رادعاً لمن قد تحدثه نفسه من غير الأصدقاء بالتحرك المضاد .

وفي ضوء كل ما سبق فأن التحدث عن تحويل البحر الأحمر الى بحر « محايد » أو « بحر سلام » ، كما يدعو البعض ، لن يتجاوز مجرد الكلام ، ولا يمكن أن يتحقق في ظروف عالم اليوم. ويكفي أن نشير هنا ، الى ما حدث بالنسبة لتحويل المحيط الهندي الى « بحر سلام » ، وإزالة القواعد العسكرية الموجودة في أجزائه المختلفة ، وذلك ، رغم قرارات الأمم المتحدة ، ورغم بيانات مجموعة دول عدم الانحياز ..الخ . أن أقصى ما قيل قريبا من هذه « الحيدة » على لسان دولة كبرى هو أن يتحقق ذلك على أساس « المساواة » ومن ثم فما دام وجود طرف قائماً ومستمراً فأن الطرف الآخر سيسعى للتواجد والأستمرار ولن تتوقف هذه العملية لقرار يتخذ هنا ، أو رغبة تبدى هناك .

بل أن بعض الأطراف المحلية والأقليمية قد ترى تواجداً ما مفيداً لها . بعكس تواجد ما في الجانب الآخر من الصراع فتغض الطرف عن التواجد الأول ، وتحمل بشدة على التواجد الثاني ، ويغلب أنها ، حين تتحدث عن إبعاد « القوى الكبرى » « والنفوذ الأجنبي » ، انما تقصد التواجد الثاني دون التوجد الأول .

يبقى بعد ذلك موضوع هام ، وهو العمل على تطوير التعاون بين البلاد المطلة على البحر الأحمر الذي هو همزة وصل تجمع فيما بينهما . سواء أكان ذلك بين كل بلاد البحر الأحمر أو **بين البلاد العربية** المطلة عليه .

ولا يمكن أن يكون عاقل ضد محاولات تطوير هذا التعاون والتنسيق بين هذه البلاد سواء فيما بين نشاطاتها كدول ، أو في عملها المشترك على استغلال ثروات البحر الأحمر ذاته ، والعمل ، في هذا المجال ، بأقصى الطاقة والى أقصى مدى ممكن أمر مطلوب .

وتدخل في هذا المجال قضية حيوية ، **هي** قضية الأمن في كل من بلاد البحر الأحمر ، وقضية الأمن الجماعي لبلاده العربية ، أو لبلاده جميعاً . ولا شك أن العمل المشترك في هذا المجال أمر مطلوب ، وكما ذكرنا سابقاً ، لأقصى مدى ممكن(٧) وتدخل في هذا المجال ، أيضاً ، قضية حيوية أخرى ، **هي** قضية تأمين حركة البترول عبر البحر الأحمر الى الشمال والغرب . والى جانب ما أشرنا اليه ، متصلا بهذا الموضوع ، في مكان سابق من هذا البحث : نكتفي هنا بأن نقرر أن هذه مسألة حيوية بالنسبة للكل بما في ذلك الدول الكبرى والعملاقة ، الأمر الذي يجعلها تهتم بأستمرار انسياب البترول ، بحرية ، في جميع منافذه . هذا فضلا عن وجود طريق بديل ، للطريق الذي يمثل البحر الأحمر حلقة هامة فيه ، وهو طريق رأس الرجاء الصالح .

ونختتم مقالنا بأن البحر الأحمر سيبقى — ولأمد غير قصير — بحراً مفتوحاً للجميع . وان البحر الأحمر سيبقى — ولأمد غير قصير مجالا للتعاون ، ومجالا للصراع ، بين دوله ، عربية أو غير عربية .. مع تداخل بين ذلك وبين الصراعات العالمية ، في المنطقة ، وعليها . ولا يمكن أن يهدأ الوضع فيه ، **بما يوسع دوائر التعاون ويعمقها ، الا اذا استقرت الأمور على أساس سليم من رضى الشعوب في اجزائه المختلفة ، وفيما بين هذه الأجزاء ، وفيما بين القوى الفاعلة في الصراع الدولي على وجه العموم .**

حــواشــي

(١) وهذا يتضمن الاتجار بين أجزائه المختلفة في منتجاتها المختلفة .

(٢) وفيما يتصل بالمناطق المعتدله الى الجنوب والجنوب الشرقي فأن أختلاف الفصول بين الشمال والجنوب يؤدي ، أيضاً ، الى قيام تبادل تجاري بين المناطق التي تقع على جانبي البحر الأحمر .

(٣) اذا نظرنا الى البحر الأحمر كجزء من وأمتداد للمحيط الهندي ، فأننا نلاحظ الأهتمام المتزايد بالمحيط الهندي ، وكثرة الدراسات والبحوث واللقاءات التي تناولت هذا المحيط ... وخاصة السنوات العشر الماضية . ولا زال هذا الأهتمام بالمحيط يتزايد بأطراد .

(٤) كانت بريطانيا العظمى تحرص على ان تكون متفوقة في البحر على الدولتين التاليتين لها في القوة البحرية مجتمعتين .

(٥) لو كان ما نعيش فيه مرحلة وفاق بين الدولتين العملاقين ، كما يصور البعض ، لأختلاف الوضع عما **هو** عليه ، بشكل جذري ، ولانطلقت أيدي الدولتين — في توفيق وتنسيق — في السيطرة وتقسيم العالم الى مناطق نفوذ بدرجة لا يمكن أن تحدث في الظروف التي نعيشها .

(٦) يكفي أن نشير ، على سبيل المثال ، الى تحركات القوات البحرية الأمريكية من الفلبين ، والقوات السوفيتية من فلاديفوستوك ، الى المحيط الهندي في الأيام الأخيرة ، والى وجود سفن تموين مع هذه القوات .

(٧) على أننا لابد وأن نتحفظ — مرة أخرى — مذكرين ، بأن في الظروف الراهنة ، عناصر تعمل أثرها ، وتضع الحدود والقيود ، على أنطلاق هذا التعاون والتنسيق ..وأن ما يتسم به الوضع الراهن من تركيز على بلاد العالم الثالث ، وخاصة المناطق ذات الأهمية الأقتصادية والأستراتيجية فيها ، ومن تداخل بين مستويات الصراع المتعددة ، : لا بد أن ينعكس على هذه المنطقة ، ويترك آثاره فيها .

في دراسة سياسة وتوجهات الحزب الشيوعي في فلسطين ١٩٢٤-١٩٢٨

ـ القسم الاول ـ

د. ماهر الشريف

مدخل :

استعرضنا في بحث سابق (١) حيثيات العملية التاريخية لولادة الحزب الشيوعي في فلسطين ، وقد رأينا بان النواة الأولى للحركة الشيوعية قد تشكلت ، في العام ١٩١٩ ، كنتاج لعملية تمايز سياسي وايديولوجي حصلت داخل الحركة العمالية اليهودية في فلسطين ، وحسمت في اعقاب الحرب العالمية الاولى وانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في ظل ظروف موضوعية كانت قد نضجت لذلك ، وبفضل المجهود الكبير الذي بذله عدد من الاشتراكيين اليهود للانسلاخ عن الحركة العمالية الصهيونية وتشكيل منظمة ثورية مستقلة .

وبعد ولادتها ، دخلت النواة الشيوعية الأولى في مرحلة مخاض سياسي وايديولوجي استمرت عدة سنوات ، واستطاعت على اثرها ان تترسخ في النضال ضد الايديولوجية الصهيونية عبر تحررها من اوهام « الصهيونية البروليتارية » .

ومع حلول العام ١٩٢٤ ، كانت المرحلة الاولى من مراحل تاريخ الحركة الشيوعية في فلسطين ـ مرحلة عدم الوضوح الفكري ـ قد انتهت ، ووافقت الأممية الشيوعية على انضمام الحزب الشيوعي في فلسطين الى صفوفها ، بعد ان اوصت قيادته بالسعي في سبيل « تعريب » صفوفه ، من خلال التوجه الى اقامة اوثق الصلات مع الجماهير الشعبية العربية ودعم حركتها الوطنية المناهضة للامبريالية ، وبذل كافة الجهود لتحويل الحزب من منظمة تقتصر على العمال الثوريين اليهود الى حزب شيوعي قطري ، يكون طليعة للكادحين العرب واليهود في فلسطين . فهل ستتمكن قيادة الحزب من تطبيق توجيهات الأممية الشيوعية وانجاز « مشروع التعريب » ، وفي اي اتجاه ستتوجه نشاط الحزب الشيوعي في فلسطين خلال هذه المرحلة الجديدة من اجل تطوره ؟ ...

قبل الاجابة على هذا السؤال ، نرى من الضروري التوقف قليلا عند مسألتين :

الأولى تتعلق بطبيعة الصلات التي كانت تقوم بين قيادة الأممية الشيوعية من جهة وبين فروعها القطرية ـ الاحزاب الشيوعية ـ من جهة اخرى .

والثانية تتعلق بطبيعة الخط السياسي العام الذي كانت تنتهجه الأممية الشيوعية تجاه المسألة القومية والكولونيالية خلال الفترة التاريخية التي نحن بصدد دراستها .

أ ـ طبيعة الروابط التي كانت تربط قيادة الأممية الشيوعية بفروعها القطرية :

حتى تاريخ انعقاد المؤتمر العالمي السابع (١٩٣٥)

، كانت قيادة الأممية الشيوعية ، ممثلة باللجنة التنفيذية ، ترتبط بروابط وثيقة مع الأحزاب الشيوعية القطرية . وكان المؤتمر العالمي الثالث الذي انعقد بموسكو خلال العام ١٩٢١ ، قد حدد بشكل دقيق طبيعة الصلات التي يجب ان تقوم بين قيادة الأممية وبين الاحزاب الشيوعية ، فقد اكدت مقررات المؤتمر التنظيمية (٢) على ضرورة وضع الحزب بمجموع اعضائه تحت قيادة الاممية ، وعلى مسؤولية لجنته المركزية تجاه المؤتمر العام للحزب وتجاه اللجنة التنفيذية للأممية ، كما أكدت المقررات على ان اللجان المركزية للاحزاب الشيوعية ملزمة بتطبيق توجيهات وقرارات قيادة الأممية الشيوعية . وقد دعيت الأحزاب المنتسبة الى صفوف الأممية لأن تفعل كل ما في وسعها للحفاظ على اوثق الروابط مع اللجنة التنفيذية للأممية . فكل فرع من فروع الاممية كان له ممثلون رسميون في موسكو ، يساهمون في اجتماعات ونشاطات اللجنة التنفيذية والهيئات واللجان التنظيمية المتفرعة عنها . وكانت قيادة الأممية تقوم بانتظام بايفاد افضل كوادرها لزيارة البلدان المختلفة والاحتكاك المباشر مع القيادات الشيوعية المحلية والتعرف على خصوصيات نشاطاتها ونضالاتها .

كانت الأممية الشيوعية منظمة مركزية تضم جميع الاحزاب الشيوعية الموجودة في العالم وتشرف على ادارة العملية الثورية العالمية . وكانت استراتيجية هذه المنظمة العالمية تتمحور حول هدف القضاء على النظام الراسمالي واقامة ديكتاتورية البروليتاريا العالمية . وفي سبيل الوصول الى هذا الهدف الاستراتيجي ، كانت الأممية الشيوعية تقوم بتحديد خطوط تكتيكية عامة ، تتناسب مع خصوصيات كل مرحلة من مراحل التطور التاريخي ومع موازين القوى بين معسكر الثورة ومعسكر الثورة المضادة . وكانت عملية تحديد هذه الخطوط التكتيكية تتم خلال المؤتمرات العالمية التي كان يشترك فيها وفود تمثل جميع الاحزاب الشيوعية ، او خلال الاجتماعات الموسعة التي كانت تعقدها بصورة دورية اللجنة التنفيذية للأممية ، باشتراك بعض ممثلي الأحزاب ، لمناقشة القضايا العامة المرتبطة بتكتيك الحركة الشيوعية . واحيانا ، كانت تبحث ، خلال هذه الاجتماعات ، القضايا المتعلقة بنشاط هذا الحزب او ذاك ، حيث كانت تتشكل لجنة خاصة تقوم ، في نهاية اعمالها ، بصياغة بعض التوجيهات والتوصيات النظرية والعملية لمساعدة الحزب المعني على انتهاج سياسة صائبة (٣) .

كانت فروع الأممية الشيوعية ملزمة بانتهاج الخط السياسي العام الذي تم اقراره ، بصورة ديمقراطية ، خلال المؤتمرات العالمية او خلال الاجتماعات الدورية الموسعة التي كانت تعقدها اللجنة التنفيذية . الا ان تنوع الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في مناطق العالم المختلفة ، وخصوصيات تطور الحركة العمالية المحلية في كل بلد من بلدان العالم ، كانت تطبع بسماتها نشاطات الأحزاب الشيوعية وتوجهها لتطبيق الخط السياسي العام للحركة الشيوعية العالمية . فالأممية الشيوعية كانت كلا شموليا معقد التركيب ، حيث كان لكل فرع من فروعها طابعه الخاص ، واسلوبه ـ إذا صح التعبير ـ في تطبيق الخط السياسي العام الملزم لجموع فصائل الحركة ، وكانت القيادات الشيوعية المحلية تلعب دورا هاما في عملية تحديد توجهات احزابها ، وتؤثر تاثيرا مباشرا على عملية تطبيق استراتيجية وتكتيك الحركة الشيوعية العالمية على الظروف الخصوصية السائدة في بلدانها المختلفة .

كانت هناك إذن علاقة ديالكتيكية مباشرة بين العام والخاص في نشاط الاحزاب الشيوعية ، وكانت طبيعة هذه العلاقة تختلف من حزب الى اخر ، بفعل تاثير عوامل متعددة منها ما يرتبط بتركيبة القيادة ، ومنها ما يرتبط بمقدار الاهتمام الذي توليه قيادة الأممية الشيوعية لنشاط هذا الحزب او ذاك ، وذلك حسب اهمية الدور النضالي الذي يلعبه ضمن العملية الثورية العالمية في كل مرحلة من مراحل تطورها التاريخي ...

ب ـ الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية في محور نشاطات الأممية الشيوعية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة :

لم تحظ المسألة القومية والكولونيالية ، التي نوقشت باستفاضة خلال المؤتمر العالمي الثاني وخلال مؤتمر باكو ، باهتمام بالغ خلال المؤتمر العالمي الثالث للأممية الشيوعية الذي انعقد بمدينة موسكو في الفترة الواقعة بين ٢٢ حزيران و ١٢ تموز ١٩٢١ . ويبدو بان هذا المؤتمر قد اكتفى بالتاكيد على اهمية تطبيق القرارات الخاصة التي اقرها المؤتمر العالمي الثاني بصدد المسألة القومية والكولونيالية (٤) ، ولم يجد الضرورة لاصدار قرارات اخرى حول هذه القضية .

اكد لينين في التقرير الذي قدمه امام مندوبي المؤتمر

العالمي الثالث (٥) بان الحركة العمالية الثورية لم تتبع ، خلال الفترة الواقعة بين المؤتمرين الثاني والثالث للأممية الشيوعية ، خطا مستقيما ، وانما اتبعت خطا متعرجا . فالثورة الاشتراكية لم تندلع ، كما كان متوقعا لها في البلدان الراسمالية المتقدمة ، مع ان عوارض الازمة الثورية كانت عديدة وهامة ضمن مجتمعات هذه البلدان . واكد لينين بان الراسمالية العالمية قد دخلت في مرحلة « الاستقرار المؤقت» وان على روسيا السوفياتية « حاليا » ان تتعايش في محيط راسمالي لفترة من الزمن . ماذا علينا ان نفعل الآن ؟ ـ تساءل لينين ـ : إن على الحركة الثورية العالمية ان تسعى بنشاط لتحضير الثورة البروليتارية ودراسة مراحل تطورها بشكل دقيق وملموس في البلدان الراسمالية المتقدمة ـ استطرد قائلا ـ .

وفي مثل هذه الظروف ، دعا المؤتمر العالمي الثالث الاحزاب الشيوعية الى السعي لكسب تاييد القطاع الاوسع من الطبقة العاملة ، والعمل لدفع فئات واسعة منها للانخراط في العملية الثورية ، وخوض نضال طويل النفس لخلق الظروف الموضوعية والذاتية الملائمة لتحقيق انتصار الثورة الاشتراكية . واكد المؤتمر بان الاداة الثورية الكفيلة بانجاز مثل هذه المهمة تتمثل بالجبهة العمالية المتحدة القائمة على وحدة العمل والنضال بين جميع العمال بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية وعن قناعاتهم الايديولوجية . وقد طالب المؤتمر الشيوعيين بالنضال في سبيل تشكيل مثل هذه الجبهة في بلدانهم المختلفة .

وفي نفس اتجاه تشكيل جبهة عمالية متحدة في البلدان الراسمالية المتقدمة ، طرح المؤتمر العالمي الرابع للأممية الشيوعية ، الذي انعقد بمدينة موسكو خلال الفترة الواقعة بين ٥ تشرين الثاني و ٥ كانون الأول ١٩٢٢ ، شعار الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة ، وذلك بهدف تنسيق النضال المناهض للامبريالية الذي تخوضه القوى الشيوعية والقومية في هذه البلدان ، وخاصة بعد ان سجلت الفترة التي سبقت انعقاد المؤتمر بعض التطورات المشجعة في العلاقات بين الشيوعيين وبين القوميين الثوريين خاصة في الصين ، وبدرجة اقل في اندونيسيا .

وخلال النقاشات التي دارت حول المسألة الكولونيالية وحول شعار الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية اوضح المندوب الاندونيسي « تان مالاكا » بأن هناك اختلافات جوهرية بين مسالة الجبهة المتحدة في اوروبا والجبهة المتحدة في الشرق ، واكد بان الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية في بلدان الشرق المستعمرة « ستكون جبهة متحدة ، ليس مع الاشتراكيين الديمقراطيين ، وانما مع القوميين الثوريين ، الذين يتبعون في النضال المعادي للامبريالية تكتيكات متنوعة ، مثل المقاطعة وحرب التحرير الاسلامية او الجامعة الاسلامية » (٦) .

ومن هنا ، فان تطبيق شعار الجبهة المتحدة يجب ان يكون اذن مشروطا بطبيعة الظروف الملموسة السائدة في كل بلد . وفي بلدان الشرق ، حيث تطرح مهام التحرر القومي ، وحيث الطبقة العاملة لا تزال في طريق التشكل ، فان على الشيوعيين ان يعطوا لشعار الجبهة المتحدة ، بالاختلاف عن رفاقهم في البلدان الراسمالية المتقدمة ، مضمونا قوميا تحرريا ، وليس مضمونا طبقيا اجتماعيا(٧) .

اقر المؤتمر العالمي الرابع في نهاية اعماله قرارا خاصا حول « المسالة الشرقية » ، دعا فيه الشيوعيين في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة للمساهمة « في كل حركة نضالية كفيلة بان تفتح لهم طريقا نحو الجماهير » ، كما دعاهم للنضال في سبيل اقامة الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية « التي ستساهم في كشف ترددات وتقلبات المجموعات المختلفة من القوميين البرجوازيين ، وستساعد في تصليب الارادة الثورية (عند الجماهير) ، وفي تجذير الوعي الطبقي عند العمال »(٨) .

كانت مهمة المؤتمر العالمي الخامس ، الذي انعقد بمدينة موسكو خلال الفترة الواقعة بين ١٧ حزيران و ٨ تموز ١٩٢٤ ، تكمن تجاه المسألة القومية والكولونيالية ، في جعل شعار الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية شعارا ملموسا ، خاصة بعد ان كانت الحركة الشيوعية العالمية قد اكتسبت ، خلال الفترة السابقة ، تجربة غنية في هذا المجال . ففي الفترة الواقعة بين المؤتمرين العالميين الرابع والخامس ، حدثت في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة عدة تطورات في العلاقات بين الشيوعيين وبين الحركات الوطنية ، كان من ابرزها تعزز التحالف القائم بين الكومنتانغ من جهة ، وبين الأممية الشيوعية والحزب الشيوعي الصيني من جهة اخرى .

اثناء تقديمه للتقرير الرئيسي حول المسألة القومية والكولونيالية ، لاحظ المندوب السوفياتي

« مانويلسكي » (٩) بأن المؤتمر العالمي الثاني قد تصدى في العام ١٩٢٠ لحل قضيتين رئيسيتين تتضمنان فكرة الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية وهما :

اولا : كيف يمكن للبروليتاريا العالمية الاستفادة من نضال الحركة القومية الناهضة لشعوب المستعمرات في سبيل انجاز مهمة تحرير الانسانية جمعاء من نير الامبريالية .

وثانيا : كيف ستتمكن شعوب المستعمرات ، بعد حصولها على دعم البروليتاريا العالمية ، ان تتجاوز مرحلة التطور الراسمالي وان تنتقل مباشرة الى مرحلة التطور الاشتراكي .

وقد ذكر « مانويلسكي » بان تجسيد شعار الجبهة الثورية المتحدة لم يكن ممكنا في العام ١٩٢٠ لأن الحركة الشيوعية العالمية كانت تفتقر آنذاك الى تجارب حية ملموسة في هذا المجال ، ودعا مندوبي المؤتمر العالمي الخامس للعمل على تجسيد هذا الشعار ، خاصة بعد ان تراكمت « التجربة العالمية حول اساليب تحقيق هذه الجبهة المتحدة » خلال السنوات الفاصلة بين تاريخ انعقاد كل من المؤتمرين العالميين الثاني والخامس .

انتقد « مانويلسكي » في تقريره الاحزاب الشيوعية في البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة واتهمها بانها قد جابهت « باستيحاء بالغ » ، خلال الفترة السابقة ، المسالة القومية والكولونيالية . واعلن بان نقص الاهتمام الذي اولاه الشيوعيون لهذه المسالة قد ادى الى ترك قيادة الحركة التحررية تفلت من ايدي الشيوعيين وتعود الى ايدي العناصر القومية البورجوازية . وقد انتقد « مانويلسكي » ، في هذا الاتجاه ايضا ، نقص الاهتمام الذي توليه الاحزاب الشيوعية الاوروبية للمسألة القومية ، وحذرها من وجود « بقايا اتجاهات اشتراكية ـ امبريالية بين صفوفها » .

أكد المؤتمر العالمي الخامس في القرار الذي اقره « حول التكتيك الشيوعي » (١٠) ، بان على الحركة الشيوعية الفتية في الشرق « ان تقدم مساندتها لحركة جميع القوميات المضطهدة (المناضلة) ضد الامبريالية ، وان تلتزم في ذلك بروح القرار الصادر عن المؤتمر العالمي الثاني » . ودعا القرار جميع الشيوعيين لأن يتذكروا دوما بان هذه الحركات القومية المناهضة للامبريالية تشكل « جزءا لا يتجزء من الحركة التحررية الكبرى القادرة وحدها على قيادة النضال وتحقيق انتصار الثورة ليس فقط في اوروبا ، وانما في العالم اجمع » .

الحزب الشيوعي في فلسطين يسعى لصياغة خط سياسي يتوافق مع تكتيك الأممية الشيوعية ومع توجيهات قيادتها :

بعد حصوله على اعتراف اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية ، تحول الحزب الشيوعي في فلسطين الى فرع قطري من فروع الأممية ، يناضل في سبيل تطبيق استراتيجية وتكتيك الحركة الشيوعية العالمية على الظروف الخاصة السائدة في فلسطين . فاعتبارا من بدايات العام ١٩٢٤ ، انتظمت العلاقات بين الحزب الشيوعي في فلسطين وبين قيادة الأممية الشيوعية ، واصبحت الاتصالات بينها تتم بصورة دورية (١١) . وكانت هذه الاتصالات تتم غالبا عن طريق « ابو زيام » السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين (١٢) ، الذي كان يتردد باستمرار على موسكو للمساهمة في اجتماعات اللجان والهيئات التنظيمية المختصة بقضايا الحركة الشيوعية في الشرق ، والمتفرعة عن اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية .

وفي اوائل تموز ١٩٢٤ ، وبهدف تحديد مبادىء خط سياسي يكون متوافقا مع توجيهات اللجنة التنفيذية للأممية ، دعت قيادة الحزب في فلسطين الى انعقاد المؤتمر الخامس . وقد انعقد هذا المؤتمر في مدينة حيفا ، بمساهمة ١٩ مندوبا ، وكان على جدول اعماله مناقشة النتائج التي قد تنتج عن طرد عناصر الكتلة العمالية الشيوعية من الهستدروت ، ومناقشة قضية « التعريب » (١٣) .

ساهم في اعمال المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي في فلسطين ، ولأول مرة ، مندوب عربي حاولت قيادة الحزب اظهاره ، امام مندوبي المؤتمر ، وكانه يمثل عددا من اعضاء الحزب العرب ، في الوقت الذي لم يكن فيه الحزب يتمتع ، على الاغلب ، سوى ببعض التاييد والنفوذ بين الجماهير العربية في مدينتي يافا وحيفا(١٤) .

خلال المداخلة التي القاها امام مندوبي المؤتمر ، اكد المندوب العربي على اهمية توجيه نشاط الحزب باتجاه الجماهير الكادحة العربية التي تختزن بين صفوفها طاقات ثورية هائلة ، وقال : « خلفي ، خلفنا ، هنالك آلاف ، بل عشرات الآلاف من العمال المضطهدين الذين لا ينتظرون سوى نداءنا ليحطموا قيود الاستغلال . ومعنا مئات الآلاف من الفلاحين الفقراء الذين

سينهضون ، لأنهم لم يعودوا قادرين على تحمل عبء العبودية التي يرزحون تحتها منذ مئات الأعوام »(١٥).

ناقش المؤتمر الخامس للحزب قضية العمل وسط الفلاحين العرب ، واكد على ضرورة توحيد نضال العمال في المدن مع نضال فئات البرجوازية الصغيرة « لأن الطبقتين تهدفان للقضاء على النظام القائم » . وفي نهاية اعماله ، اقر المؤتمر عدة مقررات ، تؤكد تصميم الحزب على تطبيق توجيهات قيادة الأممية الشيوعية ، كان من بينها قرار يقضي بفصل « مجموعة ايليشا » من صفوف الحزب لرفضها تأييد شعار « التعريب »(١٦).

واعتبارا من تاريخ انعقاد المؤتمر الخامس للحزب في تموز ١٩٢٤ ، بدات تتشكل بين صفوفه قيادة سياسية مستقرة نسبيا ومتجانسة في تركيبها ، تحمل اعضاؤها مسؤوليات قيادة النضال الشيوعي في فلسطين طوال المرحلة التاريخية التي نحن بصدد دراستها (او بشكل ادق طوال المرحلة التي امتدت من تاريخ انعقاد المؤتمر الخامس للحزب وحتى انفجار احداث هبة البراق في آب ١٩٢٩) .

إننا نعتقد بان دراسة سياسة وتوجهات الحركة الشيوعية في فلسطين خلال مرحلة تاريخية محددة من مراحل تطورها ، تتطلب من الباحث التوقف قليلا امام الرموز القيادية التي لعبت دورا مركزيا في صنع تجربة العمل الشيوعي خلال تلك المرحلة ، وطبعتها بطابعها الخاص ..فلنتعرف اذن على الاعضاء البارزين في قيادة الحزب الشيوعي في فلسطين ، الذين لعبوا دورا مركزيا خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٨ .

كنا قد عرضنا ، في بحثنا السابق ، لمحة عن سيرة حياة الشخصيتين الرئيسيتين في الحزب : « وولف اويرباخ » و « جوزيف برغر »(١٧) ، فلنستعرض سير حياة الرموز القيادية الاخرى ...

العضو الثالث في سكرتارية اللجنة المركزية للحزب كان « ناحوم ليشينسكي » (N. Leshchinski) . ولد في مدينة « كريفو – روغ » في روسيا ، في العام ١٩٠٣ ، وسط عائلة غنية من اليهود . كان واسع الاطلاع على الثقافة الروسية ، ويساهم في نشاطات احدى المجموعات الصهيونية – الاشتراكية . هاجر الى فلسطين في بداية العشرينات بعد ان انهى دراسته العالية في روسيا ، وانضم الى صفوف الحزب الشيوعي في فلسطين في العام ١٩٢٤ ، بعد ان تعرف على « ابو زيام » واعجب به ، وفي العام ١٩٢٦ ، انتخب عضوا في سكرتارية اللجنة المركزية للحزب ، وكلف – على هذا الاساس – بالقيام بعدة مهمات حزبية خارج فلسطين . كان يعتبر بمثابة منظر الحزب الرئيسي ، نظرا لسعة اطلاعه على مبادىء واسس النظرية الماركسية .

وفي العام ١٩٣٠ ، نفته سلطات الانتداب خارج فلسطين ، فتوجه الى مصر ، وهناك اعتقل من جديد بسبب نشاطه الشيوعي وبعد اطلاق سراحه ، هاجر الى الاتحاد السوفياتي ، حيث انتخب عضوا في اللجنة التنفيذية المشرفة على نشاطات الابحاث العلمية ، التابعة لجامعة كادحي شعوب الشرق . اعتقل في العام ١٩٣٦ خلال حملة التطهير ، وحكم عليه بالسجن لفترة طويلة ، وقد توفي وهو في طريقه الى معسكر الاعتقال . كان يوقع مقالاته السياسية باسم « نداف » (Nadav)(١٨).

العضو الرابع في سكرتارية اللجنة المركزية للحزب كان « موشي كوبر مان » (M. Koupermann) او « ايميك » كما كان يدعى . ولد في بولونيا ، وهاجر الى فلسطين في عداد الموجة الثالثة من الهجرة اليهودية ، وله من العمر عشرون عاما . كان ينتسب الى احدى مجموعات « الرواد » من المستوطنين الصهاينة ، ويساهم في نشاطات « فرقة بوروشوف » التي كانت تعمل في تعبيد الطرقات . انضم في العام ١٩٢٢ الى صفوف الحزب الشيوعي اليهودي – بوعالي تسيون ، الذي كان يعتبر – في نظر اعضائه – بمثابة « الفرع القومي اليهودي » للحزب الشيوعي في فلسطين . وفي العام ١٩٢٤ ، انتخب عضوا في اللجنة المركزية للحزب ، وكلف بالاشراف على جهاز الامن السري ، الذي كان يتشكل من مجموعات خاصة تدعى « مجموعات بويفكا » وتضم اقدر عناصر الحزب في مجال العمل السري . وقد لعبت هذه المجموعات دورا مركزيا في تنظيم الزيارات التي كان يقوم بها موفدو قيادة الاممية الشيوعية الى فلسطين ، وحين تامين وصول « ابو زيام » الى البلاد خلال احداث هبة البراق ، وفي انقاذ « برغر » من الوقوع في شباك البوليس في القدس .

وكان يعاون « كوبرمان » في ادارة نشاط جهاز الامن عضو بارز في صفوف الحزب يدعى « لوكاتشر » . ولد هذا الاخير في روسيا ، وهاجر الى فلسطين قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى . وهناك انضم الى « فرقة العمل » الصهيونية ، وشغل منصب ضابط في صفوف الجيش التركي . وتدرب مع الهاغانا في المانيا خلال عامي ١٩٢٣ – ١٩٢٤ . انضم الى صفوف الحزب الشيوعي في فلسطين بعد ان انهى دراسته العالية في تل – ابيب . ويعتقد بانه لعب دورا بارزا في تامين الصلات بين الحزب وبين قادة انتفاضة الدروز في سوريا . ابعدته سلطات الانتداب خارج فلسطين في العام ١٩٣٢ ، فعاد الى روسيا ، وهناك تم اعتقاله – مع برغر – خلال حملة التطهير ، حيث امضى خمس سنوات في معسكر الاعتقال . ويعتقد بانه قد توفي خلال الحرب العالمية الثانية في ظروف غامضة (١٩) .

العضو الخامس البارز في قيادة الحزب كان « ناحمان ليست » (N. List) الذي لم يكن عضوا في سكرتارية اللجنة المركزية . ولد في روسيا ، وكان ينتمي الى حزب البوعالي – تسيون . انجذب نحو البلشفية ، بعد انتصار ثورة اكتوبر ، وتطوع في صفوف الجيش الاحمر ، حيث كان يشغل منصب مفوض سياسي في احدى الوحدات العسكرية ، قبل ان ينتقل للعمل في وزارة الشؤون العسكرية . هاجر الى فلسطين في العام ١٩٢٢ ، وانضم الى صفوف الجناح اليساري في البوعالي تسيون . دعاه « جوزيف برغر » (برزيلاي) في العام ١٩٢٣ للانضمام الى صفوف الحزب الشيوعي المتشكل حديثا ، فوافق على الفور . تحمل مسؤولية عدة مهمات تنظيمية وسياسية في قيادة الحزب ، كما ساهم ، عدة مرات ، في تامين الصلات بين الحزب وبين مركز الأممية الشيوعية في موسكو . كان نشيطا جدا في صفوف الفرع الفلسطيني التابع لمنظمة النجدة الحمراء العالمية ، التي كانت تعني بشؤون المعتقلين الشيوعيين ، وقد مثل فلسطين في المؤتمر العالمي الذي عقدته هذه المنظمة في موسكو في العام ١٩٢٨ . كانت سلطات الانتداب دائبة البحث عنه ، وقد تمكنت اخيرا من اعتقاله على سطح احد الابنية ، في صيف العام ١٩٢٨ ، وبحوزته محاضر اجتماعات اللجنة المركزية للحزب ، ويقال بان دوائر الأممية الشيوعية قد نصحته بعد ان حكم عليه بالنفي خارج فلسطين ، بتزوج صديقته المولودة في فلسطين ليحول بينه وبين النفي . غير ان زواجه من صديقته لم يمنع السلطات الانكليزية من اخراجه بالقوة خارج فلسطين على ظهر باخرة سوفياتية انطلقت من ميناء يافا .

ساهم « ليست » الى جانب « ابو زيام » في اعمال المؤتمر العالمي السادس للأممية الشيوعية الذي انعقد بمدينة موسكو في صيف العام ١٩٢٨ . وقد كتب بهذه المناسبة عدة مقالات عن الاوضاع السياسية في فلسطين نشرتها صحيفة « البرافدا » . وفي نيسان ١٩٢٩ ، اوفدته قيادة الأممية الشيوعية الى سوريا ولبنان للمساهمة في اعادة تنظيم الحزب الشيوعي ، وبقي هناك حتى العام ١٩٣٣ ، حيث تلقى امرا بالتوجه الى فرنسا كمبعوث للأممية الشيوعية لدى قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي . تخلى عن نشاطه السياسي في العام ١٩٣٦ بعد ان قطع كافة الروابط التي كانت تربطه بالحركة الشيوعية العالمية . وفي العام ١٩٥٦ توجه الى اسرائيل ، وبدا بكتابة مذكراته التي تعتبر حاليا – في نظر عدد من المؤرخين الغربيين – من اهم المراجع الخاصة بتاريخ الحركة الشيوعية في فلسطين(٢٠) .

العضو السادس البارز في قيادة الحزب كان « يعقوب تيبر » (او « ايلي تيبر » حسب بعض المؤرخين) . ولد في روسيا وكان ينتسب الى احدى مجموعات الاشتراكيين – الثوريين في اوديسا . هاجر الى فلسطين ، وانضم الى صفوف الحزب الشيوعي ، حيث انتخب ، في كانون الثاني ١٩٢٦ عضوا في سكرتارية لجنته المركزية . اوفدته قيادة الحزب في صيف العام ١٩٢٥ الى بيروت للمساهمة في الاتصالات التي جرت لتوحيد « شبيبة سبارتاك » الشيوعية الارمنية مع المجموعة الشيوعية العربية الملتفة – آنذاك – حول « يوسف يزبك » و « فؤاد شمالي » ، وفي تامين الصلة مع مركز الاممية الشيوعية في موسكو . وقد انتخب عضوا في اول لجنة مركزية للحزب الشيوعي في لبنان وسوريا ، بعد توحيد المنظمات العربية والارمنية .

اعتقلته سلطات الانتداب الفرنسية ، في اوائل العام ١٩٢٦ ، في مدينة بيروت ، واتهمته بالتعاون مع الثوار السوريين . وبعد خروجه من المنفى ، في كانون الثاني ١٩٢٨ ، اجبرته السلطات الفرنسية على مغادرة الاراضي السورية ، فاضطر للرجوع الى الاتحاد السوفياتي ، حيث شغل عدة مناصب قيادية في صفوف الاممية الشيوعية . وبعد ايفاده في مهمة قصيرة الى مصر ، عاد من جديد الى موسكو ، وعين مدرسا في جامعتها قبل ان يتسلم مسؤولية قسم الدراسات الشرقية . لعب « تيبر »

خلال الحرب العالمية الثانية ، دورا بارزا في النشاطات التجسسية التي قامت بها ، لصالح الجيش الاحمر السوفياتي ، « الاوركسترا الحمراء »(٢١) .

العضو الاخير في سكرتارية اللجنة المركزية للحزب كان « جوزيف غالاش » (J . Galach) او « الراهب » كما كان يدعى في صفوف الحزب ، كان الوحيد ، بين قادة الحزب ، من اصل بروليتاري .وكان يشرف على توجيه نشاطات « الكتلة العمالية » ، وقد اوفدته قيادة الحزب في عدة مهمات خارج فلسطين ، حيث كان يمثل حزبه في اجتماعات اللجان والهيئات المتفرعة عن الأممية النقابية الحمراء . اعتقلته سلطات الانتداب الانكليزية ، واجبرته على السفر الى الاتحاد السوفياتي . وفي العام ١٩٢٨ ، عاد الى فلسطين بصورة سرية ، وبقي فيها حتى اوائل العام ١٩٣٠ ، حينما قرر العودة الى موسكو من جديد لمتابعة دراسته . اعتقل خلال حملة التطهير ، ويعتقد بانه قد توفي في العام ١٩٣٦(٢٢) .

بعد هذا الاستعراض السريع لسير حياة الاعضاء البارزين في قيادة الحزب الشيوعي في فلسطين ، سنحاول الان دراسة سياسته وتوجهات الحزب خلال المرحلة التاريخية التي نحن بصدد دراستها ، على ان نقوم – بعد نلك – بتحليل التاثيرات التي تركتها طبيعة تركيبة هذه القيادة على سياسة وتوجهات الحزب ...

* * *

انطلاقا من استراتيجية وتكتيك الأممية الشيوعية ، وانطلاقا من سياستها تجاه المسألة القومية والكولونيالية ، وعلى قاعدة توصيات لجنتها التنفيذية ، اتجه نشاط الحزب الشيوعي في فلسطين نحو تحقيق الاهداف الثلاثة التالية :

١ – انجاز « قطرية » الحزب أو « تعريب » صفوفه .

٢ – اقامة الجبهة العمالية المتحدة .

٣ – اقامة الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية .

كان توجه الحزب في المجال الأول يهدف الى تحويل الحزب من « منظمة للمهاجرين اليهود » الى منظمة « اممية » ، وذلك عن طريق السعي الى كسب الكادحين العرب الى صفوفه . وفي حين ان نشاط الحزب في المجال الثاني قد تركز على قضية العلاقات مع المنظمات العمالية الصهيونية « الاصلاحية » وعلى قضية العلاقات بين العمال اليهود والعمال العرب ، فان التعاون مع الحركة القومية العربية في النضال المعادي للامبريالية قد شكل محور نشاط الشيوعيين في المجال الثالث .

طوال العشرينات ، كان تياران اثنان يتعايشان داخل صفوف الحزب الشيوعي في فلسطين : التيار « البيشوفي » ، اي التيار الذي كان يؤكد على ضرورة توجيه نشاط الحزب اساسا باتجاه التجمع اليهودي في فلسطين « البيشوف » ، وبشكل اخص باتجاه قطاعه العمالي ، والتيار الذي كان يؤمن بضرورة « تعريب » الحزب ليس فقط على صعيد تركيبه الداخلي ، وانما ايضا على صعيد توجه سياسته ونشاطاته . وطوال العشرينات ، بقي التيار الاول « البيشوفي » سائدا ، بشكل واضح ، داخل قيادة الحزب .

كان ممثلو هذا التيار يعتبرون التجمع اليهودي في فلسطين نواة لمجتمع راسمالي متطور ، يتشكل على النمط الغربي وينقسم ، بصورة رئيسية ، الى راسماليين والى عمال . وكان ممثلو هذا التيار يعتقدون بان البروليتاريا الواعية لمصالحها الطبقية والمجربة نضاليا ، كانت تتواجد داخل هذا التجمع بالذات . ومن هنا ، ينبغي على الحزب الشيوعي في فلسطين ان يوجه نشاطاته ، بشكل رئيسي باتجاه هذا التجمع .

وقد ترتب على هذا التوجه باتجاه القطاع العمالي داخل التجمع الاستيطاني اليهودي ، اعطاء اهمية خاصة لنشاط الحزب في مجال العمل النقابي ، وفي مجال العلاقة مع المنظمات العمالية الصهيونية « الاصلاحية » و « القومية » . وهكذا استحوذت قضية اقامة الجبهة العمالية المتحدة على الاهتمام الاكبر لقيادة الحزب ، طوال المرحلة التاريخية التي نحن بصدد دراستها ، وتراجعت قضيتا « التعريب » واقامة الجبهة المتحدة المعادية للامبريالية الى المقام الثاني في اهتماماتها .

في القسم الاول من هذه الدراسة سنقوم باستعراض نشاطات الحزب في مجال العمل النقابي ، على ان نقوم في قسمها الثاني ، بدراسة قضية « التعريب » وقضية الجبهة المعادية للامبريالية .

اولا : نضال الحزب الشيوعي في سبيل وحدة الحركة النقابية في فلسطين

ولكن ما هي السياسة التي كان ينتهجها الحزب في مجال العمل النقابي ؟ في مقال نشر في بداية العام ١٩٢٤ ، يحاول « ابو زيام » الاجابة على هذا السؤال ...

ففي تحليله للمبادىء العامة التي تسير السياسة الشيوعية في مجال العمل النقابي ، كتب سكرتير الحزب(٢٣) :

« بالاختلاف (...) عن الحركة النقابية في البلدان الراسمالية ، فان الحركة النقابية في المستعمرات هي في اساسها ليست حركة اقتصادية مطلبية ، وانما هي حركة سياسية قومية (...) .

ان المهمة الرئيسية للثوريين داخل الحركة النقابية في الشرق تتجسد ، قبل كل شيء ، في جعل النقابات منظمات تستلهم روح الصراع الطبقي ، من خلال ابعاد العناصر الغريبة على الطبقة العاملة عن صفوفها ... وان النضال في سبيل اقامة نقابات طبقية ، لا ينبغي ان يتم عن طريق تجزئة القوى العمالية ، فليس مطلوبا اقامة نقابات صغيرة ، تضم العمال الثوريين وحدهم ، بل ينبغي النضال داخل النقابات القومية ، والسعي ، شيئا فشيئا ، الى احتلال مواقع المسؤولية داخلها (...) .

اما بخصوص البلدان التي يتواجد فيها عمال مهاجرون اوروبيون ، يعملون في ظل ظروف عمل افضل من ظروف عمل البروليتاريا المحلية ، فانه ينبغي المطالبة باجور متساوية وبشروط عمل واحدة لجميع العمال دون تمييز . وينبغي كذلك محاربة الطابع الفئوي (النخبوي) الذي تتصف فيه منظمات العمال الاوروبيين النقابية ، ومحاربة طابعها الارستقراطي الاوروبي .

ولكن ، – يتابع ابو زيام – اذا كانت مشاعر الكراهية القومية متجذرة عميقا في نفوس الجماهير العمالية ، واذا كانت هذه المشاعر تشكل عائقا امام عملية اقامة نقابات مختلطة ، فانه من الممكن ، في هذه الحالة ، تشكيل خلايا نقابية مستقلة تضم العمال المحليين (...) وليس ينبغي على العمال الثوريين ان يتخوفوا من احتمال وقوع هذه الخلايا العمالية ، في يوم ما ، في قبضة العناصر القومية ، نلك ان تواجد منظمات عمالية طبقية حقيقية ، سيؤول الى تسريع عملية امتلاك الوعي الطبقي ، وسيؤدي في النهاية الى اقامة حركة نقابية ثورية حقيقية ، تستلهم روح الصراع الطبقي » .

كان التطبيق العملي للسياسة النقابية العامة ، التي عرضها ابو زيام ، على الواقع الملموس السائد في فلسطين ، يعني :

١ – لا ينبغي على الحزب الشيوعي في فلسطين ان يسعى لاقامة نقابات ثورية صغيرة ، بل ينبغي على اعضاء « الكتلة العمالية » الشيوعيين الاستمرار في العمل داخل المنظمة النقابية « القومية » – الهستدروت – والسعي للسيطرة ، شيئا فشيئا ، على مواقع المسؤولية داخلها .

٢ – تتركز المهمة الرئيسية لاعضاء « الكتلة » وانصارها في السعي لتحويل هذه النقابة من منظمة « قومية » و « اصلاحية » الى منظمة طبقية حقيقية ، وذلك عن طريق ابعاد المثقفين وارباب العمل الصغار عن صفوفها .

٣ – ينبغي على اعضاء « الكتلة » المطالبة باجور متساوية وبشروط عمل واحدة بالنسبة لجميع عمال فلسطين من عرب ويهود ، كما ينبغي عليهم النضال في سبيل اقامة منظمات نقابية « اممية » من خلال المطالبة بقبول انتساب العمال العرب الى صفوف « الهستدروت » .

٤ – وفي حالة تعذر تحقيق هذه المهمة الاخيرة ، ينبغي على اعضاء « الكتلة » تاييد قيام خلايا نقابية مستقلة تجمع العمال العرب وحدهم ، ولكن على شرط اعتبار ذلك بمثابة خطوة انتقالية على طريق اقامة حركة نقابية ثورية واممية ، تجمع العمال العرب واليهود جنبا الى جنب .

ولكن ، كيف كانت تظهر الحركة النقابية في فلسطين ، عندما سعى ابو زيام لصياغة الخط العام الذي كان ينبغي على الحزب انتهاجه بصدد المسألة النقابية ؟ ...

في تقرير مرسل من الحزب الشيوعي في فلسطين الى قيادة الاممية النقابية الحمراء ، بمناسبة انعقاد مؤتمرها العالمي الثالث ، يمكننا ان نقرأ :

ووعد بان ترسل لجنة خاصة من الأممية النقابية الحمراء لدراسة هذا الموضوع دراسة شاملــة(٣٤) .

وقد اوفدت الأممية النقابية الحمراء ، فيما بعد ، احد اعضائها الى فلسطــين ، ويدعــى « هــيركل » (Herkle) او « ميشلي » وهو من قادة الحــركة النقابية الثورية الفرنسية ، وذلك بهدف تسوية الخلاف مع البوعالي تسيون وانهاء قضية اقامة جبهة نقابية . وخلال النقاشات التي اجراها مع قادة البوعالي تسيون ، ساند « هيركل » مواقف الكتلة العمالية الشيوعية المناهضة للصهيونية ، واتخذ موقفا مناهضا لبوعالي تسيون ، مفاده ان مسالة الهجرة اليهودية الى فلسطين هي مسالة دينية خارجة عن نطاق مسؤوليات الجبهة النقابية المقترحة ، واكد مبعوث الاممية النقابية الحمراء بان معارضة الكتلة للهجرة الصهيونية الى فلسطين كانت دوافعها اعتبارات اقتصادية ، تتعلق بشكل خاص ، بالخوف من تفشي ظاهرة البطالة(٣٥) .

ويعقب هين ــ توف (المتعاطـف مع الصهيونية بوضوح) على فشل المباحثات التي جرت بين موفد الاممية النقابية الحمراء وبين قيادة البوعالي تسيون ، فيقول : « لقد كانت تلك محاولة لتبييض صفحة الحزب الشيوعي الفلسطيني المنبوذ ، وتامين اعادة قبوله في الهستدروت عبر البـاب الخلفـي . فلمـا انهـارت المفاوضات ، اتهم « ميشلي » البوعالي تسيون بالتعصب القومي وبكونه تابعا للبرجوازية . وكما كانت الحال عند محاولة البوعالي تسيون الانضمام الى الكومنترن ، فان الشيوعية والصهيونية كانتا هنـا ايضـا على طرفي نقيض ، حتى بخصوص المسالة التكتيكية المتعلقة بالتعاون في مجال النشاط النقابي »(٣٦) .

بعد فشل المباحثات مع البوعالي تسيون ، تابعت الكتلة العماليـة بمفردهـا نشاطهـا السري داخـل الهستدروت ، حيث اضطرت الى تغيير اسمها اكثر من مرة(٣٧) ، وكانت قيادتها تامل بان يساهم نشاط اللجنة الانكليزية ــ الروسية في تعزيز الاتجاهـات الوحدوية داخل الحركةالعمالية الصهيونية في فلسطين . وبهذا الخصوص ، كتب برغر :

« عندما تتحقق الوحدة النقابية على الصعيد العالمي ، سيقضي حتما وسريعا على الاتجاهات الانقسامية ــ الاصلاحية في فلسطين » (٣٨)

ساعدت الأزمة الاقتصادية الخانقة التي عرفتهـا فلسطين خلال الفترة الواقعة بين اواخر العام ١٩٢٥ واواخر العام ١٩٢٧ ، على تعزيز مواقع الكتلة العمالية داخل التجمع العمالي اليهودي . فخلال العام ١٩٢٥ ، وصل الى فلسطين (٣٤٠٠٠) مهاجرا يهوديا جديدا في عداد « الموجة الرابعة من الهجرة » . وقد كانت التركيبة الاجتماعية والمهنية لهذه الموجة الجديدة من الهجرة تختلف تماما عن تركيبة الهجرات التي سبقتها . فكانت غالبية المهاجرين الجدد تنتمي الى شرائح وفئات الطبقات الوسطى في اوروبا الشرقية ، وتتالف من البرجوازيين الصغار ، واصحاب الحوانيت ، والحرفيين الذين كانوا يفضلون الاستقرار في المدن ، وخاصة في مدينة تل ــ ابيب . ومع وصولهم ، بدات تستفحل في فلسطين ازمة اقتصادية خانقة ، كان من ابرز مظاهرها تفشي البطالة بين صفوف العمال اليهود . ففي نهاية العام ١٩٢٥ ، وصل عدد العاطلين عن العمل الى (٢٦٠٠) عاطلا ، وارتفع هذا العدد الى (٧٥٠٠) عاطلا خلال العام ١٩٢٧ . وقد شهدت تلك الفترة عدة اضرابات ومظاهرات عمالية ، لعب فيها الشيوعيون دورا هاما ، استطاعوا استغلالها في سبيل تعزيز مواقع حزبهم بين صفوف العمال اليهود . فعلى الصعيد الانتخابي مثـلا ، حازت لائحة الحزب على (١٠٢٣) صوتا خلال الانتخابات التي جرت في كانون الاول ١٩٢٥ لانتخاب جمعية المندوبين التي تشرف على تسيير امور « الييشوف » . وقد استطاع الحزب ، خلال هذه الانتخابات ، الحصول على اكثر من ١٠٪ من اصوات عمال المدن الكبرى الرئيسية(٣٩) .

ومن جهـة اخـرى ، ساهمـت ظروف الازمـة الاقتصادية في تجديد امكانيات عمل الحزب الشيوعي والكتلة العمالية وسط اليسار الصهيوني . ففي تلك الفترة لعب الشيوعيون دورا مركزيا في احداث الانقسام داخل صفوف « فيلق العمل » الصهيوني ، وفي دفع مجموعة من اعضائه لمغادرة فلسطين والهجـرة الى الاتحاد السوفياتي .

وكان هذا « الفيلق » قد تشكل في العام ١٩٢٠ على ايدي مجموعة من المهاجرين الشبان ، الذين كانوا متاثرين بتعاليم الثورة الروسية . وترجع علاقة الحزب الشيوعي بـ « فيلق العمل » الى شهر تشرين الاول ١٩٢٤ ، عندما قررت الكتلة العمالية تسريب عدد من

اعضائها بصورة سرية ، الى صفوفه . وسرعان ما ادى نشاط الكتلة السري الى ظهور تيارين متناقضين داخله . وفي كانون الاول ١٩٢٦ ، انقسم الفيلق على نفسه الى فيلقين : فيلق يساري وفيلق يميني(٤٠) .

وفي العام ١٩٢٨ ، حدث تطور جديد في نشاط الفيلق اليساري عندما قرر (٣٨) عضوا من اعضائه مغادرة فلسطين والهجرة الى الاتحاد السوفياتي ، حيث تم توطينهم في تعاونية زراعية في منطقة القـرم تدعـى « فيانوفا » (٤١). ومن هناك ، بعث قائد المجموعة « الكند » (Elkind) برسالة الى قيادة الحـزب الشيوعي في فلسطين ، جاء فيها : « لقد اقمنا هنا مستوطنة زراعية تعاونية اوسع ، واكثر تطـورا من المستوطنة التي كنا نقيم فيها في فلسطين ، وقد انجزنا ذلك خلال وقت اقصر بكثير ، بفضل المساعدة الخيرة التي تقدمها الحكومة السوفياتية للمهاجريـن اليهود »(٤٢) .

بعد فشل المحاولات التي جرت لاقامة « جبهة نقابية ثورية » داخل الهستدروت ، تجمع اعضـاء الكتلـة العمالية واعضاء البوعـالي تسيـون ، قام الحـزب الشيوعي في فلسطين ، في النصف الثاني من العام ١٩٢٥ ، بتنظيم نواد عمالية للوحدة النقابية ، اطلق عليها اسم « حركة ايحود » (Ihoud) وكانت هذه النوادي ، في البداية عبارة عن حلقات للاجتمـاع والنقاشات السياسية ، اقامها الحزب في يافا وحيفا والعفولة وبيتاح تكفا . وسرعان ما تحولت هذه النوادي الى حركة عمالية جماهيرية ، تضم العمال العاطلين عن العمل ، والمستائين من سياسة الاحزاب العماليـة الصهيونية . وكان الشيوعيون يهدفون الى تحويل هذه النوادي الى حركة ضاغطة تسعـى ، على الصعيـد العالمي ، الى دعم الاهداف التي قامت من اجلها اللجنة الانكليزية ــ الروسية ، والضغط على قيادة الهستدروت ودفعها لتاييد نشاطات هذه اللجنة الهادفة الى تحقيق وحدة الحركة النقابية العالمية ، امـا على الصعيـد الوطني ، فقد ناضلت « حركة ايحود » في سبيل تحقيق الهدفين التاليين :

١ ــ تحويل الهستدروت من منظمة نقابية « قومية » الى منظمة « اممية » عن طريق تنظيم جماهير العمال العرب في صفوفها .

٢ ــ تصفية اسلوب الطرد الذي كانت تمارسه قيادة الهستدروت بحق العمال الثوريين ، والنضال في سبيل عودة اعضاء الكتلة العمالية لممارسة نشاطاتهم العلنية داخل صفوف الهستـدروت(٤٣) .

وعلى الرغم من حملة الارهاب التي تعرض لهـا مناضلوها ، الا ان حركة الوحدة العمالية استطاعت سريعا كسب بعض النفوذ بين صفوف العمال اليهود ، يشهد على ذلك العريضة التي قدمتها ، في ايلول ١٩٢٦ ، والتي كانت تحمل (٢٥٠٠) توقيعا ، تطالب فيها اللجنة التنفيذية للهستدروت برفع حصارها عن الكتلة العماليــة(٤٤) .

في اواخر العام ١٩٢٦ ، وفي نطاق الحملة التحضيرية لانتخاب مندوبي المؤتمر الثالث للهستدروت ، الذي كان مقررا عقده في اواسط العام ١٩٢٧ ، دعت « حركة ايحود » الى عقد مؤتمرها العام الاول . وقد انعقد هذا المؤتمر في الفترة الواقعة بين ١٧ و ١٩ كانون الاول ١٩٢٦ ، بمساهمة (٨٠) مندوبا ، منهم على الاقل ــ حسب برغر ــ (٢٥) ممثلا عن العمال العرب(٤٥) .

تسلم مؤتمر الوحدة الاول ، في بداية اعماله ، برقيات دعم عديدة ، كان من اهمها البرقيات التي تسلمها من المجلس العام لمؤتمر النقابات البريطانية ، ومن اللجنة النقابية الانكليزية ــ الروسية ، ومن المكتب التنفيذي للامية النقابية الحمراء . ولم يتوان عن ارسال مثل هذه البرقيات « سوى اممية امستردام الاصلاحية التـي ارسلت ردا سلبيا على الدعوة التي وجهت اليها » .

تضمن جدول اعمال المؤتمـر الاول لـ « حـركة ايحود » استعراض ومناقشة النقاط التالية :

١ ــ اوضاع حركة الوحدة النقابية العالمية .

٢ ــ اوضاع الحركة النقابية في فلسطين .

٣ ــ تقرير حول نشاطات « نوادي ايحود »

٤ ــ قضية العمل بين العمال العرب

٥ ــ قضية التشريعات العمالية

٦ ــ دراسة الوسائل الكفيلة بدفع العاملات والشبان للمساهمة في نشاطات الحركة النقابية .

٢٠ ـ **المصدر ذاته** ، ص ٣٦ ـ ٣٧ .

٢١ ـ **المصدر ذاته** ، ص ٣٧ . انظر كذلك محمد دكروب : **جذور السنديانة الحمراء** . حكاية نشوء الحزب الشيوعي اللبناني ١٩٢٤ ـ ١٩٣١ ، دار الفارابي بيروت ، تشرين الأول ١٩٧٤ ، ص ٢٢٠ ـ ٢٣٢ .

٢٢ ـ انظر هين ـ توف ، **الكومنترن والصهيونية في فلسطين** ،المصدر المذكور ، ص ٢٧ .

٢٣ ـ انظر ابو زيام : « **المسألة القومية داخل الحركة النقابية في الشرق** » ، في « الاممية النقابية الحمراء » ، رقم ٤٠ ، ايار ١٩٢٤ ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٢ . (الطبعة الفرنسية) .

٢٤ ـ **انظر : نشاط الأممية النقابية الحمراء** ، تقرير مقدم الى المؤتمر العالمي الثالث (موسكو ١٩٢٤) ، مكتبة العمل ، باريس ، ١٩٢٤ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

٢٥ ـ انظر ج. برغر : « النضال في سبيل الوحدة النقابية » (رسالة من القدس) ، في « **الاممية النقابية الحمراء** » ، رقم ٥٧ ، تشرين الأول ١٩٢٥ ، ص ٨٤٢ ـ ٨٤٤ . انظر كذلك : ماهر الشريف : « مؤتمر العمال العرب الأول » ، في « **شؤون فلسطينية** » ، **رقم ٥٠/٥١ ، اكتوبر ـ نوفمبر ١٩٧٥** ، ص ٢٩٢ ـ ٣٠٢ .

٢٦ ـ طبعا هذا العدد الذي اورده سليمان بشير عن مقال لسكرتير الحزب ، نشرته مجلة المراسلات العالمية ، مبالغ فيه جدا . انظر : د. سليمان بشير : **المشرق العربي في النظرية والممارسة الشيوعية ١٩١٨ ـ ١٩٢٨** ، منشورات القرامطة ، القدس ، ص ٢٤٣ . لمزيد من التفاصيل عن ظروف الحملة القمعية التي جابهها الحزب في تلك الفترة ، انظر :

ـ س . و (S.O.) (القدس) : « ملاحقة الشيوعيين في مصر وفلسطين » ، في « **المراسلات الصحفية الأممية** » ، رقم ٦٣ ، ١٩٢٤ .

أ.م. (A.M.) (القدس) : « السيطرة الانكليزية في فلسطين » ، في « **المراسلات الصحفية الأممية** » ، رقم ٥٧ ، ٣ حزيران ١٩٢٥ .

٢٧ ـ هذا ما ورد في الرسالة التي وجهها «دانيل» سكرتير الحزب من موسكو الى قيادة الحزب في فلسطين ، وقد ورد ذكرها في احد تقارير الاستخبارات الانكليزية عن نشاط الشيوعيين في فلسطين . انظر م. اوفينبرغ ، الشيوعية في فلسطين ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

٢٨ ـ انظر : اللجنة التنفيذية للأممية الشيوعية والمكتب التنفيذي للأممية النقابية الحمراء : « في سبيل وحدة الحركة النقابية العمالية » في « **الأممية النقابية الحمراء** » ، رقم ٤٤/٤٥ ، إيلول ـ تشرين الاول ١٩٢٤ ، ص ٧٥١ ـ ٧٥٢ .

٢٩ ـ انظر : ج. برغر النضال في سبيل الوحدة النقابية ، **المقال المذكور** ، ص ٨٤٣ .

٣٠ ـ تشكلت هذه اللجنة في تشرين الثاني ١٩٢٤ ، على اثر الزيارة التي قام بها الى الاتحاد السوفياتي وفد عمالي يمثل التيار اليساري داخل النقابات الانكليزية المنضوية تحت لواء « اممية امستردام » . وقد تمحور نشاط هذه اللجنة حول هدف اقامة منظمة نقابية عالمية موحدة ، تضم جميع المنظمات النقابية المنضوية تحت لواء « الأممية النقابية الحمراء » الثورية ، و « اممية امستردام » الاصلاحية . وقد تواصل نشاط هذه اللجنة طوال أشهر عديدة ، واستمر تواجدها حتى شهر إيلول ١٩٢٧ ، حيث اختفت فجأة بعد ان قررت انكلترا قطع علاقاتها الدبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي .

لمزيد من التفاصيل حول نشاطات اللجنة الانكليزية ـ الروسية انظر : لوزوفسكي : « خطوة الى الأمام : تشكيل اللجنة الانكليزية ـ الروسية في سبيل الوحدة » ، في « **الأممية النقابية الحمراء** » ، رقم ٤٧ ، كانون الأول ١٩٢٤ ، ص ٨٩١ ـ ٨٩٥ .

٣١ ـ انظر م. اوفينبرغ ، الشيوعية في فلسطين ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

٣٢ ـ **المصدر السابق** .

٣٣ ـ انظر هين ـ توف ، الكومنترن والصهيونية في فلسطين ، **المصدر المذكور** ، ص ٤٩ ـ ٥٠ . يـذكر

م. اوفينبرغ ، من جهته ، بأن مبعوث اللجنة الانكليزية ـ الروسية الى فلسطين ، كان يدعى « جيمس كروسلي » ، او « الرفيق جيمي » من مانشستر . انظر م. اوفينبرغ ، **المصدر المذكور** ، ص ٣٣٣ .

٣٤ ـ انظر هين ـ توف ، **المصدر المذكور** ، ص ٥٠

٣٥ ـ **المصدر السابق** .

٣٦ ـ **المصدر ذاته** .

٣٧ ـ « لائحة غير الحزبيين » ، « الكتلة البروليتارية » ، « الكتلة المستقلة » ، « اللجنة المدينية » .

٣٨ ـ انظر برغر ، النضال في سبيل الوحدة النقابية ، **المقال المذكور** ، ص ٨٤٤

٣٩ ـ انظر غريلسامر (A.Greilsammer) : **الشيوعيون الاسرائيليون** ، منشورات المؤسسة الوطنية للعلوم السياسية ، باريس ، ١٩٧٨ ، ص ٤٠ ـ ٤١ انظر كذلك ج . برغر : « **فلسطين تحت حكم اللورد بلومر** » في « **المراسلات الصحفية الأممية** » ، رقم ٣٢ ، ١٣ ، آذار ١٩٢٦ .

٤٠ ـ انظر ا. غريلسامر ، **الشيوعيون الاسرائيليون** ، المصدر المذكور ، ص ٤١ ـ ٤٥ . انظر كذلك سليمان بشير ، **المشرق العربي في النظرية والممارسة الشيوعية** ، المصدر المذكور ، ص ١٦٢ ـ ص ١٦٣ .

٤١ ـ انظر غريلسامر ، **المصدر المذكور** ، ص ٤٤ . يذكر سليمان بشير ، من جهته ، بأن هجرة اعضاء الفيلق اليساري قد حدثت في آب ١٩٢٧ ، وان عدد المهاجرين كان يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ عضوا . انظر سليمان بشير ، **المصدر المذكور** ، ص ١٦٢ .

٤٢ ـ اورده غريلسامر ، **المصدر المذكور** ، ص ٤٤ . في تلك الفترة ، كانت الحكومة السوفياتية تقوم ، خلال الصراع الذي كانت تخوضه ضد الصهيونية ، بتنظيم حملات عديدة لدفع اليهود على الاستيطان في مناطق زراعية خاصة حددت لهم . وكان المخطط يتضمن نقل (١٠) الاف عائلة يهودية ، وتشجيعها على العمل المنتج في مجال الزراعة . وقد ساهم الحزب الشيوعي في فلسطين مساهمة فعالة في هذه الحملة ، وسعى الى تشجيع اليهود على مغادرة فلسطين والانتقال الى الاتحاد السوفياتي ، وقد اقام الحزب لهذا الغرض منظمة خاصة ، دعيت باسم « منظمة اغرو » (Agro) لدعم الاستيطان اليهودي في الاتحاد السوفياتي . غير انه يعتقد بأن الحزب لم يتمكن من احراز نتائج هامة في هذا المجال .

٤٣ ـ انظر ج.ب (القدس) : « مؤتمر الوحدة البروليتارية الأول في فلسطين » في « **المراسلات الصحفية الأممية** » ، رقم ٦ ، ١٢ كانون الأول ١٩٢٧ . انظر كذلك سليمان بشير ،**المصدر المذكور** ،ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

٤٤ ـ أورده سليمان بشير ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٠

٤٥ ـ انظر ج.ب ، مؤتمر الوحدة البروليتارية الأول ، المقال المذكور . انظر كذلك جيمرنغ (Jimring) : « الكونغرس الأول لحركة الوحدة في فلسطين » ، في « **المراسلات الصحفية الأممية** » ، رقم ٢٨ ، ٢ نيسان ١٩٢٧ .

٤٦ ـ انظر جيمرنغ ، **المقال المذكور** .

٤٧ ـ انظر ج.ب ، مؤتمر الوحدة البروليتارية الأول ، **المقال المذكور** .

البناء الفني في شعر أبي سلمى

صالح هواري

لايسعنا اذا نحن ذكرنا الشاعرين المرحومين **ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود** الا ان نستحضر اسم الشاعر الكبير **ابي سلمى (عبد الكريم الكرمي)** ، الذي كان له الدور الفعال في رفد حركة الشعر المقاوم بجداول لا تنضب من شعره القومي المتوهج بالغضب والاصرار ، فمن خلال مسيرته الشعرية والنضالية جعل **ابو سلمى** قطب الرحى عنده الحب بجميع ألوانه ... والحب عنده عدة جداول ملونة تصب كلها في بحيرة واحد ةهي معبودته « فلسطين » . واحب ، في مستهل دراستي للبناء الفني في شعره ، ان اشير الى انني لن اتطرق الى المضامين التي طرحها الشاعر ، فكل قصيدة في اعماله الشعرية الكاملة تقدم نفسها على منبر الادب . ولئن بدت مضامينه متنوعة الاغراض ، الا انه ينتظمها خط ملحمي واحد هو الهم الفلسطيني ، ومحاولة تجسيده على عدسة الواقع ، الذي كبده ويكابده الشاعر عبر سمفونية التشريد الدامية ، ومن خلال قصائده نستطيع ان نحدد **منطقتين شعريتين** : منطقة ما قبل **النكبة**، ومنطقة **المنفى** . وتكاد المنطقتان تذوبان في نفس شعري واحد ، تتنامى من خلاله لغة الشاعر ، وتتطور الى رؤى تخلقها رومنسية وطنية اسرة ، تتألق عبر نسيج تعبيري يرفل بايقاعات نفسية مخضبة بنزيف الحلم الفلسطيني المتحفز للانفجار، وقد اتاحت لهخميرة النضوج الشعري ان يتمثل احداث الوطن المحاصر بالاحباطات ، وان يتحد بها وتتحد به في تناغم منضبط ، وغنائية تختلج وهي في اساور القوافي ، ففي مرحلة ما قبل النكبة بدا شعره حداء مغلقا باللوم والادانة لملوك العرب آنذاك :

لنا دول . ليتها لم تكن مطا ... يـــا وأذنــاب مستعمرين
وجامعة . لـم تـزل دميـة ... يخـف اليهـا الرجيـم اللعين

وسرعان ما يتحول هذا اللوم ، بعد المنفى ، الى احتجاج صارخ ، وتمرد . وثورة . **ولا ينسى ان يسقط الادانة عن من ادانهم قبل النكبة :**

يـــا رفـاق الـدهر هـل شـردكم ... في الـورى سيف عـدو ام محـب ؟؟
زعمـاء !!! دنسـوا تـاريخكم ... وملـوك !!! شردوكم دون ذنب
وجيـوش غفـر اللـه لهـا ... سلمت اوطانكم من غير حرب
دول تحسبهـا شرقيـة ... واذا امعنت فالحاكم غربي

ولنا ، الان ، ان نتساءل : هل استطاع **ابو سلمى ، من خلال هذا المعترك** العربي الزاخر بالانتكاسات منذ الانتداب حتى الان ، ان يفرغ **لحمه الفلسطيني في** وعاء تعبيري قادر على احتضان تجاربه ؟ ام انه، امام مهابة الاحداث وجلالها ، وقف مشدوها فلم يقو على تشقيق وطنية الواقع العربي . والنفاذ الى تخوفه ، والقبض على ظلاله الهاربة ، واحالتة الى رؤى ؟ ان من يتأمل في شعر **ابي سلمى** يجد ان الشاعر ، في خضم التحديات والضغوط ، مجزأ بين سيوف العواصم ، محاصرا بحراب عربية ، تفسد عليه ايقاع حلمه ، ولكنه ، من خلال الظلمة ، يقفز فراشة تعرف انها تمشي الى الموت . ولكنها لا تتراجع حتى تحقق عشقها الصوفي على حبل ضوئي جارح ولكنه لذيذ ، وكما يبدو من قصائد الشاعر ان لديه امكانيات شعرية هائلة ومخزونا شعوريا ثرا ، يحاول في كل لحظة تخترقة من عمر الزمن ان يذوب فيها وتذوب فيه حتى ليغدو روحا واحدة ... ولم يتأت له تحقيق ذلك الا من خلال انفجار رومنسي صارخ . استطاع، من خلاله، ان يجسد لنا هواجسه واحلامه، عبر شريط غنائي، يتصاعد فيه النغم وفق تموجات احاسيسه التي تحدث فينا الصدمة لاول وهلة ، ولكنها سرعان ما تذوب كفقاعة تنطفىء لاول هبة ريح ، ذلك ان كل قصيدة يقدمها لنا يجعلنا من خلالها نلتهب اولا ، ثم تتلاشى الكهربة الشعرية ، التي احدثت فينا التوتر الحماسي الطافي ، وهذا شأن كل شعر يتوخى دغدغة العواطف في آنية اللحظة الشعورية ، وعدم تملكه القدرة على زعزعة اركان الذات ، وهدم سكونها ، ثم اعادة بنائها من جديد ، والادب الحقيقي تمرد على النمطية ، وكل اشكال البلادة التي تشوه القيم ، **وهو ثوري بطبيعته لانه لايسعى الا الى زلزلة الروح وتعميق الحس الواعي لدى المتلقي ... وكل ادب لا يتوخى الا اثارة العواطف ، واشعال الراحات بالتصفيق الآني الحار ، ما هو الا ادب انفعالي عاجز عن تحقيق الفعل .**

والان ، هل استطاع **ابو سلمى** ان يوفر لنا ادبا حقيقيا ، يوفر لنا لذة الكشف عن غابات الحلم الفلسطيني المعاصر ؟ ان اندفاع **ابي سلمى** العفوي في محاولة التجسيد لم تتح لشعوره الا ان يلتمع من خلال مسار تعبيري مباشر ، متوخيا الصدق لا العمق في نقل هواجسه الى المتلقي ، ولئن استطاع ان يحقق دينامية التفاعل بين شعره والواقع ، الا ان ذلك لم يحقق له خلق رؤى شعرية ناضجة لجنوحة التام نحو التقرير ، وهجومه الصارخ على الموضوع ، دون ان

يتوخى توفير الجمال الفني ، المخبوء تحت رماد شاعريته المتاهبة ، ومرد ذلك الى انهمار ذاته بكل ما تحمله من انفعالات ، كما ان تأجج اللحظة الشعورية ازاء جلال الحدث لم يتح لعملية الابداع فرصة النضوج ، فجاءت صورة عارية كما خلقتها الصرخة الانفعالية الاولى ...

ليت شعـري ! ... متى يفجر شعبي   فـي فلسطين ثـورة البركان ؟
وفلسطين لـن تضيع واهلوها   يخوضون هـول كـل عـوان
ان جيش الشعب المشرد اقوى   مـن جيوش الحرير والطيلسان
ان جيشا يرجى لتحرير شعب   غير جيش الكرسي والصولجان

تأملوا ... انها موجات انفعالية صارخة ، تتراخى عبر اعصابنا خدرا لذيذا يشد على خناقنا فنصرخ ، ويطيب لنا ، لفرط دبيبها ، ان تغرقنا ولكنها تقتلنا بصدمتها وحرارة التماعها ، فتذوب فينا ونذوب فيها ، وبعـد ان نرتوي منها نخلعها دون ان نشعـر ، وهكذا نصوب احاسيسنا ، مـرة اخرى ، نحو موجات اخرى ، تحدثها قصيدة جديدة ، ونستمر في المراوحة دون ان تعلق من كل هذه الموجات قطرة واحدة لنهار جديد ..

تثوير الرومنسية :

كان **ابو سلمى** شديد النزوع الى ضبط انفعالاته واحلامه ، من خلال رؤية منطقية واضحة ، يسبح في الخيال احيانا ، ويهوم في محرابه كفراشة حالمة ، ولكن دون ان يسمح لذاته ان تنفصم على لحم الواقع ، كل ذلك بجمالية مضيئة ، يوفرها له تعامله المخلص مع ادواته التعبيرية ، ان اول من اشار الى هذه الصلة الحميمة بين الرومنسية والواقعية هو **مكسيم غوركي** ، الذي يقول : « ان اعاظم الفنانين تلتقي فيهم الرومنسية والواقعية معا » . وهو الذي أصر على مصطلح الرومنسية الثورية لانه يؤكد دائما على فاعلية الفن في الحياة ، ورسم صورة للمثل الاعلى الاشتراكي الذي يجدر بها ... وكما يبدو فان رومنسية **ابي سلمى** ليست طرفا شعريا ، ولهوا عابثا ، ورقصا في قاعة الخيال اللانهائي ، وانما هي رومنسية موظفة، تتوق الى معانقة الحقيقة، وتتفجر بعطاءات لها حدودها ، وهي مكتنزه بدلالات حياتية وانسانية شاملة ، لنستمع اليه يرثي الاديب **عمر الفاخوري** :

الاغاني عـلى السفوح شرودات   وتـاه العبير بيـن الشعاب
والدوالـي عـلى الدروب سكارى   والسواقي ارتمت على الاعشاب

فهو حين يبني تعبيراته اللغوية يضع لها مداميك من ضوء الخيال اولا ، ثم يسعفها بطينة الواقع ، فتتوهج وتنذر بالانفجار على حائط التجربة ، ومـا

عبارة (الاغاني شرودات) الا لحظة شعورية تمحورت حولها ذات الشـاعـر الشاردة ، هذه اللحظة مستنبته من خيال الشاعر اللاواعي ، وبعد ان امتلأت بضوء الشمس الحقيقي نضجت وتنامت فوق ارض الواقع المتسربل بالحلم ، مما جعلها تتسرب الى اعماقنا تسرب الضوء الى رداء الظلام ...

(وتاه العبير بين الشعاب) ، لماذا جعل الشاعر العبير يتوه ؟ رومنسية حالمه ، غافلة ولكنها متيقظة ، وما هي الا ضوء نفسي انكسر على مرآة خياله ، فانتج هذا المعنى الذاهل ، والحقيقة ان الذي تاه هو ذات الشاعر ، التي تتخبط في شبكة الحلم بعد موت صديقه ، (والدوالي على الدروب سكارى) ، في هذه العبارة يترنح شعور **ابي سلمى** على اثر الصدمة ، فيسري في عصب العبارة ، والحقيقة ان الذي انتشى هو الشاعر ، ونشوته هذه بخمـرة الالم لا الدوالي ، وهكذا اتتنا في الصورة وتتراخى ظلالها في نفسه ، ويتحدان معا في عمليـة حلول صوفي مخضب برومانسية ثائرة .... ، بعد هذا ، . هـل يحق لنـا ان نقول : ان **ابي سلمى** البس هاجسه ثوبا رومانسيا يبهر العيـن ، ولا يزعـزع اركان الذات ؟ في الحقيقة ، فان **ابا سلمى** اعتمد التهويم المجنح فـي غابات الخيال ، ولكنه لم يسمح لخياله ان يتطاول في عالم مليء بالاشباح . بل اقـام بينه وبين اللغة نوعا من الاستخدام الواعي ، حقق له نوعا من العشق المنضبط في محراب شعري ، تترجع فيه اصداء نفسه ، مما اتاح لشعره هذا ان يتسلل الى اعماقنا ليوقظها بهزاته الصامتة العنيفة :

اهكـذا تـذوي ازاهيرنـا   وكان منهـا المسـك والعنبر
كيف الهوى يمضي كعمر الندى   وفـي بلادي مرجه الاخضر ؟

الغنائية :

كما هو ملاحظ ، فان **ابا سلمى** ، منـذ كتابته للقصيدة العربية ، وهـو مشدود الى خيوط كلاسيكيه لم يتخل عنها ، مما اتاح للغنائية ان تتحرك ، ضمن ساحة القصيدة ، بحرية تامة .. والذي جعل هذه الغنائية تنفجر على جـدار اللغة هو ذوبان العاطفة في الصورة وحلولها فيها ، ويبدو ان **ابا سلمى** شديد الحـرص على توفيـرها ، بمعناها التقليدي ، الـذي يحتل فيه الجـرس مكان الصدارة ، وبالرغم من ان هذا الجرس يقوم في الشعر الحديث بوظيفة جديده غير الايقاع النغمي ، النابع من تآلف الحروف وتناسقها في سـلك التفصيلة ، هذه الوظيفة هي تكثيف المعنى وتركيز الدلالة ، الا ان **ابا سلمى** يشده شيء يشبه الرنين الصارخ ، الذي تتشح به القصيدة التقليدية بحكم تخفيته تـارة ، و بحكم اصطفائه للبحور الغنائية تارة اخرى :

بغبـار مـن ردائها قلبي   ومـن وشاحها
مـن النجوم ترتمي   ليلا على جناحها

غنائيـة اسرة ، ولكنها اتفاقيـــة ، ادنى الى الضجيج منها الى الايقاع الهامس ، الصادر عن اهتزازات النفس ، والتماعات الشعور، ومهما يكن فان الآفة العظمى التي تصيب الغنائية هي آفة الجموح ، الذي يجعلها تدوي وتتراجع في غابة من الالفاظ محرره من الظلال والهالات النفسية المتوترة ، مما يستدعي فصل الذات عن الفعل ، وجعله يلهث وراء خيط الافتعال الغاوي باللفظة . انها نوع من الغنائية المفتوحة لذاتها ، وبقدرتها على الترجيع ، واحداث الصدى الخارجي ، دون ان تكون قادرة على توليد الرؤى المبدعة ، عند **بول كلوديل** ان بيت الشعر ايقاع قبل اي شيء ، ايقاع لايستمد قانونة من مثل اعلى من التناغم المستقل عن معناه العميق ، وانما هو ايقاع متجاوب ، بشدة ، مع ايقاعنا الحياتي ، مع ايقاع القلوب التي تخفق ، ذلك ان الشعر هو الكلام الصافي .

وما دامت ظاهرة الشعر الحديث تقوم على رفض النظام الخارجي للنظام التقليدي، والتأكيد على ان موسيقى الشعر هي ايقاع قبل كل شيء ، لا لعبة للانغام الموسيقية ، وعلى ان الاساس الحقيقي للايقاع هو (الالقاء الفطري) لا الاطار السطحي للطقوس العروضية ، ما دامت هذه الظاهرة تؤكد ذلك ، فهل يحق لنا ان نخضع شعر **ابي سلمى** ، وهو الشاعر التقليدي ، منذ نشأته ، الى معايير هذه الظاهرة ؟ بالطبع لا .. ذلك أن **أبا سلمى** لا ينضوي تحت لواء هذه الفئة التي تطالب بان يكون الشعر ايقاعا متجاوبا مع ايقاعنا الحياتي ، ولا يخضع للطقوس العروضية ، لذا ما علينا الا ان نتوقع من **ابي سلمى** هذه الموجـات الغنائية المتوترة ، في كل بيت من شعره ، وهو الحريص ، دائما ، على توفيرها لما لها من تأثير على المتلقي ، ولاعتبـاره ان الشعـر بدون موسيقى لا فرق بينه وبين النثر . لذا ، فأن توفر هذه الغنائيـة في شعره يفتح لنا أفق الاستيعاب العميق لكل جزئيات مضامينـه ، التي يطرحها بسهولـة ، ودون ان يعمد الى الالتواءات اللغوية القائمة ، هذه الغنائية الشفافة تجعل شعره يستنقع في مجرى تعبيري ، يتماثل في كل قصيدة ، حيث تتشابـه عنده المطالع والاستهلالات ، وترفل بتغييرات جاهزة ، تتكرر ملامحهـا في جل قصائده ، دون أن تتيح للغته أن تتحرك في مسارها بحرية ، ومرد ذلك الى ولوعه بالايقاع السجعي الطاغي، الذي خضع للطاقة التي حشدتها طبيعة التجربة والافكار والرؤية ، مما جعلـه يستجيب ، في صدق ، لاستيعـاب هذه العناصر ، دون أن يمـارس مهارات وممارسات ذهنية مفتعلة .. ويرجع تدفق شعره وانسيابه الى قدرتـه الفائقة على تنظيم وادراك العلاقات الحيوية بين عناصر القصيدة .

القافيـــة :

وكما اسلفنا ، فان شغف **أبي سلمى** بالغنائيـــة جعله يبني قصيدته على

روي واحد ، وتحقق له ذلك مـن خلال القوافي التي تتوطن في اماكنها دون أن تعاني قلقا او نفورا ، فأنت عندما تفرغ من قراءة القصيدة تخـرج بقناعة تامة بأن القافية هي التي تكتب الشـاعر ، وليس هو الذي يكتبها ، ذلك انهـا حين تلوح له عبر خيط اثيري شفاف يتوهم انه رآه من خلاله ، وهي عنده طائر حر تغريه شجرته فيحط عليها ، ولان الشاعر لا يترصد لهذا الطائر الغاوي ليصطاده فانه يشرع بالغناء من تلقاء نفسه عبر تدفق سيمفوني حار يقذف بنا مبـاشرة في لهيب عناق حالم متوهج بالشجن الوطني ، الذي يوقظ فينا غنائية التعايش الشعري مع عالم **أبي سلمى** في مفرداته الخصوصية المتميزة ، ومعماره الفني المتماسك :

هـل تسألين النجم عـن داري   وايـن احبابي وسماري ؟؟
داري التي اغفت على ربوة   حـالمة بالمجـد والغـار
الشمس لا تضحك الا لهـا   تهدي اليهـا وشي استار
ملعبنا يـوم رفيف المنى   وملتقـى الجـارة بالجـار
والكرم .. مـا ارحم افياءه   احـلام عشـاق واطيـار
والبيدر السمح علـى صدره   حبـات اكبـاد وابصـار

... ويطغي هذا الاطمئنان في رسم القوافي ، لونا وحركـة وظلا ، حتى ليغدو مهارة فنية عفوية ، الا ان ذلك الاطمئنان يفسده ، أحيانا ، اجبار الشاعر لبعض القوافي على الحلول في غير وطنها الحميم ، فتعاني الغربة ، فمن قصيدة له بعنوان **(شعر الغزل)** ، نراه يرغم القافية (لعل) على احتلال موقع فرضته هي على نفسها بالتحالف مـع الشاعر ، فبدت وكأنهـا مستحضرة من غرفة الادوات التي تعامل معها وهيأها سلفا ، ففي عملية التهيؤ هذه استدعته القافية، باشارة آمره خضع لها دون ان يفكر بالقارىء الذي ينتظر من يهز اعصار نفسه، بايماءة شاردة ، قد تلتمع من خـلال كلمة مخبوءة تحت رداء الحلم الغافـل ، ولننظر الان الى القافية في كلمة (لعل) :

ومـن قدك اللدن لـو تعلمين   أوشـي القريض بحسـن ودل
ومـن خفة الدم صفت الخيال   وقلت لقلبي عسى او لعل

... هذه سمـة طاغيـة من سمات الشعر التقليدي ، يلتقي فيها معظم الشعراء الذين يبنون قصائدهم على قافية واحدة ، ومثل هذا الارغام للقافيـة ورد عند **الدكتور أحمد سليمـان الأحمد** في قصيدة طويلة بعنوان **(عيد الجلاء يستعيد غده)** يقول :

ولان فجرا حيـن نـاء بحمله   نـورا زقـا بـوم : لعل وربما

واحيانا تسوق القافية **ابا سلمى** الى تكرار المعنى نفسه ، بعبارة ترفل بثوب

مغاير لثوب العبارة الاولى · **ولكنها تحمل روحها** :

وعج على ومل الي

ويشتد تركيز الشاعر على **القافية** ، الى حد يجعلـه يصل بها الى تحقيق لزوم ما لا يلزم ، يتجلى ذلك في **قصيدته (غيره)** :

يغار من ردائها قلبي ومن وشاحها
من النجوم ترتمي ليلا على جناحها
يغار من كتابها يزهو على مصباحها
على سنى العينين تطو يه وفوق راحها

هذا ··· ، ولم يكسر نظام القافية الواحدة الا في بعض مقطوعاته الغنائية، التي تبدو كالموشحات الأندلسية ، ذلك ليفتح للملحن أفقا تتراوح أنغامـه على سلم النغم المتعدد بتعدد القوافي كما في (**الشريد**) :

انا الشريد امشي على الزهر من كل زوج بهيج
ولا ابالي فالزهر مالي
مع المروج
وفي الدجى اسري بين يدي النجوم
تهدي السبيل ولا تميل
مع الغيوم

وهذه المقطوعة شديدة الشبه بموشح (**هل تستعاد**) **لابن زهر الاندلسي** :

هل تستعاد ايامنا بالخليج
ولياليـنا
او يستفاد من النسيم الاريج
مسك دارينا
او هل يكاد حسن المكان البهيج
ان يحيينا

أما في قصائده الطويلة ، فنراه يتقيد بقافية واحدة ، وربما ليوفر لجو القصيدة طقسا متآلفا من النغم · او ربما ليشد المتلقي اليه عبر خيط نغمي واحد ··· ، لا شك ان القافية ، كالوزن ، ملزمة بطبيعة العمل الفني ، لأنها تمثل القرار ، لكنها اذا استبدت بأبيات القصيدة جميعا تتحول الى قيد خارجي مرهق ، مما يجعل الشاعر ينشغل عن الفكرة بالقافية التي تجره **ليستنبط معاني توافقها هي** · فبدلا من ان تثري عملية الابداع، نراها تعطلها بما لديها من قيود قسرية ، والقافية ليست غاية لذاتها ، وانما هي وسيلة لتجسيد التجربة ، وتحويلها الى رؤى ، **فلا ميزة لها في توحدها ، كما انه لا ضير فيها في تخالفها**،

وفي اعتقادي ان الاصرار على القافية الواحدة هو الذي يعطل الشعر ويغله ، لذا كان شعر هؤلاء شعر معنى وابيات ، ولقد تأكد ، اخيرا ، ان شجو القصيدة لا ينبع من توحد القافية ، بقدر ما ينهمر من وحدة التفعيلة ، ومن تآلف حروف الكلمـة الشعـرية الفاعلة ، والشاعـر الـذي لا يتكىء على التنـاغم الداخلي للحروف عبر جو القصيدة يقع تحت وطأة النغم ، ويضحي بالفكرة التي يديرها اصلا ، الى الفكرة التي يسوقها له نغم اللقطة ·

الصـورة ، ودور الخيال في خلقها :

الخيال هو ارض لامرئية تستنبت عليها الصـور وتنـدج تحت ارهـاص الانفعال ، وهو الوعاء الذي تتم فيه عملية الحلول بين الذات والمادة ، ولعل اقدر الشعراء على تجسيد التجربة اولئك الذين يحيلون اختلاجاتهم الشعورية الـى صور في اخيلتهم ، وهو ما يسمى (تجسيم الشعور) ، فيبدون كأنهـم يرون شعورهم بقدر ما يحسون به ، وهذا ما عبر عنه **رامبو** في قوله : لقـد شاهدت احيانا ما توهم الانسان انه شاهدة ، فعندما تنهدم حدود الخيال يسيل الى منطقة الشعور فيتحدان ، معا ، في لحظة غامرة ، حتى يبدو كأن الشعر تساوى عند الشاعر مع الغفلة أو الحلم ·· وتتفاوت قدرات الشعـراء على احتضان العالم بشيئيته ، وفي تجسيد التجربة واحالتها من شيء يعاني الى شيء يرى(الصورة)، فمنهم من يعجز خياله عن معانقة الشعور والذوبان فيه ، فتستبد به الذهنية ، وتحيله الى افكار مجردة ، بدلا من ان تجسده رؤى نفسية ذاهلة ، والشعر الذي يحيل رمـاد حلمه ، في ذروة التوهج والترنح ، فيصبح صـورا واعية تصقلها بدهنيته الرصينة على محك التجريد ، ذلك ان الشعور لم يتغلغل الى الخيال ليدب فيه دبيب النار في الهشيم ، بل احتضنه العقل ، وقيده ، واحاله الى معان هي نتاج التأمل العقلي الباهت ·· وما يهمنا ، في هذا الصدد ، هو : اي نوع من الخيال استطاع ان يحتضن تجربة **ابي سلمى** الشعرية ؟ هل هو ذلـك الخيـال اللامرئي الملتهب بحرارة الانفعال ؟ ام انه ذلك الخيال الحسي الذي تتراءى من خلال الاشياء عبر حدقة الوعي ؟ ان من ينظر في شعر **ابي سلمى** لا يقع الاعلى بقع ضوئية مرئية لم يتمكن من تفجيرها واحالتهـا الى رؤى متماسكة غنية بالصور النفسية ، ذلك انه شاعر معان او صور واعية ، تهز نفسه ازاء الحدث تتامله منالظاهر دون ان تقوى على اقتحامه ، وتشقيقه ، والتسرب الى اصقاعه من الداخل ، لذا بقيت صوره في طبيعتها خارجية ، مما افقدها التوتر الديناميي الداخلي :

خدك ··· يـا انفاس ريحانة تحمـل اشواقـا مـن السحب

··· **فانفاس الريحانة هنا لم تخرج عن طبيعة الريحانة في وجودها المادي**

المألوف في مزهرية الطبيعة ، لان الشاعر لم يستطع احالتها الى رمز في الحياة ، بل ، تأملها من الخارج دون ان يقوى على فض اسرارها من الداخل والنفاذ الى عمقها ، فالصورة عنده نجمة وليست ضوءا ، وهي وردة وليست عطرا ، شجرة وليست ظلا ·· قلب وليست سرا ·· كل ذلك يعود الى ضحالة التجربة وعدم قدرة الخيال على الحلول في بوتقة الشعور حلولا نفسيا عميقا ، انه نوع من الخيال اللاهي العابث ، ومعظم شعر الوصف **هو** شعر غلو يتوالد من خيال قاصر عن تجسيد الحلم الى رؤية ·· ما سمح للمجانية في كثير من الاحيان ان تتسرب الى الصورة ، واهم ما يميز الصورة عند **ابي سلمى** طبيعتها **التفسيرية** ، فهو يبسطها امامنا لوحة تتراخى فيها الخطوط في مرونة شاسعة ، ويمعن فيها تفسيرا حتى تقتل بين يديه ، يقول في قصيدة **الافق الحبيب** :

طال دربي ، فهل تضيء جراحي   وعلى السفح هل يرف جناحي ؟
قطرات الدم المشعة من قلبي   كانت ولا تزال صباحي

··· ان صورة (تضيء جراحي) انبجست من خيال الشاعر الحائر في عتمة الغربة ، ولكي يذيب هذه العتمة ويهدمها اورد صورة جراحة التي تشبه القنديل ، ولكنه لم يكتف بهذه الصورة الجميلة المبدعة ، بل اشبعها تفسيرا فتراخت وتثاءبت عبر نسيج تعبيري آخر اعاد فيه الصورة نفسها بثوب جديد ، ما دام قد اورد صورة (تضيء جراحي) في البيت الاول لماذا عاد وعطل جمالها واطفأ التماعها بصورة اخرى وردت في البيت الذي يليه (قطرات الدم المشعة) ، اليس معنى هذه الصورة هو معنى الصورة السابقة فلو اسقط الصورة الثانية واكتفى بالاولى لبقي الايحاء متوهجا ، لكن شدة ميله الى التفسير والايضاح وعدم قدرته على اختزال المعنى بصورة واحدة هو الذي جعله يسوح في فضفاضية التصوير وتراخيه ، ان هذا الانفلاش بحركة الصور الغى كل الامكانات التكثيفية عند **ابي سلمى** · وهذا ما يحدث كثيرا لدى الشعراء الكلاسيكيين الذين يعنون بتلاحق الصور وتزويجها ، دون ان يتركوا لصورة واحدة ان تتنامى وترفع رأسها ، وكلما حاولت صورة من الصور ان تفيض بامكاناتها التعبيرية الهائلة طاردها الشاعر بصورة اخرى شبيهة او قل مفسرة لها ·· لماذا ، فان اول ما يميز شعر التفعيلة عن الشعر التقليدي ليس فقط كسره لقاعدة تساوي التفعيلات وتمرده على القافية الرتيبة ، وانما التعبير عن المعنى بصورة مكثفة مقلمة من الزوائد ، ان عبارة واحدة في الشعر الحديث الحقيقي يمكن ان تتسع لمعنى عريض جدا ·· وتحضرني في هذا الصدد عبارة للشاعر **خليل حاوي** ، علقت بذاكرتي منذ زمن ولا زالت تلتمع كل **هنيهة** كومضة برق ، **يقول خليل** حاوي : (وعرفت كيف تمط ارجلها الدقائق تستحيل الى عصور) · تأملوا جيدا ·· بصورة واحدة ، استطاع الشاعر هنا ان يختزل

عمر الزمن فيجعلنا ننخطف برؤيته الشعرية التي جسدت لنا حلمه دون ضجيج ·· او جنوح الى التفسير والترادف وعرض الصور المتلاحقة ·

واذا كانت طبيعة الصورة عند **ابي سلمى** خارجية باهرة فان دينامية الايقاع تعوض عما قرره من تزاوج الصورتين ، وهذا التراخي في توليد الصور عطل ، كما قلنا ، عملية التكثيف ، حتى ولو عبر عن هذا التكثيف بلمع مضيئة شفافة ، ويمكننا القول ان **ابا سلمى** استطاع ان يطوع مجمل صوره والفاظه في خدمة ايقاعاته ، ولعدم قدرته على التكثيف والايحاء مال الى التشبيه وخلق الاستعارات لان هذا الاسلوب ايسر الاساليب وادناها توغلا وانسرابا في غابات النفس ، لكون التشبيه يتكىء على الاستنتاج والمقابلة واقرار المعرفة عن طريق الادلة والبراهين ، فعندما يقول **ابو سلمى** في قصيدته المشهورة **اغنية الموج** التي مجد فيها بطولة (جول جمال) :

ايها الثائرون في ارضنا الحرة   لا تتركوا الليالي سودا
زينوها بالانجم الزهر منكم   لتضيء المدى لنا والوجودا
كيف تخبو نار العروبة يوما   ونذرنا لها النفوس وقودا

··· نرى ان تشبيه ارواح الشهداء بالانجم الزهر تشبيه لبث في حدود الشعور الواعي ، فهو يضع مشبها ليقابله بمشبه به بجامع الاضاءة بينهما ، وهذا التشابه بين طرفي التشبيه يتم في اطار الذهنية التي يكتنفها الحس المادي، وهذا نتاج الخيال الحسي اليقظ المنضبط ، اما في الخيال الغافل اللامرئي فان الشاعر يحاول هدم اسوار اللحظة الشعورية وتفجيرها ثم اعادة خلقها من جديد في عملية ابداعية خلاقة تتحد فيها الذات بالمعنى ، والذي جعل **ابا سلمى** يتوهج في هذا التشبيه (الشهداء نجوم) هو حذفه للمشبه الا وهو الشهداء والتصريح بلفظ المشبه به واسقاط اداة التشبيه ، ونحن نرى ان الشاعر ميال الى استخدام الاستعارات في توليد المعاني التي يريدها ، والصور البيانية عنده ليست غابة من الارياش والاجنحة وانما هي اوتار من الضوء والشجن ، ليست غابة واطيافا انما هي اغصان من اللحم والدم والشعور ، ونستطيع ان نقول ان خيال **ابي سلمى** خيال غني بمعطيات واقعية بعيدة عن الوهم والتحليق في قاعات ضبابية عاتمة ، فهو لم يجنح بخياله الى حد الجموع والتطاول ، ولم يغرق في التصوير الى درجة الاستغلاق · بل نشر لنا روحه شريحة من الضوء ، وابى لخياله ان يعبث لانه شاعر يبشر بقضية وجدير به ان يقدس الكلمة التي يمتشقها في وجه مخاطبيه ، ولعل فيما قدمناه ما يدل دلالة واضحة على قوة ملكة التصوير عند **ابي سلمى** ، وهو في التعبير عن معانيه يراوح بين التصوير والتقرير ، ذلك ان شاعرا مثله لا يمكن ان يبني القصيدة كلها على ركام من الصور وحدها ، ولكنه لشدة صدقه ليقين اللحظة الشعورية يستغرقه الحدث فلا يجد سبيلا الى

التريث حتى يؤطـر صورة بهالات فنية تستدعي منه كثيرا مـن الوقفـات التي تطفىء توهجه وتحيل تجربته الى رماد · لهذا كان يتيـح لصوره حرية الحركة في ساحة خياله مما جعلها تنثال على قلمه صورا عارية امام مرآة نفسه ، معطلة من حلى الصنعة البديعية المتكلفة :

يا احبائي !!! مضت عشرون ولم تلثـم التـراب المفـدى شفتانا

··· فصورة (لثم التراب) صورة عادية تقفز عـلى لسان كل فرد كابد عشق وطنه ، وكما يبدو وثبت هذه الصورة الى خياله من خـلال مسـار تعبيري متدفق ، دون ان يجهد فكره في تركيبها فجاءت بسيطة واضحة · ويبدو انه حين يريد ان يعقد تشبيها ما ، ليكون صورة بيانية يزاوج بين طرفي التشبيه ، ويحكم الصفة الجامعة بينها دون ان يلجأ الى عملية تركيبية معقدة ، فهو حين اراد ان يشبه (شباب الوطن) وثب امامه المشبه به المعروف وهو (الفوارس) كذلك لم يجد تشبيها لنساء بلاده سوى المشبه به العادي وهو (الحرائر) :

فنـرى فلسطين الحبيبة حرة تخـ ـتال بيـن فـوارس وحـرائر

··· وفي غزله ، كما في وطنياته ، لا يتقصى الصور البعيدة ، ولا يكلف نفسه عناء اللهاث خلفها لاقتناصها ، بل يسوقها كما هي في ثوبهـا الذي خلقت فيـه في سريـر الطبيعـة ، لنستمع اليه وهـو يتمنى ان يكـون طائـرا مرفرفا لينشد حبيبته اجمل الغناء ويحوم حول دارها :

يـا ليتني كنت هنـا ك طـائرا مرفـرفا
انشـد سمـراء الهـوى محـوما مطـوفـا
والشفتـان انحنـي فـوقهمـا لارشفـا
قبـل ذبـول الزهـر مـن حـق الهـوى ان يقطفـا

···فهو طائر ، وشفتا حبيبته سلسل عذب ، ووجنتاها زهـر آن قطافه ، صور تقريرية عادية لا ابداع فيها يستخدمها استخداما فقـط ، ويكابد مرارة حرمانه منها دون ان يعيشها ، وهي مطلقة وفضفاضة وتعميمية تصلح للغزل بأي حبيب ، ذلك لان تجربته عائمة على السطح تتوق الى معانقة المطلـق عن طريق نفثات التمني (يا ليتني) ·· لذا بدت غيـر قادرة على التسلل الى اعماقنا مما جعلها تجربة باهتة تضطرب في شبكة احلامه مفتونة ·· ويمكننـا ان نرى في اغلب قصائده ذلك الهاجس المتعطش الى العناق الحقيقي الـذي يحاول ان يوفر لنا من خلاله نشوة الكشف التي حرم هو منها ، وحرمنا منها معـه نحن ايضا ، لهذا بقينا كما بقي هو حائرا على ضفاف التجربة التي لم تتماسك عبـر النسيج التعبيري ، مما جعل قصائده الغزلية تسفر عن كثير من الصـور التي تفتقر الى

حرارة المعايشة ، ولئن استطاع من خلالها ان يهدهد احاسيسنا الا انه لم يستطع ان يكشف لنا ما لا نقوى على كشفه بأنفسنا ، والعمل الفنـي لا يكفي لتحقيقه الصور التي تكتسب فيها الجزئيات قدرتها على الايحـاء من خـلال اتساقها العضوي يقول **(هيدغر)** : (لكي تكتب شعرا يعني ان تقوم باكتشاف) فأين هو هذا الاكتشاف الذي حققه لنا **ابو سلمى** من خلال صوره الحافلة بالظلال والالوان والحركة ؟ ان استسلامه لخدر الغنائية الطاغية ، وتجنيـح الصور في معظم قصائده الغزلية جعل مشاعره تتسطح امامنا بثوبها الشعري الباهر دون ان يقوى على احالتها الى شعر حقيقي يكتسي بشمولية العالم ، ضمن رؤى شعريـة لـو احسن خلقها لوفر لنا الى جانب الجمالية الفنية جمالية في القيم ·

دينامية اللغة :

يتحـرك **ابـو سلمى** ، في معظـم قصائـده ، عبـر ميـدان لغـوي فسيح يتصاعد من خلاله بناؤه الشعر الذي هو التجسيم الموضـوعي لتجربته ، فهل اللغة بدورها تتحرك في ميدان **ابى سلمى** حركتها الفاعلة ، والى اي مـدى استطاع الشاعر ان ينجح في تعامله معها في عملية الابداع ؟ منـذ البداية يجب انذقبض على ادواته التعبيرية حتى نلتقط مكونات عالمه اللغوي، فمن حيث اللفظة نراه يعتمد عليها اعتمادا واعيا ، واللفظة عنده منسوجة من المرئيات ، ومقتطفة عن اغصان الواقع ، ومن خلال استخدامه لها يفجر من خلالها هاجسه الوطني عن طريق احالة الصورة التقريرية المباشرة الى فعل يتوهج بحـرارة اللقاء بين نفسه والحدث الذي هزه عبد ايديولوجية شعرية تتحد فيها الأنا بالآخر ، خذ مثلا اية لقطة عنده تجد انها كتلة متفحمة يستخدمها كما هي في موقد الواقع فتأتي مفتقرة الى الاشعاع والتأثير ، وهذا ما يحدث غالبا عندما يجد نفسه تترنح امام الحدث فيلتقط اللفظة كما هي ويستخدمها من خيط التفعيلة برصانتها وثباتها ، تهزه هي دون ان يقوي على هزها هو وتفجيرها لان عنف الصدمة تشغله عـن اخضاعها لعملية اختمار فني ، وهذا ما بدا في معظم قصائده الوطنية :

يا احبائي !! ان معركة التحرير تز كـو فـي ارضنـا المعطـار
يوم نسـري علـى اللهب ونمحـو كـل رجس فوق الاديـم وعـار
وتخـط السيـوف جنبا مع الاقـ ـلام تاريخ ثورة وانتصـار

··· الفاظ عادية افرغ فيها خلجات نفسه الكامنة بشكـل مباشر متوخيا الصدق والوضوح وعدم الغوص على اسرار الجمال الفني ، حتى جاءت معاينة متسربلة بشاعرية متدفقة تستهوي ارضاء عواطف سطحية قد تدفع الى الانفعال وليس الى الفعل ، واذا قلنا ان **ابا سلمى** شاعر واقعي ، وشعر الواقع هو شعر الوضوح ، فهل اذا نحن اخضعنا شعره لمعايير نقدية حديثة نوافـق على ادائه التعبير التقريري بمثل هذا الوضوح الذي يكاد يسق الى النثريـة ؟ انه منذ

بداياته الشعرية حتى الان يصر على طرح مضامينه باسلوب مشرق عار عن الدهاليز اللغوية العاتمة ، ونحن بدورنا نغفر له تقريريته هذه لكونه شاعرا ساهم في زيادة حركة الشعر القومي المعاصر باخلاص ، وتمسك **بالصياغة القديمة** ، فهو كما يبدو ينبجس حلمه الشعري يغمس قلمه في نزيف شعوره ولا يابه الا الا للفكرة التي تلح عليه فيتناول اللفظة التي تلوح له **لاول وهلة** ويحاول ان يتعامل معها تفاعلا مخلصا صافيا وان يكون ابداعه عبر لغة متوترة مشحونة ذات ايقاع ينبع من احاسيسه :

كل يوم تشرد ورحيل   آن للطائر الغريب النزول
قبل الشوق أيقظت ، جبل النا   ر ، فخفت الى اللقاء السهول

... وهو احيانا ينزع الى اخراج اللفظة من ماديتها ليضفي عليها ظلالا مجازية تتحرك من خلالها ضمن ثوب الاستعارة ، والتشبيه ، وتشخيص الجمادات ، والذوبان في محراب الطبيعة :

حملتني على السنى اشواقي   والتقينا قبل يوم التلاقي

... فلفظة (اشواقي) في استعمالها الحقيقي كرة تفحمت تحت وطأة الواقع ، ولكنه عندما تعامل معها تعاملا شعريا انقذها من طينتها وقرب منها لهيب نفسه فتوهجت بالقبل ، اما اسلوبه التعبيري فيراوح بين الانشائية والخبرية ..

الانشائية عن طريق صيغ النداء والتعجب والتمني والامر والاستفهام ، وكل هذه الصيغ لها دلالات نفسية وابعاد حياتية كامنة تستيقظ كلما هبت ريح على رماد نفسه ... اما النداء فله مكان الصدارة في استهلالات معظم قصائده ، وما ذلك الا لتوق نفسه الى معانقة الحلم ، وهو حينما لم يجد استجابة ذاتية يستحيل المنولوج الداخلي الى نداءات تتراخى على افق مخضب برومنسية ملتهبة :

ودع ظلالك يا حمام الوادي   الوى الزمان بغصنك المياد

... اما **التعجب** فهو حسرة اسيرة في اعماق الشاعر تحاول ان تقفز الى عالم الواقع الزاخر بالتناقضات ، ولكنها تزداد اسرا كلما ازداد الشاعر معرفة بالحياة المبنية على التفاوت بشتى الوانه :

ما انضر القلب اذا عيدا   اهدى الى العمر الشذا والندى

ان صيغة (ما انضر) التعجبية ، نفي للنضارة التي يحلم بها الشاعر وهو بعيد عن وطنه ، اذ كيف يلتهب قلبه بالفرح وبين حبيبته فلسطين هضاب من العتمة وغابات من السيوف ؟

اما **الاستفهام** عنده فيراوح بين التقرير والنفي ، فهو حينما يقول :

كيف يسري الضياء في قلب   بعدنا ، او يشع بعد انتزاع

لا يتساءل لمجرد السؤال ، وانما لينفي سريان الضياء في عتمة القلب الذي نزح ، هذا في اطار الانشائية اما من خلال **الاسلوب الخبري** ، فانه يطرح افكاره طرحا تقريريا يصل الى حد الخطابية :

يا فلسطين !! .. انت انشأت شعبا   لم ينم ساعة على الاضطهاد
حارب الظلم منذ كان فيا للشعب   يودي بالسيف والجلاد

... اما استخدام **ابي سلمى** للافعال فقد جعل لكل صيغة زمنية دلالة لم يتقصدها لذاتها وانما جاءت لتدل على ما في نفسه من مخزون شعوري يراوح بين محاولة **استدعاء الحلم الطفولي** وايقاظه من مهده ، وذلك من خلال استخدامه للافعال الماضية :

مررت على المرج قبل المغيب   اعلل قلبي بحسن وطيب
رأيت الازاهير من كل لون   تميل على كل غصن رطيب

او محاولة القيام **بعملية تهيؤ لاقتحام اسوار الواقع** والقفز منها الى الآتي ، وذلك من خلال الافعال **المضارعة** :

لا يضيء النور في الجمع اذا   لم يكن منك الجبين الطلق لاحا
نحن لا نشكو جراحا انما   نشتكي من ضمدوا تلك الجراحا

او محاولة **القبض على ظلال الآتي** واستعجاله ، وذلك من صيغ **الامر** :

سيروا على وضح النهار   فالحق من نور ونار

الجاهزية التعبيرية :

اما استخدام **ابى سلمى** للعبارات الجاهزة ، فمرده الى عدم اتاحته الفرصة لشعوره بأن يحدد شكل العبارة ، او يخلق الصيغة اللغوية التي تستوعب المعنى . فنحن نراه يسوق من العبارات ما ينثال على قلمه من اول دفقة شعورية ، ومثل هذه العبارات عبارة جاهزة وردت في قصيدة (النيربان) وهي (بشبا السنان) اي بأطراف الرماح : يقول :

وتلمه والعاديات تنو   شه بشبا السنان

وقد وردت هذه العبارة عند الفرزدق في وصف الذئب :

ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى   اتاك بسهم او شباة سنان

وعبارة اخرى وردت في قصيدة **(ابو خالد)** وهي (اذللتدمعي) في قوله :

وقفت اناجي (سيلة الظهر) باكيا   واذللت دمعي بعدما كان عاصيا

وهي العبارة نفسها التي وردت في قول **(ابي فراس الحمداني)** :

اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى   واذللت دمعا من خلائقه الكبر

... وفي مكان آخر يستخدم **ابو سلمى** عبارة (لك الله) في قصيدة **(ابو خالد)** :

لك الله يا زمن العشيرة ان بدت   رؤوس المنايا وادرعت المواضيا

... وهي نفسها في قول المتنبي في رثاء جدته :

لك الله من مفجوعة بحبيبها ..

كذلك استخدم طباقا جاهزا آخر ورد عند الشاعر **(حطان بن المعلى)** في قصيدته الشهيرة **(اكبادنا)** :

ابكاني الدهر ويا طالما   اضحكني الدهر بما يرضي

اما **ابو سلمى** فيقول من قصيدة **(يا بلبلي)** :

اضحكك الحب وابكانا   ليت الهوى يا طير ما كانا

كذلك استخدامه لعبارة (الحرية الحمراء) في قوله :

هذه الحرية الحمراء ما   عرفت الا فلسطين مراحا

ويقول **شوقي** :

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

اما عبارة (نؤوم الضحى) التي استخدمها **ابو سلمى** ، فقد استعارها من امرىء القيس الذي يقول :

نؤوم الضحى لم تنطق عن تفضل

ويقول **ابو سلمى** :

ولى الدجى وهي نؤوم الضحى   والسحر يرعاها وراء الحجال

... ويضيق بنا المجال اذا رحنا نستعرض كل العبارات الجاهزة التي اوردها **ابو سلمى** بثوبها التقليدي الذي كانت قد التمعت فيه لاول وهلة حتى اذا كثر استعمالها وتناقلها انطفأ توهجها وصدىء لمعانها. وهذا لا يعني ان**ابا سلمى** يتكىء دائما على جاهزية العبارات دون ان يحاول رفد مخزونه الشعري بمعطيات عصرية ابتكرها ، لا ... ، اذا نحن تأملنا مليا في النسيج الفني لديه لعثرنا على

كثير من العبارات المبتكرة ذلك ان **لابي سلمى** قدرة فائقة علىخلق العبارة الجديدة وتوليد المعاني ، ففي قصيدته **(ابو خالد)** يخلق تركيبا شعريا مبدعا يرفل بجمالية آسرة :

اتنعي عميد الثائرين محمدا   ولا تلبس الدنيا عليه اللياليا ؟

ان تعبير (تلبس الدنيا اللياليا) فيه نكهة العصر وطعم الحداثة ، توالدت منه صورة تغتني بمعنى ذي ابعاد وظلال ... ومثل ذلك كثير لديه .

الرمز :

لان **ابا سلمى** حر فيما يقول ، استطاع ان يقول ما اراد ، ورغم الاشباح التي تلاحقه من كل جانب بسط لنا نفسه سجادة من الضوء والعطر ، ولم يجدفي ذاته حاجة للجوء الى الرمز والتورية ، ولماذا يلجأ اليهما وقد نسج نبوءته الشعرية قبل النكبة وبعدها فكانت كما تكهنها : ضياع وتشريد وتلاعب الملوك بمصائر الشعوب العربية وتمر عنهم على اعتاب الاستعمار .

وما قصيدته الرائعة (لهب القصيد) التي نظمها اواخر الثلاثينات الا قرعا لضمائر الملوك الذين ناشدوا آنذاك شعب فلسطين الذي فجر ثورته الشهيرة عام الف وتسعمائة وستة عشر والموجهة ضد الانكليز لانهم اهل البلاء ، ومما جاء في النداء :

« الى ابنائنا عرب فلسطين ! لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا باننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

فلو كان **ابو سلمى** ممن يتمسحون بثياب الملوك لما اهتز ازاء هذا النداء ، الذي ينزف عارا ومذلة ، وكتب قصيدته الرائعة التي عرى فيها الملوك وكشف اوراقهم تحت شمس الحقيقة الفلسطينية ، وقد افاض فيها بعفوية صافية مخضبة بغضبه المتوهج دون ان يعمد الى استخدام التورية او وضع الاقفال على بوابات المعاني :

دكت عروش زينوها بالسلاسل والقيود
سحقا لمن لا يعرفون سوى التعلل بالوعود
واذلهم وعد اليهود ولا اذل من اليهود

... ومن خلال هذا الوضوح والتدفق ، والبعد عن اللولبية اللغوية

استطاع ان ينقل عدوى **هذا التوتر الشعري** الذي يبدو ان الشاعر عاناه بصدق فأفرغه بخاطبية محتشدة **بأدوات التعليل**، والاضافات والنعوت مما جعل معظم قصائده تثير الحماس الذي يرغو على بحر العاطفة دون ان يتسلل الى العمق ليفض الاختام عن **الاصداف التي** تنتظر النور في قاع الشعور :

يا فلسطين !! انظرينا نضطرم   قد صهرنا الاحرف الحمر كتابا
وهتفنا باسمك العذب على   كل درب وجعلناه حجابا
باسمك القدسي لاقينا الردى   مثلما تهوين شيبا وشبابا

···وتكاد معظم قصائده تتشابه في الشكل والطرح والبعد عن استخدام الرموز ، وعدم الاعتماد على الايحاء ، **قصائد** متفتحة كتفتح نفسه التائقة لاحتضان النور ، منسابة انسيابا حقق شعرا صافيا متألقا منهمرا انهمارا وجدانيا عميقا ، ولئن وردت عنده بعض الرموز · الا انها كما يبدو ليست بالمعنى الدقيق للكلمة ، انها اطلاق **الدلالات المجازية للمفردات** في استعمالها الحقيقي ، فاذا اراد ان يرمز مثلا الى الثورة استخدم كلمة (اللظى) :

ونحن الثائرين بكل ارض   سنصهر باللظى نير الرقاب

··· واذا اراد ان يعبر عن الحرية استعار لها كلمة (الفجر) :

طلع الفجر على راحاتكم   بعدما القت عن الليل الحجابا

وكذلك رمز الى الامل والحياة بكلمة الزهر :

والزهر لولاك تمرين به لم يعبق

واذا لاح له معنى الخلود رمز له بكلمة الريح ، يقول في تأبين البطل (جول جمال) :

هو ملء الدنى وتحمله الريح

خاتمة :

وهكذا استطاع **ابو سلمى** ان يقدم لنا تجربته ، بشكل فني قديم ، وافكار عصرية ، تجاوبت مع روح الحداثة ، واذاب جمالها في جمالية البناء الكلاسيكي ، الذي اضاءته الصور النابضة ، ومن خلال ذلك يدلل **ابو سلمى** ان في استطاعة اي شاعر اصيل ان يقدم لنا لوحاته الابداعية ضمن قوالب شعرية سلفية ، ويكشف لنا ، من خلالها ، عن امكانية فنية ، امتلكت مقوماتها الرئيسية، ومما تقدم نلاحظ سيطرة **ابي سلمى** على اللغة ، وتمكنه من التعبير ، الذي اتاح له ان يمسك بخيوط العمل الشعري ، موعودا بكوامن نفسه، ان تتفتح في لحظات

العناق الصوفي، مما شد المتلقي الى شعره وفتح له افاقا تتكشف عن ثراء تجربة ووضوح رؤية ، ومن خلال التناول الشعري عنده استطاع ان يضفي قسمات الاصالة على قصائده ، ولكنه لم يستطع ان يجد لصوته تغردا ، ورغم الغنى والخصوبة في عطاءاته الشعرية بقي هذا الصوت مختلطا بأصوات الشعراء الكلاسيكيين في طريقة ادائه ، وادواته التعبيرية التي تشابهت في لونها وحركتها بأدوات غيره من الشعراء ، وكل ذلك لم يعب **ابا سلمى** ، فهو الشاعر المنفعل والفاعل، استطاع ان يكشف لنا ضمائر الاحداث تحت حدقة الوعي ويمهد السبيل لغيره من الشعراء · فكان بحق رائد الكلمة المناضلة التي وفر لها حدسه الشعري والانساني ان تخرج الى الضوء ممتشقة وجهها الناصع · وفي عناق حار مع الكلمة بقي **ابو سلمى** ينمو باستقامة فارعة كشجرة الزيتون التي ذاب فيها وذابت فيه ويظل عند كل هبة ريح يواصل عشقه وتحديه لحطاب الزمن ·

البناء الفني في شعر أبي سلمى

صالح هواري

لايسعنا اذا نحن ذكرنا الشاعرين المرحومين **ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود** الا ان نستحضر اسم الشاعر الكبير **ابي سلمى (عبد الكريم الكرمي)** ، الذي كان له الدور الفعال في رفد حركة الشعر المقاوم بجداول لا تنضب من شعره القومي المتوهج بالغضب والاصرار ، فمن خلال مسيرته الشعرية والنضالية جعل **ابو سلمى** قطب الرحى عنده الحب بجميع ألوانه ··· والحب عنده عدة جداول ملونة تصب كلها في بحيرة واحد ةهي معبودته « فلسطين » · واحب ، في مستهل دراستي للبناء الفني في شعره ، ان اشير الى انني لن اتطرق الى المضامين التي طرحها الشاعر ، فكل قصيدة في اعماله الشعرية الكاملة تقدم نفسها على منبر الادب · ولئن بدت مضامينه متنوعة الاغراض ، الا انه ينتظمها خط ملحمي واحد هو الهم الفلسطيني ، ومحاولة تجسيده على عدسة الواقع ، الذي كبده ويكابده الشاعر عبر سمفونية التشريد الدامية ، ومن خلال قصائده نستطيع ان نحـــدد **منطقتين شعريتين** : منطقة ما قبل **النكبة**. ومنطقة **المنفى** · وتكاد المنطقتان تذوبان في نفس شعري واحد ، تتنامى من خلاله لغة الشاعر ، وتتطور الى رؤى تخلقهـا رومنسية وطنية اسرة ، تتألق عبر نسيج تعبيري يرفل بايقاعات نفسية مخضبة بنزيف الحلم الفلسطيني المتحفز للانفجار، وقد اتاحت لهخميرة النضوج الشعري ان يتمثل احداث الوطن المحاصــر بالاحباطات ، وان يتحد بها وتتحد به في تناغم منضبط ، وغنائية تختلج وهي في اساور القوافي ، ففي مرحلة ما قبل النكبة بدا شعره حداء مغلقا باللوم والادانة لملوك العرب آنذاك :

لنــا دول ، ليتهــا لم تكن مطا   يـــــا واذنـــاب مستعمرين
وجامعــة ، لـــم تـــزل دميـــة   يخــف اليهــا الرجيــم اللعيــن

وسرعان ما يتحول هذا اللوم ، بعد المنفى ، الى احتجاج صارخ ، وتمرد . وثورة · ولا ينسى ان يسقط الادانة عن من ادانهم قبل النكبة :

يـــا رفـــاق الـــدهر هـــل شـــردكم   فـي الـورى سيـف عـدو ام محـب ؟؟
زعمـــاء !!! دنســـــوا تـــاريخكم   وملـــــوك !!! شردوكــم دون ذنب
وجيـــوش غفـــر اللـــه لهـــــا   سلمت اوطانكـم مــن غير حرب
دول تحسبهــــــا شـــرقيـــــة   واذا امعنــت فالحـــاكم غـــربي

ولنا ، الان ، ان نتساءل : هل استطاع **ابو سلمى** ، **من خلال هذا المعتـرك** العربي الزاخر بالانتكاسات منذ الانتداب حتى الان ، ان يفرغ لحمه الفلسطيني في وعاء تعبيري قادر على احتضان تجاربه ؟ ام انه، امام مهابة الاحداث وجلالها ، وقف مشدوها فلم يقو على تشقيق وطنية الواقع العربي . والنفاذ الى تخوفه ، والقبض على ظلاله الهاربة ، واحالتة الى رؤى ؟ ان من يتأمل في شعر **ابـــي سلمى** يجد ان الشاعر ، فــي خضم التحديات والضغوط ، مجزأ بـين سـيوف العواصم ، محاصرا بحراب عربية ، تفسد عليه ايقاع حلمه ، ولكنه ، من خلال الظلمة ، يقفز فراشة تعرف انها تمشي الى الموت . ولكنها لا تتراجع حتى تحقق عشقها الصوفي على حبل ضوئي جارح ولكنه لذيذ ، وكما يبـدو مـن قصائد الشاعر ان لديه امكانيات شعرية هائلة ومخزونا شعوريا ثـرا ، يحاول في كل لحظة تخترقة من عمر الزمن ان يـذوب فيـها وتذوب فيه حـتى ليغدو روحـا واحدة ··· ولم يتأت له تحقيق ذلك الا من خلال انفجـار رومنسي صـارخ. استطاع، من خلاله، ان يجسد لنا هواجسه واحلامه، عبر شريط غنائي، يتصاعد فيه النغم وفق تموجات احاسيسه التي تحدث فينا الصدمة لاول وهلة ، ولكنها سرعان ما تذوب كفقاعة تنطفىء لاول هبة ريح ، ذلك ان كل قصيدة يقدمها لنا يجعلنا من خلالها نلتهب اولا ، ثم تتلاشى الكهربة الشعرية ، التي احدثت فينا التوتر الحماسي الطافي ، وهذا شأن كـل شعر يتوخى دغدغة العواطف في آنية اللحظة الشعورية ، وعدم تملكه القدرة على زعزعة اركان الذات ، وهـدم سكونها ، ثم اعادة بنائها من جديد ، والادب الحقيقي تمرد على النمطية ، وكل اشكال البلادة التي تشوه القيم ، وهو ثوري بطبيعته لانه لايسعى الا الى زلزلة الروح وتعميق الحس الواعي لدى المتلقي ··· وكل ادب لا يتوخى الا اثارة العواطف ، واشعال الراحات بالتصفيق الآني الحار ، ما هو الا ادب انفعالي عاجز عن تحقيق الفعل ·

والان ، هل استطاع **ابو سلمى** ان يوفر لنا ادبا حقيقيا ، يوفـر لنا لـذة الكشف عن غابات الحلم الفلسطيني المحاصر ؟ ان اندفاع **ابي سلمى** العفوي في محاولة التجسيد لم تتح لشعوره الا ان يلتمع من خلال مسار تعبيري مباشر ، متوخيا الصدق لا العمق في نقل هواجسه الى المتلقي ، ولئن استطاع ان يحقق دينامية التفاعل بين شعره والواقع ، الا ان ذلك لم يحقق له خلق رؤى شعرية ناضجة لجنوحة التام نحو التقرير ، وهجومه الصارخ على الموضوع ، دون ان

يتوخى توفير الجمال الفني ، المخبوء تحت رماد شاعريته المتاهبة ، ومرد ذلك الى انهمار ذاته بكل ما تحمله من انفعالات ، كما ان تأجج اللحظة الشعورية ازاء جلال الحدث لم يتح لعملية الابداع فرصة النضوج ، فجاءت صورة عارية كما خلقتها الصرخة الانفعالية الاولى ...

ليت شعري ! ... متى يفجر شعبي　　في فلسطين ثورة البركان ؟
وفلسطين لن تضيع واهلوها　　يخوضون هول كل عوان
ان جيش الشعب المشرد اقوى　　من جيوش الحرير والطيلسان
ان جيشا يرجى لتحرير شعب　　غير جيش الكرسي والصولجان

تأملوا ... انها موجات انفعالية صارخة ، تتراخى عبر اعصابنا خدرا لذيذا يشد على خناقنا فنصرخ ، ويطيب لنا ، لفرط دبيبها ، ان تغرقنا ولكنها تقتلنا بصدمتها وحرارة التماعها ، فتذوب فينا ونذوب فيها ، وبعد ان نرتوي منها نخلعها دون ان نشعر ، وهكذا نصوب احاسيسنا ، مرة اخرى ، نحو موجات اخرى ، تحدثها قصيدة جديدة ، ونستمر في المراوحة دون ان تعلق من كل هذه الموجات قطرة واحدة لنهار جديد ..

تثوير الرومنسية :

كان **ابو سلمى** شديد النزوع الى ضبط انفعالاته واحلامه ، من خلال رؤية منطقية واضحة ، يسبح في الخيال احيانا ، ويهوم في محرابه كفراشة حالمة ، ولكن دون ان يسمح لذاته ان تنفصم على لحم الواقع ، كل ذلك بجمالية مضيئة ، يوفرها له تعامله المخلص مع ادواته التعبيرية ، ان اول من اشار الى هذه الصلة الحميمة بين الرومنسية والواقعية هو **مكسيم غوركي** ، الذي يقول : « ان اعاظم الفنانين تلتقي فيهم الرومنسية والواقعية معا » . وهو الذي أصر على مصطلح الرومنسية الثورية لانه يؤكد دائما على فاعلية الفن في الحياة ، ورسم صورة للمثل الاعلى الاشتراكي الذي يجدر بها ... وكما يبدو فان رومنسية **ابي سلمى** ليست طرفا شعريا ، ولهوا عابثا ، ورقصا في قاعة الخيال اللانهائي ، وانما هي رومنسية موظفة، تتوق الى معانقة الحقيقة، وتتفجر بعطاءات لها حدودها ، وهي مكتنزة بدلالات حياتية وانسانية شاملة ، لنستمع اليه يرثي الاديب **عمر الفاخوري** :

الاغاني على السفوح شرودات　　وتاه العبير بين الشعاب
والدوالي على الدروب سكارى　　والسواقي ارتمت على الاعشاب

فهو حين يبني تعبيراته اللغوية يضع لها مداميك من ضوء الخيال اولا ، ثم يسعفها بطينة الواقع ، فتتوهج وتنذر بالانفجار على حائط التجربة ، وما

عبارة (الاغاني شرودات) الا لحظة شعورية تمحورت حولها ذات الشاعر الشاردة ، هذه اللحظة مستنبتة من خيال الشاعر اللاواعي ، وبعد ان امتلأت بضوء الشمس الحقيقي نضجت وتنامت فوق ارض الواقع المتسربل بالحلم ، مما جعلها تتسرب الى اعماقنا تسرب الضوء الى رداء الظلام ...

(وتاه العبير بين الشعاب) ، لماذا جعل الشاعر العبير يتوه ؟ رومنسية حالمه ، غافلة ولكنها متيقظة ، وما هي الا ضوء نفسي انكسر على مرآة خياله ، فانتج هذا المعنى الذاهل ، والحقيقة ان الذي تاه هو ذات الشاعر ، التي تتخبط في شبكة الحلم بعد موت صديقه ، (والدوالي على الدروب سكارى) ، في هذه العبارة يترنح شعور **ابي سلمى** على اثر الصدمة ، فيسري في عصب العبارة ، والحقيقة ان الذي انتشى هو الشاعر ، ونشوته هذه بخمرة الالم لا الدوالي ، وهكذا اتتنا في الصورة وتتراخى ظلالها في نفسه ، ويتحدان معا في عملية حلول صوفي مخضب برومانسية ثائرة .... بعد هذا ، . هل يحق لنا ان نقول : ان **ابي سلمى** البس هاجسه ثوبا رومانسيا يبهر العين ، ولا يزعزع اركان الذات ؟ في الحقيقة ، فان **ابا سلمى** اعتمد التهويم المجنح في غابات الخيال ، ولكنه لم يسمح لخياله ان يتطاول في عالم مليء بالاشباح . بل اقام بينه وبين اللغة نوعا من الاستخدام الواعي ، حقق له نوعا من العشق المنضبط في محراب شعري ، تترجع فيه اصداء نفسه ، مما اتاح لشعره هذا ان يتسلل الى اعماقنا ليوقظها بهزاته الصامتة العنيفة :

اهكذا تذوي ازاهيرنا　　وكان منها المسك والعنبر
كيف الهوى يمضي كعمر الندى　　وفي بلادي مرجه الاخضر ؟

الغنائية :

كما هو ملاحظ ، فان **ابا سلمى** . منذ كتابته للقصيدة العربية ، وهو مشدود الى خيوط كلاسيكيه لم يتخل عنها ، مما اتاح للغنائية ان تتحرك ، ضمن ساحة القصيدة ، بحرية تامة .. والذي جعل هذه الغنائية تتفجر على جدار اللغة هو ذوبان العاطفة في الصورة وحلولها فيها ، ويبدو ان **ابا سلمى** شديد الحرص على توفيرها ، بمعناها التقليدي ، الذي يحتل فيه الجرس مكان الصدارة ، وبالرغم من ان هذا الجرس يقوم في الشعر الحديث بوظيفة جديده غير الايقاع النغمي ، النابع من تالف الحروف وتناسقها في سلك التفصيلة ، هذه الوظيفة هي تكثيف المعنى وتركيز الدلالة ، الا ان **ابا سلمى** يشده شيء يشبه الرنين الصارخ ، الذي تتشح به القصيدة التقليدية بحكم تخفيته تارة ، و بحكم اصطفائه للبحور الغنائية تارة اخرى :

بغبار من ردائها　　قلبي ومن وشاحها
من النجوم ترتمي　　ليلا على جناحها

غنائيـة اسرة ، ولكنها اتفاقيــة ، ادنى الى الضجيج منها الى الايقاع الهامس ، الصادر عن اهتزازات النفس ، والتماعات الشعور، ومهما يكن فان الآفة العظمى التي تصيب الغنائية هي آفة الجموح ، الذي يجعلها تدوي وتتراجع في غابة من الالفاظ محرره من الظلال والهالات النفسية المتوترة ، مما يستدعي فصل الذات عن الفعل ، وجعله يلهث وراء خيط الافتعال الغاوي باللفظة . انها نوع من الغنائية المفتوحة لذاتها ، وبقدرتها على الترجيع ، واحداث الصدى الخارجي ، دون ان تكون قادرة على توليد الرؤى المبدعة ، عند **بول كلوديل** ان بيت الشعر ايقاع قبل اي شيء ، ايقاع لايستمد قانونة من مثل اعلى من التناغم المستقل عن معناه العميق ، وانما هو ايقاع متجاوب ، بشدة ، مع ايقاعنا الحياتي ، مع ايقاع القلوب التي تخفق ، ذلك ان الشعر هو الكلام الصافي .

وما دامت ظاهرة الشعر الحديث تقوم على رفض النظام الخارجي للنظام التقليدي، والتأكيد على ان موسيقى الشعر هي ايقاع قبل كل شيء ، لا لعبة للانغام الموسيقية ، وعلى ان الاساس الحقيقي للايقاع هو (الالقاء الفطري) لا الاطار السطحي للطقوس العروضية ، ما دامت هذه الظاهرة تؤكد ذلك ، فهل يحق لنا ان نخضع شعر **ابي سلمى** ، وهو الشاعر التقليدي ، منذ نشأته ، الى معايير هذه الظاهرة ؟ بالطبع لا ٠٠ ذلك أن **أبا سلمى** لا ينضوي تحت لواء هذه الفئة التي تطالب بان يكون الشعر ايقاعا متجاوبا مع ايقاعنا الحياتي ، ولا يخضع للطقوس العروضية ، لذا ما علينا الا ان نتوقع من **ابي سلمى** هذه الموجات الغنائية المتوترة ، في كل بيت من شعره ، وهو الحريص ، دائما ، على توفيرها لما لها من تأثير على المتلقي ، ولاعتبـاره ان الشعر بدون موسيقى لا فرق بينه وبين النثر ٠ لذا ، فأن توفر هذه الغنائيـة في شعره يفتح لنا أفق الاستيعاب العميق لكل جزئيات مضامينه ، التي يطرحها بسهولـة ، ودون ان يعمد الى الالتواءات اللغوية القائمة ، هذه الغنائية الشفافة تجعل شعره يستنقع في مجرى تعبيري ، يتماثل في كل قصيدة ، حيث تتشابـه عنده المطالع والاستهلالات ، وترفل بتغييرات جاهزة ، تتكرر ملامحهـا في جل قصائده ، دون أن تتيح للغته أن تتحرك في مسارها بحرية ، ومرد ذلك الى ولوعه بالايقاع السجعي الطاغي، الذي خضع للطاقة التي حشدتها طبيعة التجربة والافكار والرؤية ، مما جعله يستجيب ، في صدق ، لاستيعـاب هذه العناصر ، دون أن يمـارس مهارات وممارسات ذهنية مفتعلة ٠٠ ويرجع تدفق شعره وانسيابه الى قدرتـه الفائقة على تنظيم وادراك العلاقات الحيوية بين عناصر القصيدة ٠

القافيـة :

وكما اسلفنا ، فان شغف **أبي سلمى** بالغنائيـة جعله يبني قصيدته على

روي واحد ، وتحقق له ذلك من خلال القوافي التي تتوطن في اماكنها دون أن تعاني قلقا او نفورا ، فأنت عندما تفرغ من قراءة القصيدة تخرج بقناعة تامة بأن القافية هي التي تكتب الشـاعر ، وليس هو الذي يكتبها ، ذلك انهـا حين تلوح له عبر خيط اثيري شفاف يتوهم انه رآه من خلاله ، وهي عنده طائر حر تغريه شجرته فيحط عليها ، ولان الشاعر لا يترصد لهذا الطائر الغاوي ليصطاده فانه يشرع بالغناء من تلقاء نفسه عبر تدفق سيمفوني حار يقذف بنا مبـاشرة في لهيب عناق حالم متوهج بالشجن الوطني ، الذي يوقظ فينا غنائية التعايش الشعري مع عالم **أبي سلمى** في مفرداته الخصوصية المتميزة ، ومعماره الفني المتماسك :

هل تسألين النجم عن داري ... وأين احبابي وسماري ؟؟
داري التي اغفت على ربوة ... حالمة بالجد والغار
الشمس لا تضحك الا لها ... تهدي اليها وشي استار
ملعبنا يوم رفيف المنى ... وملتقى الجارة بالجار
والكرم ٠٠ ما ارحم افياءه ... احلام عشاق واطيار
والبيدر السمح على صدره ... حبات اكباد وابصار

٠٠٠ ويطغي هذا الاطمئنان في رسم القوافي ، لونا وحركة وظلا ، حتى ليغدو مهارة فنية عفوية ، الا ان ذلك الاطمئنان يفسده ، أحيانا ، اجبار الشاعر لبعض القوافي على الحلول في غير وطنها الحميم ، فتعاني الغربة ، ففي قصيدة له بعنوان **(شعر الغزل)** ، نراه يرغم القافية (لعل) على احتلال موقع فرضته هي على نفسها بالتحالف مع الشاعر ، فبدت وكأنهـا مستحضرة من غرفة الادوات التي تعامل معها وهيأها سلفا ، ففي عملية التهيؤ هذه استدعته القافية، باشارة آمره خضع لها دون ان يفكر بالقارىء الذي ينتظر من يهز اعصار نفسه، بايماءة شاردة ، قد تلتمع من خـلال كلمة مخبوءة تحت رداء الحلم الغافـل ، ولننظر الان الى القافية في كلمة (لعل) :

ومن قدك اللدن لو تعلمين ... أوشي القريض بحسن ودل
ومن خفة الدم صفت الخيال ... وقلت لقلبي عسى او لعل

٠٠٠ هذه سمـة طاغيـة من سمات الشعر التقليدي ، يلتقي فيها معظم الشعراء الذين يبنون قصائدهم على قافية واحدة ، ومثل هذا الارغام للقافيـة ورد عند **الدكتور أحمد سليمـان الأحمد** في قصيدة طويلة بعنوان **(عيد الجلاء يستعيد غده)** يقول :

ولان فجرا حين ناء بحمله ... نورا زقا بـوم : لعل وربما

واحيانا تسوق القافية **ابا سلمى** الى تكرار المعنى نفسه ، بعبارة ترفل بثوب

مغاير لثوب العبارة الاولى · ولكنها تحمل روحها :

وعـج علـي ومـل الـي

ويشتد تركيز الشاعر على القافية ، الى حد يجعلـه يصل بها الى تحقيق لزوم ما لا يلزم ، يتجلى ذلك في قصيدته (**غيره**) :

يغـار من ردائها قلبـي ومـن وشاحها
مـن النجوم ترتمي ليـلا على جناحها
يغـار مـن كتابها يزهو على مصباحها
على سنى العينين تطو يـه وفـوق راحها

هذا ··· ، ولم يكسر نظام القافية الواحدة الا في بعض مقطوعاته الغنائية، التي تبدو كالموشحات الأندلسية ، ذلك ليفتح للملحن أفقا تتراوح أنغامـه على سلم النغم المتعدد بتعدد القوافي كما في (**الشريد**) :

انا الشريد امشي على الزهر من كل زوج بهيج
ولا ابـالي فالزهر مالي
مـع المـروج
وفـي الدجى اسري بين يدي النجوم
تهدي السبيل ولا تميـل
مـع الغيـوم

وهذه المقطوعة شديدة الشبه بموشح (**هل تستعاد**) **لابن زهر الاندلسي** :

هـل تستعـاد ايامنا بالخليـج
وليـالينـا
او يستفـاد من النسيم الاريج
مسك دارينا
او هـل يكـاد حسن المكان البهيج
ان يحيينـا

أما في قصائده الطويلة ، فنراه يتقيد بقافيـة واحدة ، وربما ليوفر لجو القصيدة طقسا متآلفا من النغم · او ربما ليشد المتلقي اليـه عبـر خيط نغمي واحد ··· ، لا شك ان القافية ، كالوزن ، ملزمة بطبيعـة العمل الفني ، لأنها تمثل القرار ، لكنها اذا استبدت بأبيات القصيدة جميعا تتحول الى قيد خارجي مرهق ، مما يجعل الشاعر ينشغل عن الفكرة بالقافية التي تجره **ليستنبط معاني توافقها هي** · فبدلا من ان تثري عملية الابداع، نراها تعطلها بما لديها من قيود قسرية ، والقافية ليست غاية لذاتها ، وانما هي وسيلـة لتجسيد التجربـة ، وتحويلها الى رؤى ، فلا ميزة لها في توحدها ، كما انه لا ضير فيها في تخالفها،

وفي اعتقادي ان الاصرار على القافية الواحدة هو الذي يعطل الشعر ويغله ، لذا كان شعر هؤلاء شعر معنى وابيات ، ولقد تأكد ، اخيرا ، ان شجو القصيدة لا ينبع من توحد القافية ، بقدر ما ينهمر من وحدة التفعيلة ، ومن تآلف حروف الكلمـة الشعـرية الفاعلة ، والشاعـر الـذي لا يتكىء على التنـاغم الداخلي للحروف عبر جو القصيدة يقع تحت وطأة النغم ، ويضحي بالفكرة التي يديرها اصلا ، الى الفكرة التي يسوقها له نغم اللقطة ·

الصـورة ، ودور الخيال في خلقها :

الخيال هو ارض لامرئية تستنبت عليهـا الصـور وتنـدج تحت ارهـاص الانفعال ، وهو الوعاء الذي تتم فيه عملية الحلول بين الذات والمادة ، ولعل اقدر الشعراء على تجسيد التجربة اولئك الذين يحيلون اختلاجاتهم الشعورية الـى صور في اخيلتهم ، وهو ما يسمى (تجسيم الشعور) ، فيبدون كأنهـم يرون شعورهم بقدر ما يحسون به ، وهذا ما عبر عنه **رامبو** في قوله : لقـد شاهدت احيانا ما توهم الانسان انه شاهدة ، فعندما تنهدم حدود الخيال يسيل الى منطقة الشعور فيتحدان ، معا ، في لحظة غامرة ، حتى يبدو كأن الشعر تساوى عند الشاعر مع الغفلة أو الحلم ·· وتتفاوت قدرات الشعـراء على احتضان العالم بشيئيته ، وفي تجسيد التجربة واحالتها من شيء يعاني الى شيء يرى(الصورة)، فمنهم من يعجز خياله عن معانقة الشعور والذوبان فيه ، فتستبد به الذهنية ، وتحيله الى افكار مجردة ، بدلا من ان تجسده رؤى نفسية ذاهلة ، والشعر الذي يحيل رمـاد حلمه ، في ذروة التوهج والترنح ، فيصبح صـورا واعية تصقلها بذهنيته الرصينة على محك التجريد ، ذلك ان الشعور لم يتغلغل الى الخيال ليدب فيه دبيب النار في الهشيم ، بل احتضنه العقل ، وقيده ، واحاله الى معان هي نتاج التأمل العقلي الباهت ·· وما يهمنا ، في هذا الصدد ، هو : أي نوع من الخيال استطاع ان يحتضن تجربة **ابي سلمى** الشعرية ؟ هل هو ذلـك الخيـال اللامرئي الملتهب بحرارة الانفعال ؟ ام انه ذلك الخيال الحسي الذي تتراءى من خلال الاشياء عبر حدقة الوعي ؟ ان من ينظر في شعر **ابي سلمى** لا يقع الاعلى بقع ضوئية مرئية لم يتمكن من تفجيرها واحالتهـــا الى رؤى متماسكة غنية بالصور النفسية ، ذلك انه شاعر معان او صور واعية ، تهز نفسه ازاء الحدث تتامله من الظاهر دون ان تقوى على اقتحامه ، وتشقيقه ، والتسرب الى اصقاعه من الداخل ، لذا بقيت صوره في طبيعتها خارجية ، مما افقدها التوتر الديناميكي الداخلي :

خدك ··· يـا انفاس ريحانة تحمـل اشواقـا مـن السحب

··· **فانفاس الريحانة هنا لم تخرج عن طبيعة الريحانة في وجودها المادي**

المألوف في مزهرية الطبيعة ، لان الشاعر لم يستطع احالتها الى رمز في الحياة ، بل ، تأملها من الخارج دون ان يقوى على فض اسرارها من الداخل والنفاذ الى عمقها ، فالصورة عنده نجمة وليست ضوءا ، وهي وردة وليست عطرا ، شجرة وليست ظلا ٠٠ قلب وليست سرا ٠٠ كل ذلك يعود الى ضحالة التجربة وعدم قدرة الخيال على الحلول في بوتقة الشعور حلولا نفسيا عميقا ، انه نوع من الخيال اللاهي العابث ، ومعظم شعر الوصف هو شعر غلو يتوالد من خيال قاصر عن تجسيد الحلم الى رؤية ٠٠ ما سمح للمجانية في كثير من الاحيان ان تتسرب الى الصورة ، واهم ما يميز الصورة عند **ابي سلمى** طبيعتها **التفسيرية** ، فهو يبسطها امامنا لوحة تتراخى فيها الخطوط في مرونة شاسعة ، ويمعن فيها تفسيرا حتى تقتل بين يديه ، يقول في قصيدة **الافق الحبيب** :

طال دربي ، فهل تضيء جراحي   وعلى السفح هل يرف جناحي ؟
قطرات الدم المشعة من قلبي   كانت ولا تزال صباحي

٠٠٠ ان صورة (تضيء جراحي) انبجست من خيال الشاعر الحائر في عتمة الغربة ، ولكي يذيب هذه العتمة ويهدمها اورد صورة جراحة التي تشبه القنديل ، ولكنه لم يكتف بهذه الصورة الجميلة المبدعة ، بل اشبعها تفسيرا فتراخت وتثاءبت عبر نسيج تعبيري آخر اعاد فيه الصورة نفسها بثوب جديد ، ما دام قد اورد صورة (تضيء جراحي) في البيت الاول لماذا عاد وعطل جمالها واطفأ التماعها بصورة اخرى وردت في البيت الذي يليه (قطرات الدم المشعة) ، اليس معنى هذه الصورة هو معنى الصورة السابقة فلو اسقط الصورة الثانية واكتفى بالاولى لبقي الايحاء متوهجا ، لكن شدة ميله الى التفسير والايضاح وعدم قدرته على اختزال المعنى بصورة واحدة هو الذي جعله يسوح في فضفاضية التصوير وتراخيه ، ان هذا الانفلاش بحركة الصور الغى كل الامكانات التكثيفية عند **ابي سلمى** ٠ وهذا ما يحدث كثيرا لدى الشعراء الكلاسيكيين الذين يعنون بتلاحق الصور وتزويجها ، دون ان يتركوا لصورة واحدة ان تتنامى وترفع رأسها ، وكلما حاولت صورة من الصور ان تفيض بامكاناتها التعبيرية الهائلة طاردها الشاعر بصورة اخرى شبيهة او قل مفسرة لها ٠٠ لماذا ، فان اول ما يميز شعر التفعيلة عن الشعر التقليدي ليس فقط كسره لقاعدة تساوي التفعيلات وتمرده على القافية الرتيبة ، وانما التعبير عن المعنى بصورة مكثفة مقلمة من الزوائد ، ان عبارة واحدة في الشعر الحديث الحقيقي يمكن ان تتسع لمعنى عريض جدا ٠٠ وتحضرني في هذا الصدد عبارة للشاعر **خليل حاوي** ، علقت بذاكرتي منذ زمن ولا زالت تلتمع كل هنيهة كومضة برق ، يقول **خليل** حاوي : (وعرفت كيف تمط ارجلها الدقائق تستحيل الى عصور) ٠ تأملوا جيدا ٠٠ بصورة واحدة ، استطاع الشاعر هنا ان يختزل

عمر الزمن فيجعلنا ننخطف برؤيته الشعرية التي جسدت لنا حلمه دون ضجيج ٠٠ او جنوح الى التفسير والترادف وعرض الصور المتلاحقة ٠

واذا كانت طبيعة الصورة عند **ابي سلمى** خارجية باهرة فان دينامية الايقاع تعوض عما قرره من تزاوج الصورتين ، وهذا التراخي في توليد الصور عطل ، كما قلنا ، عملية التكثيف ، حتى ولو عبر عن هذا التكثيف بلمع مضيئة شفافة ، ويمكننا القول ان **ابا سلمى** استطاع ان يطوع مجمل صوره والفاظه في خدمة ايقاعاته ، ولعدم قدرته على التكثيف والايحاء مال الى التشبيه وخلق الاستعارات لان هذا الاسلوب ايسر الاساليب وادناها توغلا وانسرابا في غابات النفس ، لكون التشبيه يتكىء على الاستنتاج والمقابلة واقرار المعرفة عن طريق الادلة والبراهين ، فعندما يقول **ابو سلمى** في قصيدته المشهورة **اغنية الموج** التي مجد فيها بطولة (جول جمال) :

ايها الثائرون في ارضنا الحرة   لا تتركوا الليالي سودا
زينوها بالانجم الزهر منكم   لتضيء المدى لنا والوجودا
كيف تخبو نار العروبة يوما   ونذرنا لها النفوس وقودا

٠٠٠ نرى ان تشبيه ارواح الشهداء بالانجم الزهر تشبيه لبث في حدود الشعور الواعي ، فهو يضع مشبها ليقابله بمشبه به بجامع الاضاءة بينهما ، وهذا التشابه بين طرفي التشبيه يتم في اطار الذهنية التي يكتنفها الحس المادي، وهذا نتاج الخيال الحسي اليقظ المنضبط ، اما في الخيال الغافل اللامرئي فان الشاعر يحاول هدم اسوار اللحظة الشعورية وتفجيرها ثم اعادة خلقها من جديد في عملية ابداعية خلاقة تتحد فيها الذات بالمعنى ، والذي جعل **ابا سلمى** يتوهج في هذا التشبيه (الشهداء نجوم) هو حذفه للمشبه الا وهو الشهداء والتصريح بلفظ المشبه به واسقاط اداة التشبيه ، ونحن نرى ان الشاعر ميال الى استخدام الاستعارات في توليد المعاني التي يريدها ، والصور البيانية عنده ليست غابة من الارياش والاجنحة وانما هي اوتار من الضوء والشجن ، ليست غابة واطيافا انما هي اغصان من اللحم والدم والشعور ، ونستطيع ان نقول ان خيال **ابي سلمى** خيال غني بمعطيات واقعية بعيدة عن الوهم والتحليق في قاعات ضبابية عاتمة ، فهو لم يجنح بخياله الى حد الجموع والتطاول ، ولم يغرق في التصوير الى درجة الاستغلاق ٠ بل نشر لنا روحه شريحة من الضوء ، وابى لخياله ان يعبث لانه شاعر يبشر بقضية وجدير به ان يقدس الكلمة التي يمتشقها في وجه مخاطبيه ، ولعل فيما قدمناه ما يدل دلالة واضحة على قوة ملكة التصوير عند **ابي سلمى** ، وهو في التعبير عن معانيه يراوح بين التصوير والتقرير ، ذلك ان شاعرا مثله لا يمكن ان يبني القصيدة كلها على ركام من الصور وحدها ، ولكنه لشدة صدقه ليقين اللحظة الشعورية يستغرقه الحدث فلا يجد سبيلا الى

التريث حتى يؤطر صورة بهالات فنية تستدعي منه كثيرا من الوقفات التي تطفىء توهجه وتحيل تجربته الى رماد · لهذا كان يتيح لصوره حرية الحركة في ساحة خياله مما جعلها تنثال على قلمه صورا عارية امام مرآة نفسه ، معطلة من حلى الصنعة البديعية المتكلفة :

يا احبائي !!! مضت عشرون ولم   تلثم التراب المفدى شفتانا

··· فصورة (لثم التراب) صورة عادية تقفز على لسان كل فرد كابد عشق وطنه ، وكما يبدو وثبت هذه الصورة الى خياله من خلال مسار تعبيري متدفق ، دون ان يجهد فكره في تركيبها فجاءت بسيطة واضحة · ويبدو انه حين يريد ان يعقد تشبيها ما ، ليكون صورة بيانية يزاوج بين طرفي التشبيه ، ويحكم الصفة الجامعة بينهما دون ان يلجأ الى عملية تركيبية معقدة ، فهو حين اراد ان يشبه (شباب الوطن) وثب امامه المشبه به المعروف وهو (الفوارس) كذلك لم يجد تشبيها لنساء بلاده سوى المشبه به العادي وهو (الحرائر) :

فنرى فلسطين الحبيبة حرة تخـ   ـتال بين فوارس وحرائر

··· وفي غزله ، كما في وطنياته ، لا يتقصى الصور البعيدة ، ولا يكلف نفسه عناء اللهاث خلفها لاقتناصها ، بل يسوقها كما هي في ثوبها الذي خلقت فيه في سرير الطبيعة ، لنستمع اليه وهو يتمنى ان يكون طائرا مرفرفا لينشد حبيبته اجمل الغناء ويحوم حول دارها :

يا ليتني كنت هنا   ك طائرا مرفرفا
انشد سمراء الهوى   محوما مطوفا
والشفتان انحنتي   فوقهما لارشفا
قبل ذبول الزهر من   حق الهوى ان يقطفا

···فهو طائر ، وشفتا حبيبته سلسل عذب ، ووجنتاها زهر آن قطافه ، صور تقريرية عادية لا ابداع فيها يستخدمها استخداما فقط ، ويكابد مرارة حرمانه منها دون ان يعيشها ، وهي مطلقة وفضفاضة وتعميمية تصلح للغزل بأي حبيب ، ذلك لان تجربته عائمة على السطح تتوق الى معانقة المطلق عن طريق نفثات التمني (يا ليتني) ·· لذا بدت غير قادرة على التسلل الى اعماقنا مما جعلها تجربة باهتة تضطرب في شبكة احلامه مفتونة ·· ويمكننا ان نرى في اغلب قصائده ذلك الهاجس المتعطش الى العناق الحقيقي الذي يحاول ان يوفر لنا من خلاله نشوة الكشف التي حرم هو منها ، وحرمنا منها معه نحن ايضا ، لهذا بقينا كما بقي هو حائرا على ضفاف التجربة التي لم تتماسك عبر النسيج التعبيري ، مما جعل قصائده الغزلية تسفر عن كثير من الصور التي تفتقر الى

حرارة المعايشة ، ولئن استطاع من خلالها ان يهدهد احاسيسنا الا انه لم يستطع ان يكشف لنا ما لا نقوى على كشفه بأنفسنا ، والعمل الفني لا يكفي لتحقيقه الصور التي تكتسب فيها الجزئيات قدرتها على الايحاء من خلال اتساقها العضوي يقول **(هيدغر)** : (لكي تكتب شعرا يعني ان تقوم باكتشاف) فأين هو هذا الاكتشاف الذي حققه لنا **ابو سلمى** من خلال صوره الحافلة بالظلال والالوان والحركة ؟ ان استسلامه لخدر الغنائية الطاغية ، وتجنيح الصور في معظم قصائده الغزلية جعل مشاعره تتسطح امامنا بثوبها الشعري الباهر دون ان يقوى على احالتها الى شعر حقيقي يكتسي بشمولية العالم ، ضمن رؤى شعرية لو احسن خلقها لوفر لنا الى جانب الجمالية الفنية جمالية في القيم .

دينامية اللغة :

يتحرك **ابو سلمى** ، في معظم قصائده ، عبر ميدان لغوي فسيح يتصاعد من خلاله بناؤه الشعر الذي هو التجسيم الموضوعي لتجربته ، فهل اللغة بدورها تتحرك في ميدان **ابي سلمى** حركتها الفاعلة ، والى اي مدى استطاع الشاعر ان ينجح في تعامله معها في عملية الابداع ؟ منذ البداية يجب انقبض على ادواته التعبيرية حتى نلتقط مكونات عالمه اللغوي، فمن حيث اللفظة نراه يعتمد عليها اعتمادا واعيا ، واللفظة عنده منسوجة من المرئيات ، ومقتطفة عن اغصان الواقع ، ومن خلال استخدامه لها يفجر من خلالها هاجسه الوطني عن طريق احالة الصورة التقريرية المباشرة الى فعل يتوهج بحرارة اللقاء بين نفسه والحدث الذي هزه عبد ايديولوجية شعرية تتحد فيها الأنا بالآخر ، خذ مثلا اية لقطة عنده تجد انها كتلة متفحمة يستخدمها كما هي في موقد الواقع فتأتي مفتقرة الى الاشعاع والتاثير ، وهذا ما يحدث غالبا عندما يجد نفسه تترنح امام الحدث فيلتقط اللفظة كما هي ويستخدمها من خيط التفعيلة برصانتها وثباتها ، تهزه هي دون ان يقوي على هزها هو وتفجيرها لان عنف الصدمة تشغله عن اخضاعها لعملية اختمار فني ، وهذا ما بدا في معظم قصائده الوطنية :

يا احبائي !! ان معركة التحرير تز   كو في ارضنا المعطار
يوم نسري على اللهب ونمحو   كل رجس فوق الاديم وعار
وتخط السيوف جنبا مع الاقـ   ـلام تاريخ ثورة وانتصار

··· الفاظ عادية افرغ فيها خلجات نفسه الكامنة بشكل مباشر متوخيا الصدق والوضوح وعدم الغوص على اسرار الجمال الفني ، حتى جاءت معاينة متسربلة بشاعرية متدفقة تستهوي ارضاء عواطف سطحية قد تدفع الى الانفعال وليس الى الفعل ، واذا قلنا ان ابا سلمى شاعر واقعي ، وشعر الواقع هو شعر الوضوح ، فهل اذا نحن اخضعنا شعره لمعايير نقدية حديثة نوافق على اداته التعبير التقريري بمثل هذا الوضوح الذي يكاد يسق الى النثرية ؟ انه منذ

بداياته الشعرية حتى الان يصر على طرح مضامينه باسلوب مشرق عار عن الدهاليز اللغوية العاتمة ، ونحن بدورنا نغفر له تقريريته هذه لكونه شاعرا ساهم في زيادة حركة الشعر القومي المعاصر باخلاص ، وتمسك بالصياغة القديمة ، فهو كما يبدو ينبجس حلمه الشعري يغمس قلمه في نزيف شعوره ولا يابه الا الا للفكرة التي تلح عليه فيتناول اللفظة التي تلوح له لاول وهلة ويحاول ان يتعامل معها تفاعلا مخلصا صافيا وان يكون ابداعه عبر لغة متوترة مشحونة ذات ايقاع ينبع من احاسيسه :

كل يوم تشرد ورحيل   آن للطائر الغريب النزول
قبل الشوق أيقظت ، جبل النا   ر ، فخفت الى اللقاء السهول

... وهو احيانا ينزع الى اخراج اللفظة من ماديتها ليضفي عليها ظلالا مجازية تتحرك من خلالها ضمن ثوب الاستعارة ، والتشبيه ، وتشخيص الجمادات ، والذوبان في محراب الطبيعة :

حملتني على السنى اشواقي   والتقينا قبل يوم التلاقي

... فلفظة (اشواقي) في استعمالها الحقيقي كرة تفحمت تحت وطأة الواقع ، ولكنه عندما تعامل معها تعاملا شعريا انقذها من طينتها وقرب منها لهيب نفسه فتوهجت بالقبل ، اما اسلوبه التعبيري فيراوح بين الانشائية والخبرية ..

الانشائية عن طريق صيغ النداء والتعجب والتمني والامر والاستفهام ، وكل هذه الصيغ لها دلالات نفسية وابعاد حياتية كامنة تستيقظ كلما هبت ريح على رماد نفسه ... اما النداء فله مكان الصدارة في استهلالات معظم قصائده ، وما ذلك الا لتوق نفسه الى معانقة الحلم ، وهو حينما لم يجد استجابة ذاتية يستحيل المنولوج الداخلي الى نداءات تتراخى على افق مخضب برومنسية ملتهبة :

ودع ظلالك يا حمام الوادي   الوى الزمان بغصنك المياد

... اما **التعجب** فهو حسرة اسيرة في اعماق الشاعر تحاول ان تقفز الى عالم الواقع الزاخر بالتناقضات ، ولكنها تزداد اسرا كلما ازداد الشاعر معرفة بالحياة المبنية على التفاوت بشتى الوانه :

ما انضر القلب اذا عيدا   اهدى الى العمر الشذا والندى

ان صيغة (ما انضر) التعجبية ، نفي للنضارة التي يحلم بها الشاعر وهو بعيد عن وطنه ، اذ كيف يلتهب قلبه بالفرح وبين حبيبته فلسطين هضاب من العتمة وغابات من السيوف ؟

اما **الاستفهام** عنده فيراوح بين التقرير والنفي ، فهو حينما يقول :

كيف يسري الضياء في قلب   بعدنا ، او يشع بعد انتزاع

لا يتساءل لمجرد السؤال ، وانما لينفي سريان الضياء في عتمة القلب الذي نزح ، هذا في اطار الانشائية اما من خلال **الاسلوب الخبري** ، فانه يطرح افكاره طرحا تقريريا يصل الى حد الخطابية :

يا فلسطين !! .. انت انشأت شعبا   لم ينم ساعة على الاضطهاد
حارب الظلم منذ كان فيا للشعب   يودي بالسيف والجلاد

... اما استخدام **ابي سلمى** للافعال فقد جعل لكل صيغة زمنية دلالة لم يتقصدها لذاتها وانما جاءت لتدل على ما في نفسه من مخزون شعوري يراوح بين محاولة **استدعاء الحلم الطفولي** وايقاظه من مهده ، وذلك من خلال استخدامه **للافعال الماضية** :

مررت على المرج قبل المغيب   اعلل قلبي بحسن وطيب
رأيت الازاهير من كل لون   تميل على كل غصن رطيب

او محاولة القيام **بعملية تهيؤ لاقتحام اسوار الواقع** والقفز منها الى الآتي، وذلك من خلال **الافعال المضارعة** :

لا يضيء النور في الجمع اذا   لم يكن منك الجبين الطلق لاحا
نحن لا نشكو جراحا انما   نشتكي من ضمدوا تلك الجراحا

او محاولة **القبض على ظلال الآتي** واستعجاله ، وذلك من صيغ **الامر** :

سيروا على وضح النهار   فالحق من نور ونار

الجاهزية التعبيرية :

اما استخدام **ابى سلمى** للعبارات الجاهزة ، فمرده الى عدم اتاحته الفرصة لشعوره بأن يحدد شكل العبارة ، او يخلق الصيغة اللغوية التي تستوعب المعنى . فنحن نراه يسوق من العبارات ما ينثال على قلمه من اول دفقة شعورية ، ومثل هذه العبارات عبارة جاهزة وردت في قصيدة (النيربان) وهي (بشبا السنان) اي بأطراف الرماح : يقول :

وتلمه والعاديات تنو   شه بشبا السنان

وقد وردت هذه العبارة عند الفرزدق في وصف الذئب :

ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى   اتاك بسهم او شباة سنان

وعبارة اخرى وردت في قصيدة **(ابو خالد)** وهي (اذللتدمعي) في قوله :

وقفت اناجي (سيلة الظهر) باكيا   واذللت دمعي بعدما كان عاصيا

وهي العبارة نفسها التي وردت في قول **(ابي فراس الحمداني)** :

اذا الليل اضواني بسطت يد الهوى   واذللت دمعا من خلائقه الكبر

... وفي مكان آخر يستخدم **ابو سلمى** عبارة (لك الله) في قصيدة **(ابو خالد)** :

لك الله يا زمن العشيرة ان بدت   رؤوس المنايا وادرعت المواضيا

... **وهي نفسها في قول المتنبي في رثاء جدته :**

لك الله من مفجوعة بحبيبها ..

كذلك استخدم طباقا جاهزا آخر ورد عند الشاعر **(حطان بن المعلى)** في **قصيدته الشهيرة (اكبادنا)** :

ابكاني الدهر ويا طالما   اضحكني الدهر بما يرضي

اما **ابو سلمى** فيقول من قصيدة **(يا بلبلي)** :

اضحكك الحب وابكانا   ليت الهوى يا طير ما كانا

كذلك استخدامه لعبارة (الحرية الحمراء) في قوله :

هذه الحرية الحمراء ما   عرفت الا فلسطين مراحا

ويقول **شوقي** :

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

اما عبارة (نؤوم الضحى) التي استخدمها **ابو سلمى** ، فقد استعارها من امرىء القيس الذي يقول :

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

ويقول **ابو سلمى** :

ولى الدجى وهي نؤوم الضحى   والسحر يرعاها وراء الحجال

... ويضيق بنا المجال اذا رحنا نستعرض كل العبارات الجاهزة التي اوردها **ابو سلمى** بثوبها التقليدي الذي كانت قد التمعت فيه لاول وهلة حتى اذا كثر استعمالها وتناقلها انطفأ توهجها وصدىء لمعانها. وهذا لا يعني ان **ابا سلمى** يتكىء دائما على جاهزية العبارات دون ان يحاول رفد مخزونه الشعري بمعطيات عصرية ابتكرها ، لا ... ، اذا نحن تأملنا مليا في النسيج الفني لديه لعثرنا على

كثير من العبارات المبتكرة ذلك ان **لابي سلمى** قدرة فائقة على خلق العبارة الجديدة وتوليد المعاني ، ففي قصيدته **(ابو خالد)** يخلق تركيبا شعريا مبدعا يرفل بجمالية آسرة :

اتنعي عميد الثائرين محمدا   ولا تلبس الدنيا عليه اللياليا ؟

ان تعبير (تلبس الدنيا اللياليا) فيه نكهة العصر وطعم الحداثة ، توالدت منه صورة تغتني بمعنى ذي ابعاد وظلال ... ومثل ذلك كثير لديه .

الرمز :

لان **ابا سلمى** حر فيما يقول ، استطاع ان يقول ما اراد ، ورغم الاشباح التي تلاحقه من كل جانب بسط لنا نفسه سجادة من الضوء والعطر ، ولم يجدفي ذاته حاجة للجوء الى الرمز والتورية ، ولماذا يلجأ اليهما وقد نسج نبوءته الشعرية قبل النكبة وبعدها فكانت كما تكهنها : ضياع وتشريد وتلاعب الملوك بمصائر الشعوب العربية وتمر عنهم على اعتاب الاستعمار .

وما قصيدته الرائعة (لهب القصيد) التي نظمها اواخر الثلاثينات الا قرعا لضمائر الملوك الذين ناشدوا آنذاك شعب فلسطين الذي فجر ثورته الشهيرة عام الف وتسعمائة وستة عشر والموجهة ضد الانكليز لانهم اهل البلاء ، ومما جاء في النداء :

« الى ابنائنا عرب فلسطين ! لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين ، فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا باننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » .

فلو كان **ابو سلمى** ممن يتمسحون بثياب الملوك لما اهتز ازاء هذا النداء ، الذي ينزف عارا ومذلة ، وكتب قصيدته الرائعة التي عرى فيها الملوك وكشف اوراقهم تحت شمس الحقيقة الفلسطينية ، وقد افاض فيها بعفوية صافية مخضبة بغضبه المتوهج دون ان يعمد الى استخدام التورية او وضع الاقفال على بوابات المعاني :

دكت عروش زينوها بالسلاسل والقيود
سحقا لمن لا يعرفون سوى التعلل بالوعود
واذلهم وعد اليهود ولا اذل من اليهود

... ومن خلال هذا الوضوح والتدفق ، والبعد عن اللولبية اللغوية

استطاع ان ينقل عدوى هذا التوتر الشعري الذي يبدو ان الشاعر عاناه بصدق فأفرغه بخاطبية محتشدة بأدوات التعليل، والاضافات والنعوت مما جعل معظم قصائده تثير الحماس الذي يرغو على بحر العاطفة دون ان يتسلل الى العمق ليفض الاختام عن الاصداف التي تنتظر النور في قاع الشعور :

يا فلسطين !! انطرينا نضطرم — قد صهرنا الاحرف الحمر كتابا
وهتفنا باسمك العذب على — كل درب وجعلناه حجابا
باسمك القدسي لاقينا الردى — مثلما تهوين شيبا وشبابا

···وتكاد معظم قصائده تتشابه في الشكل والطرح والبعد عن استخدام الرموز ، وعدم الاعتماد على الايحاء ، قصائد متفتحة كتفتح نفسه التائقة لاحتضان النور ، منسابة انسيابا حقق شعرا صافيا متألقا منهمرا انهمارا وجدانيا عميقا ، ولئن وردت عنده بعض الرموز · الا انها كما يبدو ليست بالمعنى الدقيق للكلمة ، انها اطلاق الدلالات المجازية للمفردات في استعمالها الحقيقي ، فاذا اراد ان يرمز مثلا الى الثورة استخدم كلمة (اللظى) :

ونحن الثائرين بكل ارض — سنصهر باللظى نير الرقاب

··· واذا اراد ان يعبر عن الحرية استعار لها كلمة (الفجر) :

طلع الفجر على راحاتكم — بعدما القت عن الليل الحجابا

وكذلك رمز الى الامل والحياة بكلمة الزهر :

والزهر لولاك تمرين به لم يعبق

واذا لاح له معنى الخلود رمز له بكلمة الريح ، يقول في تأبين البطل (جول جمال) :

هو ملء الدنى وتحمله الريح

خاتمة :

وهكذا استطاع **ابو سلمى** ان يقدم لنا تجربته ، بشكل فني قديم ، وافكار عصرية ، تجاوبت مع روح الحداثة ، واذاب جمالها في جمالية البناء الكلاسيكي ، الذي اضاءته الصور النابضة ، ومن خلال ذلك يدلل **ابو سلمى** ان في استطاعة اي شاعر اصيل ان يقدم لنا لوحاته الابداعية ضمن قوالب شعرية سلفية ، ويكشف لنا ، من خلالها ، عن امكانية فنية ، امتلكت مقوماتها الرئيسية، ومما تقدم نلاحظ سيطرة **ابي سلمى** على اللغة ، وتمكنه من التعبير ، الذي اتاح له ان يمسك بخيوط العمل الشعري ، موعودا بكوامن نفسه، ان تتفتح في لحظات

العناق الصوفي، مما شد المتلقي الى شعره وفتح له افاقا تتكشف عن ثراء تجربة ووضوح رؤية ، ومن خلال التناول الشعري عنده استطاع ان يضفي قسمات الاصالة على قصائده ، ولكنه لم يستطع ان يجد لصوته تغردا ، ورغم الغنى والخصوبة في عطاءاته الشعرية بقي هذا الصوت مختلطا بأصوات الشعراء الكلاسيكيين في طريقة ادائه ، وادواته التعبيرية التي تشابهت في لونها وحركتها بأدوات غيره من الشعراء ، وكل ذلك لم يعب **ابا سلمى** ، فهو الشاعر المنفعل والفاعل، استطاع ان يكشف لنا ضمائر الاحداث تحت حدقة الوعي ويمهد السبيل لغيره من الشعراء · فكان بحق رائد الكلمة المناضلة التي وفر لها حدسه الشعري والانساني ان تخرج الى الضوء ممتشقة وجهها الناصع · وفي عناق حار مع الكلمة بقي **ابو سلمى** ينمو باستقامة فارعة كشجرة الزيتون التي ذاب فيها وذابت فيه ويظل عند كل هبة ريح يواصل عشقه وتحديه لحطاب الزمن ·

مدخل لدراسة الادب الافرو ـ امريكي*

د. رضوى عاشور

« ليس بالامكان ان نطرح مسألة الثقافة الوطنية دون ان نطرح ، في ذات الوقت، مسألة الاستعمار، وذلك لان الثقافات الوطنية اليوم تنمو في ظل الاوضاع الاستعمارية وشبه الاستعمارية » (١) بهذه الكلمات لخص الكاتب المارتينيكي **اميه سيزير** ، موقفه من مسألة ثقافة البلدان المستعمـرة (بفتح الميم) والمستقلة حديثا ، في الكلمة التي ألقاها في **المؤتمر العالمي الاول للكتاب والفنانين الزنوج،** الذي عقد في باريس ، عام ١٩٥٦ .

واثار كلام **سيزير** اعتراض عضوين من الوفد الافرو ـ امريكي ، هما **مرسر كوك وجون ديفز** . قال **كوك** انه تصور ، خطأ ، ان المؤتمر عقد لمناقشة المسائل الثقافية الصرفة ثم قال : « انني اود ان اسأل السيد **سيزير** ان يوضح لي عددا من النقاط . هل نحن هنا لمناقشة الاستعمار ، والاستعمار فقط ؟ اننا نناقش الاستعمار ، فهل هذا لان المسائل الاخرى المتعلقة بالثقافة لم تكن سوى حجة لعقد هذا المؤتمر؟ »(٢) كان **كوك وديفيز** غاضبين ، بسبب ما قاله **سيزير** من ان مشكلة الزنوج في الولايات المتحدة مشكلة استعمارية . وعلق **ديفيز** على ذلك ، قائلا ، ان مشكلة الجماعة التي ينتمي اليها من مشاكل الاقليات ، ولا يمكن بأي حال ، مقارنتها بمشكلة المستعمرات في افريقيا ، ثم اضاف : «اود ان اقول انه لا جدال في ان الزنوج الامريكيين يشعرون بتعاطف كبير جدا مع الزنوج في المستعمرات، وان لهم مصلحة فعلية في تحرر الزنوج في مكان في العالم . وشعورنا هـذا

* هذه الدراسة ترجمة ، ملخصة ومعدلة ، للفصل الاول من رسالة جامعية كنت قد تقدمت بها لنوال درجة الدكتوراه ، من **جامعة ماساشستس** بالولايات المتحدة ، في صيف ١٩٧٥ .

١ ـ Aimé Césair, « Culture and Colonialism,» The Ist International Conference of *Negro Writers and Artists*, *Spe cial Issue of Présence Africaine*, No 8-9-10, 1956, p. 193.

٢ ـ المصدر السابق . ص ٢١٦

حتمي ، من موقعنا كأمريكيين وكزنوج . لقد اتخذت امريكا، دائما، موقفا معاديا للاستعمار ، وهو موقف يتبناه كل رؤسائها ، من **جـورج واشنطـن** الى **دوايت ايزناور** » (٣) . ورغم رفض **ديفيز** لرأي **سيزير** ، واصراره ان المشكلة السوداء في الولايات المتحدة مشكلة اقليات ، الا انه اكد ثقافته الزنجية المتميزة ، وقـال انه نشأ في ظل «الاغاني الروحية» واغاني «البلوز» والموسيقى السوداء .

ولم يكن طرح مسألة تأثير الوضع الاستعماري على الثقافة الوطنية في ذلك المؤتمر بالشيء الجديد . فقبل ذلك بأكثر من نصف قرن تعرض الكاتب والمناضل الافرو ـ امريكي، **وليام ادوارد بورجارت ديبوا** ، لذات الموضوع، في كتابه **روح الشعب الاسود** (١٩٠٣) ، حيث وصف الاغتراب الناشىء عن الوضع الخـاص للانسان الاسود داخل المجتمع الامريكي قائلا :

> انه لشعور غريب ، ذلك الوعي المزدوج ، ذلك الاحساس بان الانسان ينظر الى نفسه بعيون الاخرين ، ويزنها بموازين عالم يتسلى بالنظر اليه باحتقار وشفقة . ان الواحـد منـا يشعر باستمرار انه اثنان : امريكي وزنجي ، نفسان ، فكران، شوق لهدفين لا يمكن الجمع بينهما ، مثالان متصارعان داخل جسد واحد ، اسمر لا يحول بينه وبين تمزقه اربـا سـوى صلابته العنيدة . (٤)

وهكذا استطاع **ديبوا** ، في هذه الكلمات التي كتبها في عـام ١٨٩٧ ، ان يبلور ببصيرة يحسد عليها ، الاثار النفسيـة والثقافيـة المترتبـة على الوضـع الاستعماري ، وهي اثار تسبب اغتراب الانسان الاسـود . ولا يمكنه تجاوزها ، في راي **ديبوا** ، بانكار الماضي مهما كان مؤلما بل بتمثله .

لقد كان **ديبوا** ، الذي لقب **بابي الوحدة الافريقية** ، رائدا في مجال البحث عن الهوية السوداء ، فقدم ، في عمر مديد ، قارب المائة عـام ، عطـاء نضاليـا وفكريا ، استمر منذ نشـر كتابه الاول **الغاء تجارة الرقيق مع الولايات المتحدة** (١٨٩٦) حتى **السيرة الذاتية** (١٩٦٨) ، الذي نشر بعد وفاته في غانا ، **التي دفن في ارضها** .

٣ ـ **المصدر السابق**

٤ ـ W. E. B. DuBois, *The Souls of Black Folk*, The New American Library, New York, 1969 .

وحين عقد **المؤتمر الاول للكتاب والفنانين الزنوج** ، عام ١٩٥٦ ،ارسل **ديبوا** ، الذي كان في الثامنة والثمانين من عمره ، بالرسالة التالية الى المؤتمر :

« لست معكم اليوم ، لان حكومة الولايات المتحدة رفضت ان تعطيني جواز سفر · ان اي زنجي امريكي يسافر اليوم الى الخارج عليه الا يناقش الاوضاع العنصرية في الولايات المتحدة، او عليه ان يقول ما تريد وزارة الخارجية ان تقنع العالم به · وتعترض الحكومة علي انا بشكل خاص ، لانني اشتراكي ، ولانني اعتقد في ضرورة السلام مع الدول الشيوعية، كالاتحاد السوفييتي ، وفي حقها في العيش الآمن ·

« كذلك ،فانني اؤمن ، بشكل خاص ، بالاشتراكية في افريقيا ، فالتاريخ الاجتماعي لشعوب افريقيا ذو طابع اشتراكي ، في جوهره ، وعلى الدول الافريقية البناء في اتجاه الاشتراكية الحديثة ، كما تتمثل في الاتحاد السوفييتي ، وبولنده ، وتشيكوسلوفاكيا ، والصين · ان تصبح افريقيا الجديدة اداة ومخلب في يد القوى الاستعمارية ، وان تسمح للولايات المتحدة بأن تقودها الى طريق الخطأ ، طريق استثمار واستغلال الايدي العاملة فهذا هو الخطأ القاتل · واثق ان كتاب العالم السود سوف يفهمون هذا ، ويضطلعون بمهمة قيادة افريقيا الىطريق النور، وليس الى الوراء نحو الاستعمار الجديد، حيث يضع رأسمال بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة يده في يد رأسمال افريقيا ، لاستعباد الايدي العاملة الافريقية، مرة اخرى ·

« انني احييكم واحمل صديقي النائب **سانت لونت** ، من هايتي ، اطيب تمنياتي اليكم ·

و· ا· ب· ديبوا
نيويورك

٣٠ اغسطس ١٩٥٦ (٥) »

---

٥ ـ محاضر جلسات المؤتمر العالمي الاول للكتاب والفنانين الزنوج ، المصدر مذكور سابقا ، ص ٣٩٠ ·

وتكشف رسالة **ديبوا** الى المؤتمر عن وعي عميق بالعلاقة العضوية بين الاستعمار والمشاكل الثقافية في البلدان النامية ، كما تكشف ، ايضا عن وعيه بأن التحرر الاقتصادي والسياسي ضروري للغاية ، لتحقيق الامكانات الثقافية ، الادبية ، والفنية ، والحضارية عموما ، للافراد وللجماعة ككل ·

وكان ممن شاركوا في هذا المؤتمر شاب في الواحد والثلاثين من عمره ، من جزر المارتينيك هو **فرانز فانون** ، الطبيب النفسي ، والكاتب الذي ظهر له ، قبل ذلك بأربع سنوات ، كتاب بأسم **بشرة سوداء اقنعة بيضاء** (١٩٥٢) ، يعرض فيه للتأثير النفسي للوضع الاستعماري على سكان الكاريبي · والدعوى الاساسية في هذا الكتاب الذي يمزج كاتبه فيه بين المنهج الماركسي وبعض الافكار الوجودية والفرويدية هي ان اغتراب السود في المستعمرات يرجع لاسباب اقتصادية ، اساسا، وان الوضع الاستعماري يدمر التكامل النفسي والعقلي لابناء وبنات المستعمرات ، منذ طفولتهم · ففي جزر الانتيل ، مثلا ، في البحر الكاريبي ، والتي يتخذها **فانون** نموذجا لغيرها من المستعمرات ، نجد ان المجلات الشائعة بين الاطفال تقدم الزنوج والهنود (السكان الاصليين) كصورة مجسدة للشر والتوحش · « وبما ان المتفرج يتمثل نفسه في المنتصر ، فان الزنجي الصغير ، تماما كالولد الصغير الابيض ، يصبح مكتشفا ومغامرا ومبشرا ، ويواجه مخاطر ان يأكله الزنوج الاشرار » (٦) ·

وبالامكان ان ندلل على صحة تحليل **فانون** بنماذج مختلفة من تاريخ الادب الامريكي ، ولنأخذ هنا مثلا من شعر **فيليس ويتلي** (١٧٥٣ ـ ١٧٨٣) ، التي خطفت من موطنها الاصلي ، الذي يرجح انه السنغال ، وهي في السابعة من عمرها · وحين وصلت الى العالم الجديد ، اشتراها ترزي من المستوطنين البيض ، من بوسطون ، ثم ، نتيجة لذكائها الشديد ، تبناها هو وزوجته ، وساعداها على التعلم ، فاستطاعت في فترة قياسية ان تتقن اللغة الانجليزية ، وتقرأ امهات الكتب فيها ، وتكتب الشعر بها · وفي السابعة عشرة كانت هذه الافريقية، المقطوعة الجذور، تحظى بالاعتراف والشهرة، كشاعرة· ولا يهمنا، في هذا المجال،الحكم على القيمة الفنية لشعرها،بل نتخذ من بعضه مثلا على الاستعباد الثقافي الناتج عن الوضع الاستعماري · تكتب **فيليس ويتلي** ، في قصيدة « بمناسبة احضاري من افريقيا الى امريكا » ، ان رحمة الرب هي التي اتت بها من ارضها الوثنية ، علمتها ان هناك الها ومخلصا · ثم تذكر اولئك الذين

٦ـ Frantz Fanon , *Black Skin White Masks* , trans . Charles Lam Markmann, Grove Press, New York, 1967, p. 146.

ينظرون لابناء جنسها بعين الاحتقار ، لان «لونهم يحمل صبغة الشيطان» ، قائلة: « لكن يا ايها المسيحيون تذكروا ان الزنوج السود كقابيل\يمكن ان يتهذبوا ويلحقوا بالركب الملائكي » (٧) ·

وفي مضمون هذه القصيدة مثالا واضحا على الاستعباد الثقافي الذي يشير اليه **فانون** · ان **فيليس ويتلي** ، رغم نواياها الطيبة ، ترى عنصرها الافريقي ، وتاريخها ، ودينها ، من خلال عيون وثقافة اسيادها من المستوطنين البيض · لقد اكتملت عملية غسيل المخ في حالتها ، الى الحد الذي صارت ترى فيه ان ثقافتها الاصلية لا تزيد عن كونها نمط حياة همجية ، وترى لونها مرتبطا بالشر المطلق ، الذي يجسده **قابيل** ، ويصف **فانون** هذه الحالة عموما بذكاء كبير ، حين يكتب : « ان الام الاستعمارية تحمي طفلها من نفسه ، من ذاته ، من تكوينه الجسدي والبيولوجي ، من تعاسته التي هي جوهر وجوده » (٨) · وهكذا ترى **ويتلي** ، التي تعيش في كنف الحماية الاوروبية ، فحين استعبدوها « ركبا ملائكيا » تطمح في اللحاق به · وهي، كحالة نموذجية للاستعباد الثقافي ، يتحول شعورها بالدونية ، الى جزء اصيل من بنيتها النفسية ، وهذا يعني بالضرورة رفض ودفن الثقافة الاصلية لان « المستعمر (بالفتح) يسمو فوق حضارة الغاب (التيهو منها) بقدر ما يتبنى المقاييس الحضارية للبلدالام» (٩) · **وفيليس ويتلي**، السنغالية الاصل ، تكتب باللغة الانجليزية ، فهي لا تعرف لغة سواها ، وتصوغ اشعارها بالشكل الفني الشائع في القرن الثامن عشر في انجلترا وتقلد **الكسندر يوب** اكبر شعراء العصر الانكليز · وليس فيهذا الكلام عن**فيليس ويتلي** اية ادانة لها ، لقد كانت امرأة ذكية ومميزة وضعت في مأزق لا يد لها فيه ، مملوكة معزولة مقطوعة الجذور ، ولم يكن امامها بديل · انها ضحية بكل معاني الكلمة ·

وفي البحث الذي تقدم به **فانون** الى **المؤتمر العالمي الاول للكتاب والفنانين الزنوج** ، باسم « العنصرية والثقافة » ، شرح العلاقة العضوية بين الاستغلال الاقتصادي وتدمير الثقافات الوطنية · وفي رأيه انه « ليس بالامكان استعباد اناس دون جعلهم يشعرون بالدونية ، بشكل كامل · والعنصرية هي الشكل

---

٧ ـ Sterling Brown, Arthur Davis and Ulysses Lée, eds. *The Negro Caravan*, Arno Press and New York Times, New York, 1970, p. 283 .

٨ ـ Frantz Fanon, *The Wretched of the Earth*, trans. Constance Fa - rrington, Grove Press, New York, 1963, p. 170. (F. ed. 1961) .

٩ ـ **بشرة سوداء اقنعة بيضاء** ، المصدر مذكور سابقا ص ١٢ ·

الانفعالي والعاطفي ، واحيانا الفكري ، الذي تبتدي فيه عملية تحويل الآخرين الى الشعور بالدونية» · ويشير **فانون** الى ان الغزو العسكري يتم في نفس الوقت الذي تدمر فيه الانمطة الاجتماعية ويفرض الغازي على السكان الاصليين مجموعة جديدة من القيم ، يفرضها قسرا « بقوة المدافع والسيوف » · وحين يشاهد السكان الاصليون تدمير ثقافتهم يبدأون في الاعتقاد بأن « اللـه لا يقف الى جانبهم » ، ويشعرون بالذنب والدونية ، ويحاولون الهرب ، باعلان انتمائهم الكامل وغير المشروط للنماذج الثقافية الجديدة وادانتهم الكاملة لانمطتهم الثقافية الاصلية (١٠) ·

وبالرغم مما يتصف به تحليل **فانون** من ذكاء وبصيرة ، الا انه يبدو لي ان طبيعة الاستعباد الثقافي وردود فعل المستعمر (بالفتح) لهو اكثر تعقيدا من الصورة التي يقدمها هذا التحليل · واعتقد ان الشعور بالدونية والذنب الذي ينجح الغازي في اشعار المستعمر (بفتح الميم) بها وتمثل ثقافة السيد ، لا يحدث بنفس القدر بين شرائح المجتمع المختلفة · ففي حين ينطبق هذا التحليل ، بدقة اكبر ، على الافراد والشرائح الاجتماعية الاعلى نسبيا والتي تعيش في المدينة في احتكاك يومي مع الغازي ، فالمرجح انها لا تنطبق ، بنفس الدرجة ، على الجماهير الفقيرة التي تعيش في القرى والمزارع ، في عزلة نسبية عن السيد الاوروبي · وهذا لا يعني انني انكر ان الكل يعاني ، ولو درجات متفاوتة من الآثار النفسية الوخيمة المترتبة على الوضع الاستعماري · وما اقصد قوله هو ان الجماهير الكادحة تخلق منافذ ثورية للبقاء والاستمرار ومواجهة الغازي · ويقدم لنا الفن الشعبي الاسود ، الذي نشأ وتطور في مزارع العبودية في امريكا، نموذجا لرد فعل مختلف ، بل ومناقض لرد فعل شاعرة **كفيليس ويتلي** فلقد استطاع الافريقيون الذين حملوا قسرا وحولوا الى عبيد في مزارع المستوطنين الاوروبيين في « العالم الجديد » ان يتمثلوا الكتاب المقدس (١١) والاغاني الشعبية الاوروبية وغيرها ، مما اتيح لهم ويمزجوه بما اتوا به من بلادهم ، للابقاء بمتطلباتهم النفسية والثقافية ، واهمها جميعا حاجتهم للحرية · ومن هنا ابدع العبيد فنا شعبيا اصيلا وغنيا ، وذا دور فعال في حياتهم اليومية · ابدعوا الحكايات الشعبية التي تستلهم حكايات اجدادهم في القارة الافريقية ، في نفس

١٠ـ **محاضر جلسات المؤتمر العالمي الاول للكتاب والفنانين الزنوج** ، المصدر مذكور سابقا ، ص ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٤ ·

١١ ـ بعد مناقشات انقسم فيها البيض واختلفوا بشأن ما اذا كان للافريقيين روح قرروا السماح لهم بتعلم القراءة والكتابة وقراءة الكتاب المقدس الذي كان المصدر الوحيد المكتوب المسموح لهم بتداوله على مدى سنوات طويلة ·

الوقت التي تعبر عن واقعهم الجديد الطاحن، والذي لا يكفون عن مواجهة ضغوطاته ، ومقاومتها · وابدعوا الموسيقى ، ورقصات ، واغاني البلوز ، الحزينة ، والاغاني الروحية · وعند هذه الاخيرة نتوقف بعض الشيء ، لنتخذ منها نموذجا لطبيعة ابداع الافريقيين في « العالم الجديد » ·

ان هذه الاغاني الروحية اغاني جماعية تستلهم صورها من الكتاب المقدس، وتعبر عن اغتراب الافريقيين في مزارع العبودية ، وتطلعهم الى الخلاص · كان العبيد يغنون معا ، فيؤكدون تشبثهم بالحياة ، وبالعدالة ، بل حتى بالفرح · ويمتد حبل هذه الاغنيات من الاغتراب الحزين في «احيانا اشعر كطفل لام له··· \ بعيدا جدا عن بيتي» · وامتزج الالم بالامل ، في « آه يا مريم لا تبكي ، لا تنتحبي ··· \ فجنس فرعون قد غرق » والحلم بالحرية في « لكل ابناء الرب اجنحة ··· \ وحين اصل الجنة سوف اضع اجنحتي \ واحلق في فضائها \ الجنة ، الجنة سوف اخلق في فضائها » ، ومن الاغتراب ، والالم والحلم تصل الاغنيات الى تأكيد حتمية الخلاص بصوت عالي جهوري « سوف ننتصر/سوف ننتصر \ سوف ننتصر ذات يوم\ آه من القلب ايمان عميق بأننا\ سوف ننتصر ذات يوم » (١٢) ·

والى جانب الوظيفة الاجتماعية والنفسية التي كانت تقوم بها هذه الاغنيات فقد كان لبعضها وظيفة سياسية ايضا ، اذ كانت تستخدم كوسيلة لنقل الرسائل السرية ، بشأن الهرب بالقطار السري الى كندا والولايات الشمالية ، حيث لا يقع الافريقي تحت طائلة قانون الولايات الجنوبية ، الذي ينص على ارجاع اي عبد هارب الى صاحبه ·

لقد طرأت على الافريقيين الذين صاروا عبيدا في « العالم الجديد »تغيرات ثقافية كبيرة ، يرجعها كل من **ياهينزيان وملفيل هرسكوفتس** الى تمثل الافريقيين للعديد من الانظمة الثقافية الغربية ، بما فيها المسيحية ، بعد ان كيفوها بالشكل الذي يخدم احتياجاتهم ، ويصب في اطار معتقداتهم الافريقية · ولكن للشاعر الهايتي ، **رينية ديبستر** ، رأي آخر في الموضوع ، اذ انه يصف هذه التغييرات الثقافية بأنها تمرد ايديولوجي من قبل العبيد ، اخذ يتبدى في مجالات ممارساتهم الدينية ، وابداعهم الفني · كذلك يختلف **ديبستر** عن كل من يان **وهرسكوفتس** ، في اعتقاده ان الثقافة الجديدة التي خلقها العبيد لم تكن نتيجة لرغبتهم في

١٢ _ Langton Hughes and Arna Bontemps eds., *The Book of Negro Folklore*, Dodd Mead & Co., New York, 1958 .

الاحتفاظ بثقافتهم الاصلية ، بقدر ما كانت نابعة من التفاعل الجدلي بين الافريقيين ، بتكوينهم الثقافي الاصلي وبيئتهم الجديدة في الامريكيتين · وفي دعوى **ديبستر** ان هذه الثقافة الجديدة التي كانت تعكس وتواجه مؤسسة العبودية ، كانت تتمثل كل ما كانت بحاجة اليه، سواء توفرت في حضارة الرجل الابيض او في الحضارة الافريقية الاصلية · اما انتصار هذا التمرد الايديولوجي، او هزيمته ، فكان يختلف من مكان الى آخر ، بما ان الامر كان يتوقف على الظروف الخاصة التي يواجه بها العبيد في مكان بعينه · ويقول **ديبستر** ، في ندوة عقدها في هافانا بكوبا ، في اكتوبر عام ١٩٦٨ :

ان هذا التمرد الايديولوجي قد حدث في البرازيل وامريكا الشمالية وكوبا وجزر الانتيل وهايتي وغيانا الخ ··· ولكن لكل حالة خصوصيتها ، التي لا بد من دراستها على حدة · والشيء المشترك بينها جميعا ، والذي يمكننا من الحديث عن وحدة الحركة (السوما) (وهي وحدة ثقافية وليست عنصرية) هو العلاقة الجدلية بين السيد والعبد ، ولدت شكلا هجينا على نطاق واسع ، اكتسح في طريقه العوامل الثقافية الموروثة من افريقيا ومن اوروبا ، وخلق مزيجا جديدا ، هو الذي يشكل اصالة ، وتميز ثقافات هذه القارة (١٣) ·

وفي حين كانت العبودية تخلق حالة من الاغتراب للجماهير السوداء كان فنهم يشكل احد الوسائل التي يواجهون بها على المستوى الثقافي عملية هدم انسانيتهم · والحيوية العظيمة التي يتصف بها الفن الذي ابتكره العبيد في المزارع يقدم لنا نموذجا طيبا للمقاومة الايجابية للجماهير المضطهدة في ظل وضع استعماري ·

لقد استخدم العبيد العديد من الوسائل الثورية التي واجهوا بها مؤسسة العبودية · فالى جانب خلق ثقافة جديدة كانت هناك ، ايضا ، محاولات الهرب الفردي والجماعي والانتفاضات المسلحة المتكررة · ان هذه الجهود من اجل التحرر سبقت الجهود السياسية المنظمة التي ظهرت في القرن التاسع عشر من كتابات دعاة تحرر العبيد · والموقف المقاوم الذي عبر عنه الشعراء السود من امثال : **جورج موزس هورتون** (١٧٩٧ _ ١٨٨٣) **وجيمس ويتفيلد** (١٨٣٠ _

١٣ _ René Depestre, « Les Métamorphoses de la Négritude en Amérique, » *Présence Africaine*, 3rd quarter 1970, pp. 19-33 .

١٨٧٠) **وفرانسيس هارير** (١٨٢٥ – ١٩١١) **والبري ويتمان** (١٨٥١ – ١٩٠٢) سبق وعبرت عنه الجماهير الشعبية في المزارع في فنها الشفهي بشكل اعمـق واكثر اصالة وجمالا ·

ومن رسائل المقاومة الشعبية ، أيضا ، ادعاء العبيد انهم طيعون طيبون ، الى حد البلاهة :

« كان يحدث في الماضي ، ولا يزال يحدث ، حتى الآن ، في بعض انحاء هذا البلد ، ان يسأل رجـل ابيض زنجيـا ان كانت تمطر ، فينظر الزنجي في وجـه سائله لكي يجيب على السؤال · وان لم يعكس وجه السائل او صوته طبيعة الاجابة المطلوبة ، فان الرد الوحيد الحذر يكون : « آه طبعا لا اعرف يا سيدي ، يا رئيس ··· طبعا لا اعرف » ويذهب الرجـل الابيض مندهشا على البساطة الطفولية لهـذا الزنجي الـذي يبدو انه لا يستطيع ان يقول ان كانت تمطر ام لا · ولا يراوده ادنى شك ان (جهل) هذا العبد ··· تمتد جذوره من فهم عميق للطبيعة الحقيقية للقوة البيضاء ، وما يمكن لهذا الرجل الابيض ان يقبله وما يمكنه ان يفعل» (١٤) ·

ورغم مايبدو من مبالغة في هذه الطرفة ، الا انها تكشف عن حقيقة دالـة على طبيعة علاقة القوى بين الابيض والاسود ، والتي نشأة ، اساسا ، في مزارع العبودية · وهي تعبر ، في جوهرها ، عـن واقع فعلي ، يتبدى في كثير من الاغاني الشعبية · ولنأخذ هذه الاغنية مثلا ، واوردها هنا كاملة :

انا وسيدي لا نتفق
لكنه لا يعرف لانه لا يسالني
وهو لا يعرف ، لا يعرف ما في داخلي
حين يراني اضحك
وانا أضحك فقط لكي لا ابكي
ما الذي يحدث الآن
انا وسيدي لا نجد طريقة نتفق بها
وهو لا يعرف ، لا يعرف ما في داخلي
حين يراني اضحك
وانا اضحك فقط لكي لا ابكي

١٤ – Mike Thelwell, « Baldurin, » *Présence Africaine* , 4th. quarter 1964, p. 24 .

انه يسبني ولكني اضحك
ويركل مؤخرتي وهذا ليس سوى نصف ما اعانيه
وهو لا يعرف ، لا يعرف ما في داخلي
عندما يراني اضحك
اضحك فقط لكي لاابكي
امام البعض اظهر بمظهر
اما مخبري فشيء آخر اعرف انه انا
وهو لا يعرف ، لا يعرف ما في داخلي
عندما يراني اضحك
وانا اضحك فقط لكي لاابكي (١٥) ·

ويضحك الاسود ، يضحك فقط لكي لا يبكي ، فيظن الابيض انه عبد سعيد ، له طبيعة الاطفال · يضع الاسود قناع الوداعة فيظنه الابيض وديعا بطبعه · ومع هذا فالنماذج الخادعة للانسان الاسود لم تنشأ ، فقط ، نتيجة لادعاء العبيـد للقناعة والرضى ، ولكنها جاءت ، أيضا ، نتيجة لحاجة السيد الابيض لتصديق ان عبيده راضين وادعين ، وذلك لاعطاء تبرير خلقي لقسوتـه عليهم ولتأكيـد تفوقه · فالعبد ، في نظر سيده ، راض في كـل الحالات ، وهو متخلف عقليا ، سعيد بعبوديته وهو لا يرغب ولا يستطيع ان يكون غير ذلك · كـان هذا منطـق الاسياد ·

ومن النماذج الاخرى الشائعة التي تشوه صورة الانسان الافريقي ، نموذج الزنجي المتوحش ، وهو نموذج يناقض ، بطبيعة الحال ، صور ةالعبد الوديع · ويعكس هذا النموذج الخوف المستمر من الهبات المسلحة ويؤكد انسانية البعض في مواجهة «حيوانية» السود ، ويعطي لهم الحق في استغلالهم ، وترويضهم · والقسوة عليهم · لقد عملت العقلية البيضاء في مختلف مراحل العبودية ، وفي الفترات اللاحقة على تحرير العبيد ، على خلق صور جديدة للزنجي ، تتناسب وحاجاتها الاقتصادية ، والاجتماعية ، والنفسية · فمثلا ، مع التطور السريـع للرأسمالية الصناعية ، وتزايد الضغوط اليومية الناشئة عن المجتمع الصناعي ، ركزت العقلية البيضاء الاضواء على صورة الزنجي البدائي ، الرائع في بدايته، الفحل جنسيا ·

ان هذا الركام من الصور الخادعة المشوهة هو اول ما يصطدم به الكاتب الافرو – امريكي ، حين يبدأ في مواجهة مهامه كأديب ، وهي تشكل عقبة حقيقية في طريقه ، وهو لا يواجه بها فقط في حياته اليومية ولكن ايضا في تراثه الادبي

١٥ – **القافلة الزنجية** ، المصدر مذكور سابقا · ص ٤٧١ ·

الامريكي الذي كان من المفروض ان يعتمد عليه ، ويتعلم منه · ومن هنا فالكاتب الاسود يبدأ ، دائما ، من نقطة الغضب والرفض :

« ان هذه الصور لا تمثلني ··· انني ··· ؟» ومن هنا تبدأ الرحلة الطويلة الشاقة من اجل معرفة الذات وتحديد ماهيتها، رحلة تتطلب منه استكشاف ماضيه وجذوره ، سواء في القارة الافريقية او في امريكا ، كما تتطلب منه ايضا فهم حاضره وما فيه من امكانات · وتصبح هذه المهام ، التي عادة ما تبدو ذات علاقة غير مباشرة بالفن بالنسبة للكاتب الاسود ، خطوات اولى لا بديل عنها من اجل الاقدام على عملية الابداع الفني · ان استكشاف الذات اساسي لعمل اي فنان ، ولكن ما اقصده هنا هو اكتشاف ذات الجماعة ، هذه الذات التي تتعرف منها جماعة ما على صورتها ، وتقبلها ، وتشعر انها تمثلها · ان مثل هذا الاستكشاف ، مثلا ، قد لا يكون ملحا ، بنفس الدرجة ، بالنسبة لكاتب ألماني ، او فرنسي ، حيث ان هذا الكاتب يستطيع الاعتماد على تراثه الادبي ، الذي يقدم لنا صورا صادقة ، يمكنه الاعتماد عليها ، والاستفادة منها · اما الكاتب الاسود الامريكي فيبدأ من السؤال الصعب المحير : «من هو الافرو ـ امريكي ؟» ·

لقد تركزت جهود جيل كامل من الكتاب السود في الولايات المتحدة ، في اوائل هذا القرن ، على ابراز وعرض انجازات شعبهم في امريكا · واخذ **ديبوا**، **ولوك** ، **وجونسون** ، **وبرولي** ، وغيرهم ، يدعون الى المساواة العنصرية في نفس الوقت الذي يبحثون عن فهم ذاتهم الافرو ـ امريكية، وتحديد ماهيتها، وتأكيدها· وشكلت هذه الجهود اساسا لتطور الوعي الاسود · كان على هؤلاء الكتاب ان يفندوا الفكرة الشائعة ان امريكا بلد انغلو ساكسوني ، عرقا وثقافة ، حيث ان هذه الفكرة كانت تسحب شرعية وجود الانسان الاسود في البلاد التي حمل لها قسرا ، ولكن لم يعد له سواها · وبأسلوبه المميز كتب **ديبوا** ، سنة ١٩٠٣ ، يفند هذه الفكرة :

بلادكم ؟ كيف اصبحت لكم ؟ قبل ان يأتي الحجاج الى هنا اتينا نحن · ومعنا اتينا بهباتنا الثلاث ، ومزجناها بهباتكم : هبة الحكاية والاغنية واللحن الناعم المؤثر ، في ارض لا تناسق او تناغم فيها ، وهبة العرق والكدح لترويض البرية والسيطرة على الارض ووضع اسس امبراطورية اقتصادية ، قبل ان تستطيع ايديكم الضعيفة ان تفعل بمائتي عام ، والثالثة هي هبة الروح (١٦) ·

....

١٦ ـ **روح الشعب الاسود** ، المصدر مذكور سابقا ، ص ٢٧٥ ·

وبعد ذلك بحوالي ربع قرن قدم **ديبوا** ، في كتابه **هبة الشعب الاسود** (١٩٢٤) ، اسهامات السود في مختلف مناحي الحياة الامريكية ، في السياسة والاقتصاد والفن · وكان قد سبق **لديبوا** ان رفض آراء الزعيم الزنجي **بوكرت· واشنطن** الذي نادى بضروة ان يتعلم السود حرفا يدوية لكسب العيش · وكان موقف **ديبوا** نتيجة لرفضه الرأي القائل بأن العمل الفكري لا يناسب الزنجي ، بقدر ما يناسبه العمل اليدوي · وهذه الفكرة ، في حقيقتها ، تستند الى دعوى استعمارية ، مفدها ان الغرب يمثل العقل والقدرة على خلق النظام والتناسق ، اما ابناء المستعمرات في الشرق والجنوب فيمثلون قوة الغريزة والتلقائية · ومن هنا فقد كانت فكرة **ديبوا** عن «العشر الموهوب» ، برغم استنادها الى وجود صفوة فكرة تقدمية لرفضها التفريق بين السيد المتميز فكريا والتابع المتخلف عقليا · كانت دعواه ، في جوهرها ، دعوة للسود الى التوجه الى التعليم العالي، حتى يستطيع الموهوبون بينهم ان يضطلعوا بمهمة قيادة الباقين ، في كفاحهم من اجل التحرر والمساواة · وأكد **ديبوا** :

« ان التعليم والعمل هما الرافعتان اللتان يعلوان بشعب من الشعوب · ولا يمكن للعمل وحده ان يفعل ذلك الا لو ألهمته المثل الصحيحة ووجهه الفكر · يجب على التعليم الا يعلمنا العمل فقط بل عليه ان يعلمنا الحياة · ان العشر الموهوب من زنوج هذا البلد يجب ان يصبحوا قادة للفكر ورسلا للثقافة بين شعبهم» (١٧) ·

ان الحملة الفكرية التي قادها جيل الرواد لتحطيم الصور الخادعة لحقيقة الانسان الاسود ، جرت على اكثر من جبهة ، واستخدمت فيها العديد من الحيل والتكتيكات · ومن هذه الحيل ، مثلا ، اخذ احدى هذه الصور الخادعة واستخدامها ، كما هي ، للهجوم المضاد · وهذا ما حدث في حالة صورة الزنجي الحسي الغريزي ، اذ اخذ بعض الكتاب السود هذه الصورة ومجدوها ، في مواجهة عالم الحضارة الغربية المادي · وقال هؤلاء الكتاب ان الانسان الاسود يهب الحياة الامريكية العاطفة والشعر التي تخلو منهما ، وهو يمنح الحياة لعالم مادي ميت (١٨) · وكتب **ديبوا** ان الزنجي يعطي الحضارة الامريكية صفة روحية

....

١٧ ـ A W. E. B. *DuBois Reader*, ed. Andrew G. Paschal, New York, 1971, p. 50 .

١٨ ـ ونلاحظ ان صورة الانسان الاسود الذي يهب الحيوية للحضارة الغربية التي تسم بالمادية والجمود قد اثرت في نشأة مدرسة الزنوجة في فرنسا في اواخر الثلاثينات · شاعر السنغالي **سنغور** وغيره من كتاب الزنوجية استلهموا اعمال الكاتب الافرو ـ

←

تنقصها « نوعا من الفرح الروحي ، حبا حسيا استوائيا للحياة يتناقض ، بشكل واضح ، مع العقل البارد والحذر الذي يتسم به اهل نيوانغلاند » (١٩) · كذلك تحدث **بنجامين برولي** ، في مسحه للاسهام الحضاري للسود في امريكا ، تحدث عن « رومانسية العنصر الزنجي » الذي سيحقق اكبر انجازاته في مجال الفنون بسبب «حسه» وحسه المميز بالجمال (٢٠) ·

ونلاحظ ان هذا الاسلوب في استخدام سلاح العدو ذاته ـ صوره الخادعة ـ في الهجوم المضاد ـ تمجيد الصورة وتحويلها الى شيء ايجابي ـ يتكرر في حالات شعوب اخرى مستعمرة · وتبين لنا الباحثة **س· ل· اينيس** ، في دراستها القيمة عن الثقافة الوطنية ، كيف استخدم هذا الاسلوب في ايرلندا وفي غرب افريقيا ، تماما كما استخدمه الكتاب السود في الولايات المتحدة ·ويرتبط هذا الاسلوب ، ارتباطا عضويا ، بمحاولة تأكيد تفرد الثقافة الوطنية · وتقول الباحثة :

ان الكاتب الذي يبحث عن التعبير عن الثقافة والمميزات الخاصة بقومية او مجموعة عرقية معينة ، عادة ما يؤكد الاشياء التي يعتقد ان هذه المجموعة تتفرد بها · انه يؤكد الصفات التي تفصل المجموعة عن سواها ، وتساعد في تأكيد دعواها بانها قومية مستقلة ، لها تفردها الذي يفصلها عن ثقافة الامة المستعمرة (بالكسر) (٢١) ·

وفي ضوء كلمات **لين اينيس** يمكننا ان نفهم ، بوضوح اكبر ، اهتمام الكتاب السود منذ مطلع القرن حتى الوقت حالي بالفلكلور الاسود : الحكايات الشعبية، والاغاني الروحية واغاني «البلوز» والموسيقىالسوداء وغيرها من اشكال التعبير الفني الذي يميز الافرو ـ امريكيين عن سواهم · وفي هذا المجال ايضا كان **ديبوا** رائد ، اذ ان فصلا واحدا ، باسم «عن اغنيات الحزن» ، ضمنه كتابه **روح الشعب الاسود** (سنة ١٩٠٣) ، قد فتح الباب امام العديد من الكتابات عن الادب



امريكيين واستفادوا منها ·

١٩ ـ W. E. B. DuBois, *The Gift of Black Folk : The Negroes in The Making of America*, The Stratford Co., Boston, 1924, p. 320 .

٢٠ ـ Benjamin Brawley, *The Negro in Literature and Art*, DuFField & Co., New York, 1930, pp. 87, 88 .

٢١ ـ C. L. Innes , Through the Looking Glass : Synge, Achebe and Cultural Nationalism, unpublished Ph. D. dissertation, Cornell Uneversity, 1973, p. 1 ,

والموسيقى الشعبية السوداء · ان هذا التراث الذي يجسد مقاومة السود للاستعباد الثقافي ، يشكل الجذور الحقيقية للادب الامريكي الاسود المعاصر ، الذي يستلهمه وينهل منه ·

ان الفن الاصيل والفن الشعبي ، بوجه خاص ، بما يقدمه من بلورة لذات الجماعة وتأكيد لوجودها الفاعل المتفاعل الحي ، هو نقيض العبودية ، هذه العبودية التي وصفها الشاعر الهايتي **ديبستر** قائلا :

«ان العبودية نقيض الهوية ، وهذا تعريفها · ومن ينادي بعبودية الانسان ينادي بتعريته المباشرة من انسانيته · لقد كان الهدف الاساسي للعبودية ، كنظام للانتاج في امريكا ، هو الحصول من الايدي العاملة المستعبدة السوداء على الطاقة الضرورية لخلق الثروة المادية · وهكذا يتحول الانسان الاسود الى الانسان ـ الفحم ، الانسان ـ الزيت ، الانسان ـ الطاقة· لقد ارادوا ان يفقد الافريقي ، ليس فقط حريته وكرامة استخدام طاقته الانسانية في العمل ، ولكن ايضا كل الحقائق الجوهرية لوجوده ، ثقافته ، ماهيته ، ذاته نفسها · فبعد ان سرقوا مني طاقتي الابداعية ، يسرقون مني ماضي وتاريخي وتكاملي النفسي واساطيري ، اجمل وأقدس ما في انسانيتي· ان العمل في ظل النظام الرأسمالي يسبب اغتراب الانسان ، ولكن عمل الانسان الاسود ، في ظل العبودية ، يجعله مغتربا امام نفسه، بل ومعادي لها ، يخجل منها، وعدوا اساسيا لها· ثم يصبح الاغتراب جزءا من بشرته السوداء ، التي اضفوا عليها معاني ميتافيزيقية وجمالية واخلاقية · وهكذا ، يتحول لون الانسان الاسود الى مصدر دائم لاحباطه ، ويصبح عائقا يحول بينه وبين ذاته الانسانية وتحقيقها في المجتمع التاريخي· وفي حين يرتبط اغتراب العامل الابيض بالمعاناة الاقتصادية والاجتماعية للعمل ، فان اغتراب الزنجي ينفذ الى داخل داخله ، كدودة في فاكهة قلبه » ·

ان تاريخ الادب الافرو ـامريكي هو تاريخ الجهود الدؤوبة للقضاء على هذه الدورة في فاكهة قلب الانسان الاسود، وأي محاولةلفهم هذا الادب ودراسته

---

٢٢ ـ **تحولات الزنوجية في امريكا** » ـ المصدر مذكور سابقا ص ٢١ ـ ٢٢ ·

لا بد ان تبدأ بدراسة الظروف القاهرة التي تعرض لها الافرو - امريكي ، من اللحظة التي اقتلع فيها من ارضه ، وسيق عنوة في قافلة تتجه الى الشاطىء ، حيث يختم ويشحن في سفينة تحمله ، الى بلاد عدوة ، يقف فيها عاريا على منصة المزاد ويصرخ الدلال : «رجل قوي البنية ، رجل فحل» ، من تلك اللحظة ، قبل اكثر منثلاثة قرون ونصف، الى اللحظة التي وقف يصرخ فيها في الستينات: تمثال الحرية القابع في مدخل نيويورك ، يجب ان يسقط ويجلو من عقولنا (٢٣) ، الحلم الامريكي كذبة ... انه كابوس !

---

٢٣ - العبارة **لادوارد سبريجز** ونصها : « تمثال الحرية يجب ان يذهب هذه الكلبه (فالتمثال على شكل امرأة) يجب ان تجلوا من عقولنا » .

النثر في فلسطين ومدارسه في عصر النهضة

يوسف حداد

اصطلح الدارسون على اعتبار عصر النهضة هو العصر الذي بدا العرب فيه ينهضون من التخلف ، الذي كانوا فيه ابان عصر الانحطاط المديد ، واتفقوا على اعتبار أواخر القرن الثامن عشر يوم جاء **نابليون** الى مصر مؤشرا وبداية فعلية للنهضة ، حين تدرج فن القول من القوالب الجامدة البعيدة عن مشاكل المجتمع ، وهموم الناس ، من حيث جماله وفصاحته وتعبيره عن حقائق الحياة ، الى مواكبة التطورات الاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية والفكرية .

ولعله من المفيد الأشارة الى البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت تعم البلدان العربية في مستهل عصر النهضة ، فعلى الجانب السياسي كانت رايات الاستبداد التركي ترفرق على اكثر بلاد العرب ، وهو حكم اتصف بطغيان العنصر التركي فيه ، وعدم المساواة بين عناصر الدولة ، والتشدد في مركزية السلطة ، الأمر الذي ادى الى قيام اتجاهات سياسية ، نتيجة للتأثر بافكار الثورة الفرنسية ، كان منها اتجاه عثماني، وآخر طوراني ، وثالث عربي ، ورابع إسلامي . ومن الجانب الاجتماعي فقد اتصفت المجتمع ات العربية في هذه الفترة بالتخلف ، وكانت الاقطاعية هي النظام السائد ، والمجتمعات في معظمها زراعية ، والظلم الاجتماعي كان سائدا ، القوي يستبد بالضعيف ، مما حرك الناس نحو تبديل ، تتحقق فيه عدالة اكثر واشمل ، فيخف كابوس التسلط القائم ، وينعم الناس بالمساواة ، وعلى الصعيد الفكري والادبي كان الجهل مخيما ، والفكر بدائيا ، قاصرا ، ضيق الافق ، لأنه في حاجة الى مناخ ينمو فيه . والآثار الادبية ، أنذاك ، تتمحور في دراسات دينية ولغوية يغلب عليها التنميق اللفظي ، والزخرف البياني ، فالتقليد واضح فيها ، كذلك التكلف والمعاني سخيفة ، سقيمة .

هذا ، وقد تضافرت عدة عوامل ادت الى قيام النهضة ، فرضتها ظروف الحياة المستجدة ، والتطور المتنامي بسرعة ، نتيجة لمعطيات هذه العوامل . ورافق الأدب هذا التطور في المشرق العربي ، وفي مصر ، وتشعبت مدارسه واتجاهاته ، ومواقفه ، لكنه خضع ، في مجمله ، لسنة التطور ، وتخلص من المحاكاة وربقة التقليد ، وبات انعكاسا . للمجتمع الجديد النامي ، لا استمرارا لعصر الانحطاط ، في معناه ومبناه ، كما بدا في مطلع عصر النهضة ، بعيدا عن واقع الحياة المستجدة .

المدارس النثرية في مطلع النهضة

شهد النثر العربي ، مع بداية عصر النهضة ، مذهبين رئيسيين : المذهب القديم ، والمذهر الجديد . اما المذهب الأول فقد اتخذ من « **الحريري** » في مقاماته مثالا أعلى ، وراح يحاكيه ، وكأنه يعيش في عصره ، غير أبه للواقع الحياتي المستجد . اما الثاني فقد اخذ بمذهب **ابن خلدون** في مقدمته ، الذي يمثل الأسلوب الطبيعي العامر وابتعد اصحابه عن الاسلوب الصناعي المتكلف . اسلوب المقامات الذي يهتم بالقوالب الجامدة المحفوظة والزخارف البديعية المتصنعة ، لقصور العقول عن البحث وعجز القرائح عن التوليد . فكانت مجمل مصنفاتهم بعيدة ، في مضمونها واسلوبها . عن واقع حياتهم . كانوا شديدي التعلق بالتراث القديم واساليب الأدب فيه ، ووصل شغف بعضهم باللغة الى حد

لا بد ان تبدأ بدراسة الظروف القاهرة التي تعرض لها الافرو - امريكي ، من اللحظة التي اقتلع فيها من ارضه ، وسيق عنوة في قافلة تتجه الى الشاطىء ، حيث يختم ويشحن في سفينة تحمله ، الى بلاد عدوة ، يقف فيها عاريا على منصة المزاد ويصرخ الدلال : «رجل قوي البنية ، رجل فحل» ، من تلك اللحظة ، قبل اكثر منثلاثة قرون ونصف، الى اللحظة التي وقف يصرخ فيها في الستينات: تمثال الحرية القابع في مدخل نيويورك ، يجب ان يسقط ويجلو من عقولنا (٢٣) ، الحلم الامريكي كذبة ... انه كابوس !

---

٢٣ - العبارة **لادوارد سبريجز** ونصها : « تمثال الحرية يجب ان يذهب هذه الكلبه (فالتمثال على شكل امرأة) يجب ان تجلوا من عقولنا » .

النثر في فلسطين ومدارسه في عصر النهضة

يوسف حداد

اصطلح الدارسون على اعتبار عصر النهضة هو العصر الذي بدا العرب فيه ينهضون من التخلف ، الذي كانوا فيه أبان عصر الانحطاط المديد ، واتفقوا على اعتبار اواخر القرن الثامن عشر يوم جاء **نابليون** الى مصر مؤشرا وبداية فعلية للنهضة ، حين تدرج فن القول من القوالب الجامدة البعيدة عن مشاكل المجتمع ، وهموم الناس ، من حيث جماله وفصاحته وتعبيره عن حقائق الحياة ، الى مواكبة التطورات الاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية والفكرية .

ولعله من المفيد الاشارة الى البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية التي كانت تعم البلدان العربية في مستهل عصر النهضة ، فعلى الجانب السياسي كانت رايات الاستبداد التركي ترفرق على اكثر بلاد العرب ، وهو حكم اتصف بطغيان العنصر التركي فيه ، وعدم المساواة بين عناصر الدولة ، والتشدد في مركزية السلطة ، الأمر الذي ادى الى قيام اتجاهات سياسية ، نتيجة للتاثر بافكار الثورة الفرنسية ، كان منها اتجاه عثماني، وأخر طوراني ، وثالث عربي ، ورابع إسلامي . ومن الجانب الاجتماعي فقد اتصفت المجتمعات العربية في هذه الفترة بالتخلف ، وكانت الاقطاعية هي النظام السائد ، والمجتمعات في معظمها زراعية ، والظلم الاجتماعي كان سائدا ، القوي يستبد بالضعيف ، مما حرك الناس نحو تبديل ، تتحقق فيه عدالة اكثر واشمل ، فيخف كابوس التسلط القائم ، وينعم الناس بالمساواة ، وعلى الصعيد الفكري والادبي كان الجهل مخيما ، والفكر بدائيا ، قاصرا ، ضيق الأفق ، لأنه في حاجة الى مناخ ينمو فيه . والآثار الادبية ، آنذاك ، تتمحور في دراسات دينية ولغوية يغلب عليها التنميق اللفظي ، والزخرف البياني ، فالتقليد واضح فيها ، كذلك التكلف والمعاني سخيفة ، سقيمة .

هذا ، وقد تضافرت عدة عوامل ادت الى قيام النهضة ، فرضتها ظروف الحياة المستجدة ، والتطور المتنامي بسرعة ، نتيجة لمعطيات هذه العوامل . ورافق الأدب هذا التطور في المشرق العربي ، وفي مصر ، وتشعبت مدارسه واتجاهاته ، ومواقفه ، لكنه خضع في مجمله ، لسنة التطور ، وتخلص من المحاكاة وربقة التقليد ، وبات انعكاسا للمجتمع الجديد النامي ، لا استمرارا لعصر الانحطاط ، في معناه ومبناه ، كما بدا في مطلع عصر النهضة ، بعيدا عن واقع الحياة المستجدة .

المدارس النثرية في مطلع النهضة

شهد النثر العربي ، مع بداية عصر النهضة ، مذهبين رئيسيين : المذهب القديم ، والمذهر الجديد . اما المذهب الأول فقد اتخذ من « **الحريري** » في مقاماته مثالا أعلى ، وراح يحاكيه ، وكأنه يعيش في عصره ، غير آبه للواقع الحياتي المستجد . اما الثاني فقد اخذ بمذهب **ابن خلدون** في مقدمته ، الذي يمثل الأسلوب الطبيعي العامر وابتعد اصحابه عن الاسلوب الصناعي المتكلف . اسلوب المقامات الذي يهتم بالقوالب الجامدة المحفوظة والزخارف البديعية المتصنعة ، لقصور العقول عن البحث وعجز القرائح عن التوليد . فكانت مجمل مصنفاتهم بعيدة ، في مضمونها واسلوبها . عن واقع حياتهم . كانوا شديدي التعلق بالتراث القديم وأساليب الأدب فيه ، ووصل شغف بعضهم باللغة الى حد

التقديس ، بدعوى المحافظة عليها ، وعدم السماح بأي تطوير ، فيه خروج على اساليب القدامى(١) ، ومع ان اكثر أصحاب هذه المدرسة كانوا من رجـال « دار العلوم » ومن يمت بسبب الى الأزهر ، امثال **حمزة فتح الله ، وتوفيق البكري** ، الا ان هناك آخرين درس بعضهم بالغرب امثال **شكيب ارسلان ، احمد زكي باشا ، انستاس الكرملي** وقبلهم **ناصيف اليازجي** ولم يدرس خارج لبنان ، ومع ذلك ساروا مع هذا الخط وتمسكوا به ودافعوا عنه(٢) .

اما المجددون فكانوا بين معتدل ومتطرف ، المعتدلون دعوا الى ترك لغة السجع والبديع وما إليه ، لا سيما وأن أحدا لم يعد يفهمهما ولا يتذوقها ، واعتبار اللغة بحد ذاتها وسيلة لنقل المعنى المستقى من الواقع الحياتي . لكن المتطرفين اهملوا اللغة وبدت الركاكة والتساهل والدخيل والعجمة واضحة في آثارهم ، كما نجد عند المهجرين . ودعا البعض في مصر ، امثال **عثمان جلال** ، لنبذ العربية الفصحى واعتماد العامية(٣) . كما نجد اليوم في لبنان دعوات مماثلة .

ووجد الذين « تعلموا في أوروبا ، ثم عادوا ، وارادوا ان يعبروا في لغتهم عما تعلموه ، وجدوا هذه اللغة لا تستطيع أن تؤدي ما في نفوسهم وعقولهم من معان بسبب ما صارت اليه من التحجر في أساليب السجع والبديع ، حينئذ فكرت هذه الجماعة ان تهجر هذا الزي القديم الى زي أكثر ملاءمة لمعانيها وما تريد التعبير عنه »(٤) .

وتطلبت الأوضـاع السياسيـة والاجتماعيـة والاقتصادية المستجدة اسلوبا جديدا ، واضح الدلالة ، في التعبير ، يتناول مواضيعه من الواقع المستجد المشدود الى اهتمامات الناس وتطلعاتهم . « فالنثر الفني يتطلب صحة العبارة وبالضرورة البعد عن الزخرف والزينة ووضوح الجمل وترك المبالغات وسلامة الحجج واجرائها على حكم المنطق الصحيح لان الغرض منه معالجة الأمر الواقع والانصراف عن السجع والزخرف في هذا النوع من النثر بدهي ، لأن الفكر منصرف الى تفتيق المعاني ، وسوق الحجج وضرب الأمثلة لا الى الجري وراء كلمة أو سجعة »(٥)

هذا ومن الملاحظ ان تيار التطرف في التجديد ما لبث أن اعتدل . وتقلص التيار التقليدي بتأثير الوقائع الحياتية المستجدة ، وبتأثير الغرب ومدارسه إضافة الى الاثر الذي أحدثه الأدباء المهجريون ، من سوريين ولبنانيين ، في مصر وأميركا حين ثاروا على التقليد ، كما في ثورة **جبران ونعيمة** في مقاليتهما « لكم لغتكم ولي لغتي » و « نقيق الضفادع » .

ولئن تم النصر للعربية الصحيحة ، الخالية من قيود السجع والبديع في هذا القرن ، فقد كان الحسم بعد معارك طاحنة ، كانت ميادينها الصحف والمجلات في مصر ولبنان وفلسطين ، بين دعاة التقليد ، ودعـاة التجديد ، مع التبايـن والتعـدد في كل من هذيـن الاتجاهين ، وقبل الانتقال الى النثر الفلسطيني ، وهو المواكب لهاتين المدرستين ، لا بد من ابراز بعض أوجه الصراع ومواقف كل فريق ، والاطلاع على منطقه ، ووجهة نظره في مصر ولبنان اولا .

يكتب **سلامه موسى** في «« **الهلال** » وهو من أنصار التجديد ، مقالة بعنوان « أدب الفقاقيع »(٦) ، يقول فيها : « ادباء الصنعة يكتبون وكل همهم محصور في تأليف استعاره خلابة ، او مجاز جميل ، او كناية بارعة ، او غير ذلك من الفقاقيع . واذا أراد أحدهم أن يؤلف كتابا ، أو يضع مقالة ، لم يعن أقل عناية بالموضوع الذي يكتب فيه ، وإنما يعمد الى الفقاقيع ، فيؤلف منها عبارات خلابة فيتوبل بها انشاؤه ، أو يرصها رصا . وكثيرا ما يعجز أمثاله عن تأليف عبارة من انشائه الخاص » والكاتب يوجه كلامه الى **مصطفى صادق الرافعي ، ومصطفى المنفلوطي** . .

وفي مقالة أخرى **لسلامه موسى** نفسه ، بعنـوان « المذهب القديم والمذهب الجديد »(٧) يقول : « في مصر وسوريا طبقه من الأدباء لها عيون من خلف رؤوسها ، فاذا نظرت لم ترسوى الماضي ، ثم هي مع ذلك لا ترى كل الماضي ، وهي ولو استطاعت أن تفعل ذلك لكان لها من ذلك بصيرة بالحاضر والمستقبل » .

والكلام موجه **للرافعي وشكيب ارسلان** .

اما **الرافعي** ، وهو من دعاة المذهب القديم ، فيقول : « فالمذهب القديم هو أن تكون اللغة لغة العرب ، في أصولها وفروعها ، وأن تكون الاشعار القديمة التي تحويها لا تزال حية تنزل من كل زمان منزله أمة من العرب العظماء ، وأن يكو الدين العربي لا يزال هو ، كأنما نزل به الوحي امس(٨) ... فانك واجد في هذه

السنة ١٩٢٣ ، (يقصد جبران) ، من يقول في هذه اللغة لك مذهبك ولي مذهبي ، لك لغتك ولي لغتي . فمتى كان صاحب اللغة وواضعها ومنزل اصولها ، ومخرج فروعها ، وضابط قواعد ، ومطلق شواذها ... ان هذه العربية لغة دين قائم على اصل خالد هو القرآن الكريم وقد اجمع الاولون والاخرون على اعجازه بفصاحته الا من لا حفل به من زنديق يتجاهل او جاهل يتزندق »(٩) .

ولقد رد طه حسين على الرافعي وهو من المجددين فكتب يقول : « الرافعي ، كغيره من انصار المذهب القديم ، مشفق كلا الاشفاق على القرآن الكريم ، وعلى الاسلام أن يصيبهما من المذهب الجديد شر ، او ينالهما ضيم . نهون على الاستاذ ، ونهدىء من روعه ، فليس هناك ما يدعو الى هذا الاشفاق . ونسمح لانفسنا بان نزعم ان لنا في هذه اللغة ، التي نتكلمها ونتخذها أداة للفهم والافهام ، حظا يجعلها ملكا لنا ويجعل من الحق علينا ان نضيف اليها او نزيد فيها ، كلما دعت الحاجة الى ذلك ، او قضت ضرورة الفهم والافهام ، أو كلما دعا اليه الظرف الفني ، لا يقيدنا في ذلك الا قواعد اللغة العامة التي تفسد اللغة اذا تجاوزناها »(١٠) .

هذا في مصر أما في بلاد الشام فكانت معركة مماثلة . بين المقلدين ، وبينهـم **شكيب ارسلان** ، والمجددين وبينهم **ومحمد كرد علي** . فهذا **الامير شكيب** يرد على **كرد علي** بقوله : « ان هناك غمزا بالسجع ، وليس الاخ **كـرد علي** وحده الذي بدأ بهذا **الغمـز** بل ان أحد الاصحاب اطلعني على كتاب الدكتور زكي مبارك لمحت فيه كلاما يشبه أن يكون استصغار للسجع أو استكبارا لاتانه ، وهذا باب جديد عجيب »(١١) .

ويـرد **كرد علي** على الأمير بقوله : « وحديث السجع انت عرفت رأيي فيه ، ولعلك تذكر انني كنت لفت نظرك الى ما اسميت به كتابك رحلتك الى الحجاز (الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اسمى مطاف) ، وقلت يومئذ ان القارىء مهما بلغ من ثقوب ذهنه ، لا يدرك ، لاول وهله ، معنى هذا العنوان المسجوع الا بكثير من اجهاد الفكر »(١٢) .

وفي بلاد الشام احتدم الصراع بين **الريحاني** المجدد **واسعاف النشاشيبي** المقدسي المقلد ، لقد كتب **الريحاني** الى **اسعاف** ، يقول : « ولا اظن ان هذا الأسلوب يكون مألوفا أو معروفا بعد خمسين سنة والحكم للمستقبل » . وينتهي الى القول : « ولكنك غاليت في حب القديم ، غاليت يا رجل حتى نفرت ، وليس ذلك من الحكمة وأنت تبغي الافادة »(١٣) .

وفي رسالة ساخرة يكتبها **الريحاني لأسعـاف** ، يستهلها بالقول : « الصديق العزيز الاستاذ النشاشيبي سلمه الله ، وامتعنا بلقياه ، وجعلنا فدى اللغة العربية وفداه »(١٤) .

ويرد **إسعاف** في رسالة يقول فيها : « وجدت الاستاذ **الريحاني** يعيب في مقاله التقليد والأغراب ويهجن (اصطلاحات واستعارات يشغف بها المقلدون) ويعد الانشاء فنا – والتجاوز بالكلف بالفن خسران واللغة ذريعة – واتخاذ الذريعة غاية الضلال ، ويرى أننـا محتاجون ، جد محتاجين ، الى الذي هو انفع الى العلم الغربي الحق ، فلا يجوز ان يشغلنا الكلام المزوق . أجل ان في هذا العصر من يقلد المتقدمين ومن يشمله اللفظ الغريب ومن يستجيد الاستعارات ويستعملها ، فنظلم فيها معانية « ولكنني والحمد لـه لست أحد منهم »(١٥) .

على ان **النشاشيبي** كما سيتضح معنا لاحقا ، كان من الذين يقدسون القديم ويقدس اللغة ، لكن كان عنده أصالة وملكة . بعد كل هذا بات بمقدورنا الانتقال الى دراسة النثر الفلسطيني الذي لا يختلف ، في نشوئه وتياراته وتطوره ، عما دار في لبنان ومصر .

المدارس النثرية ومراحلها الاربع

لم يكن الأدب الفلسطيني عامة والنثر خاصة ليختلف في شيء عما هو عليه في مصر ولبنان ، منذ بداية عصر النهضة . ذلك ان العوامل نفسها التي أدت الى قيام تيارين متعارضين ، تيار التقليد المتمسك بالقديم والمقلد له والمشغوف ، بالمحسنات البديعية والصور البيانية ، وتيار التجديد الداعي الى التخلص من طقوس التقليد والاهتمام بالمضمون واعتماد البساطة في التعبير قد أدت الى قيام تيارين شبيهين في فلسطين ، تصارعا حقبه من الزمن إلى أن كتب لتيار التجديد المعتدل النصر ، تماما كما حصل في لبنان ومصر ، أما التطور الذي حصل فيمكن تقسيمه الى مراحل اربع ، كما اصطلح على تقسيمه الدكتور **عبد الرحمن ياغي** ،(١٦) ، ومن ثم

دراسه ميزات كل مرحلة ، وتطابقها ، ومماشاتها لأوضاع الأدب وتياراته في غير فلسطين من الاقطار العربية .

١ – المرحلة الاولى :

ويمكن اعتبار بدايتها النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى اعلان الدستور العثماني ، سنة ١٩٠٨ ، والاثار النثرية في هذه المرحلة تشابه ، الى حد ما ، الآثار في غير فلسطين من بلاد العرب ، فمن تقريظ كتب مسجع ، كما فعل ابو السعود في تقريظ كتاب « سر الليالي » للشدياق ، وتقريظ **عباس خماش زاده** لمجلة « **الجنان** » الى آثار **الشيخ يوسف النبهاني** النثرية عن الرسول والاحاديث ، وقد غلب على آثار هؤلاء الثلاثة سمة التقليد الفارغ المضمون ، الغارق في البهلوانيات اللفظية في حين تمثلت المدرسة التجديدية بالكاتب **خليل السكاكيني** ، المقدسي الذي كان أول مجدد دافع عن أسلوبه بعناد ، وكان رأس لمدرسة كتب لها النصر في النهاية .

ويرى الدكتور ياغي أن النثر الفني يندرج في مسالك ثلاثة :(١٧) أولها يتصف بالتصنع والتكلف على انهما أساس البلاغة ، وهو حافل بالزخارف والبلهلوانيات اللفظية الهزيلة المضمون . وثانيهما تحسس الكاتب بوسطه وتعبيره السليم عن هذا الاحساس وثالثها اتجاه لتوصيل المعاني بدون عناية او تنسيق .

وفي الاتجاه الأول الهزيل المضمون الحافل بالزخارف اللفظية ترى ما كتبه **أبو السعود المقدسي** في تقريظ « سر الليالي » للشدياق ، لقد كتب يقول « لقد تقلد جيد فكري بعقود اللآلي ، المستخرجه من بحر سر الليالي ، فيا لها من جواهر نظمت في سلوك الادب ، ولله درغواصها حيث اتى بفنون العجب .. تزينت بها جميع كتب الاداب وظفر بها اسرار معاني والسنة الكتاب ، شمس بزغت في افق سماء المآثر والمفاخر ولما استوت اذن مؤذنها : الله اكبر كم ترك الأول للآخر .. اضاءت على كل المحافل والمواكب واختفى بظهورها جميع الكواكب .

وفي النسق نفسه قرظ **عباس خماش** « جنان » البستاني فكتب يقول : « كيف ورضوانه البستاني منشىء اغراسه ببيان بديع المعاني ، كم جلا علينا من حوربنات افكاره أبكارا وطفقت انواره ترقص بحكم المباني ، وجميل نكات الفنون جهارا ... فلعمري إن الفكر بفكاهة ثماره تمتع ، والسرور بكواعب اترابه تجمع .

وعلى نفس المنحى يسير النبهاني على الرغم من تناوله موضوعات مختلفة . فقد كتب في مقدمة كتابه « المواهب اللدنية للشيخ أحمد شهاب الدين القسطلاني » والذي قام باختصاره ، ما نصه : « اختصرته احسن اختصار اقتصرت به منه على لبابه ، وجردت سيفه الصقيل من قرابه ، وأمطت عن وجهه الجميل ستار نقابه ، وأزلت عن بدره المنير حجاب سحابه » .

لكن التيار التجديدي ظهر مبكرا واضحا مع **السكاكيني** ، الذي كان ناقما على التقليد ، ثائرا على القوالب الجامدة الخاوية المضمون ، والبعيدة عن روح العصر فجاء أسلوبه بسيطا ، ومعانيه واضحة لا اثر فيه لاي تعقيد او تقليد ، اسمعه يكتب الى سلطانه التي كان يحب وهو في اميركا .

« كنت أتصور اني إذا احببت الازم من أحب ، وأطوف معها باكناف السحاب المخيم ، واهيم معها في أودية الخيال ، وانسي الناس مجنون ليلى وجميل بثينة وكثير عزة ، وقيس لبنى وغيرهم من المحبين ، أسمعهم من اقوالي ما لم يكونوا يسمعون ، واتلو عليهم من آياتي ما لم يكونوا يعهدون .. كنت اقدر اني سأوغل في عالم الخيال الى حيث لا يصلون ، وأصل في الحب الى درجة لا يصل اليها أحد قبلي ولا بعدي ، فلما أحببت هجرت خيالي ، وهدمت أحلامي وزججت بنفسي في عالم غير عالم الخيال . أجري ولكن وراء المادة . انطلق ولكن بغير الشعر انشد ولكن اقوال غيري ، ارى ولكن غير محياك ، اسمع ولكن غير ندائك »(١٨) .

.. وتنتهي المرحلة الأولى مع اعلان الدستور العثماني ، عام ١٩٠٨ ، ومدرستا التقليد ، والتجديد تتواجهان ، الأولى تبدو غريبة عن العصر ، باسلوبها ومضمونها ، بعيدة عن الانسان واحاسيسه والمجتمع ومعاناته ، جل اهتمامها التلهي بالالاعيب البديعية والبيانية ، وإظهار مقدرة أصحابها اللغوية وافراغ ما حفظوه من الصيغ والتعابير . في حين ان المدرسة الثانية تحارب البهلوانية اللفظية ، والتراكيب الجامدة ، وتعبر عن الواقع الاجتماعي والشخصي بسهولة ووضوح ، مع سلامة التركيب وفصاحته .

– المرحلة الثانية –

تمتد هذه المرحلة من اعلان الدستور في السلطنة التركية ١٩٠٨ حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية وقيام الانتداب البريطاني في فلسطين عام ١٩٢٢ . ولقد تميزت هذه المرحلة بظهور الصحف ، فنشأت فنون نثرية جديدة . كالمقالة الادبية ، والقصة ، واليوميات ، والخطابة ، استجابة للمضامين الجديدة التي خلقتها ظروف الحياة فشملت أمور العمل واللغة والثورات والحكم والادارة والعلوم . وبنمو الثقافة وتزايد الانفتاح على الغرب حدث تطور واسع في النثر ومضامينه ، وتمثلت مدرسة التجديد **بالسكاكيني** ، حامل راية هذا الاتجاه والمدافع عنه ، فنراه يستعيض عن الرسائل التي كتبها في الدور الأول « باليوميات » ، التي يمكنها استيعاب ،مزاجه الواقعي ، وتصوير أموره بأسلوب جديد فيه روح العصر ومقتضيات الزمن . انه يحدد منهجه الأسلوبي ويدافع عنه ويسير في الاتجاه التجديدي عينه الذي سار فيه صديقه ، **الريحاني** في لبنان **وطه حسين** في مصر ، وفي ذلك يقول : « من أسباب نزعتي الى هذا الأسلوب انه يوافق مزاجي ، فليس شيء اكره إلى من ان يتكلف المرؤ ما ليس من شأنه ، وكم حدثتني نفسي ان اقابل ما أراه من إسراف بعضهم في التكلف باسرافي ، في الابتذال ، لعلهم يرجعون عن تكلفهم فأرجع عن ابتذالي ، ولكل شيء آفه من جنسه ... ومنها ان هذا الأسلوب هو اسلوب هذا الزمان . ولكل زمان لغته وأسلوبه .. واذا أردنا أن نتفاهم فلا بد لنا من أن نخضع اللغة لزماننا . لو ادركت زمان **الحريري** لما كتبت الا سجعا .. ولو ادركت زمان **ابي العتاهية** لجعلت حديثي كله شعراً ، ولكن أحمد الله الف مرة اني لم ادرك زمان **الحريري** ولا زمان **ابي العتاهية** ، وان كان العهد بيني وبينها غير بعيد .. ليس هذا الأسلوب حديثا وانما الحديث هو الثقافة العصرية الراقية الواسعة مما يمكن أن يقال معه أن الكتاب الى عهد قريب كانوا بالنسبة الى كتاب اليوم اشبه بالاميين ... ونصيحيتي للكتاب الناشئين أن يكونوا من أصحاب الكفايات قبل أن يكونوا من أصحاب الأقلام »(١٩) .

ويقول في موضع آخر « ولم يكن الأديب اديبا إلا على قدر ما كان يغير على الفاظ المتقدمين فيسردها سرداً ويكيلها جزافا ، فكان أبرعهم في الأدب من اذا كتب في موضوع نسخ كل كلمة فيه من كلام متقدمي الأدباء والكتاب ، ولو سلخ في تفقد اللفظة والتفتيش عنها من مظانها الأسبوع والأسبوعين . بل كان من الأدباء ولا يزال منهم الى اليوم من إذا أراد أن يستعمل كلمة بحث في عمرها ، فاذا لم يرب على الفي سنة ، أو الف على الاقل فلا يستعملها . بل كان منهم ، ولا يزال كثيرون الى اليوم ، اذا جاء اتبعها بمرادفاتها على غير اقتضاء ولا مناسبة تبجحا بكثرة محفوظاته وسعة معرفته . ان الاديب كان اشبه بالناسخ بل بالماسخ منه بالأديب »(٢٠) .

وفي موضع ثالث يقول : « نحن في عصر تغلبت فيه روح الاقتصاد ، فاذا لم يراع الكاتب الاقتصاد فيما يكتبه ، في وقته ووقت القارىء لم يجد من يقراه » .(٢١) كانوا يميلون الى التكلف في الكتابة فصاروا يميلون إلى الأساليب الطبيعية فيها ... كما كانوا يتكلفون في كل شيء فصاروا طبيعيين في كل شيء .. التطور ناموس عام ، فما من عنصر من عناصر الحياة إلا خاضع له ، رضينا أم كرهنا .. ومن لا يؤمن بهذا الناموس فقد جهل كثيرا ، واللغة خاضعة لهذا الناموس .. وانه من ما من سبيل لاخراجها عن حكمه .. إن الناس صاروا يميلون في كل مظاهر الحياة الى الأساليب الطبيعية ... وليس شيء أثقل على الروح في هذا العصر من التكلف ... فالأسلوب الطبيعي للكتابة أن يكتب الانسان كما يفكر ، وكما يتحدث ، فمن حاول أن يكتب ما لا يفكر فيه أو يتحدث به هو أو غيره وما لا يلائم الحياة في شيء فقد تكلف ... فقد يكون تفكيره أو حديثه شيئا وما يكتبه شيء اخر »(٢٢) .

على ان السكاكيني المجدد لا ينكر ما لهؤلاء المقلدين من فضل في بعض الأمور . فيقول : « وقد كان من فائدة هذا التقليد ان تجدد عهد الفصاحة . ولعمري انها لفائدة عظيمة يستحق عليها كل من اشتغلوا باللغة الثناء الطيب ، ولو كانوا مقلدين .. لم تكن للأمة لغة فصار لها لغة ، وانها للغة ثمينة . ولم تكن لها أدبيات فصارت لها أدبيات ، وانها لأدبيات راقية . وما إحياء لغة انقطع عهد الألسنة بها منذ أمد بعيد ، وما إحياء ادبيات كاد يعفيها الزمان ، بالمطلب السهل الذي يتم في زمن قصير ، مثل هذا الزمن الذي مضى منذ أول النهضة الى اليوم ، لولا همة أولئك الابطال زعماء النهضة وما رزقوا من الذكاء والجلد ... وهيهات أن يجود الزمان بمثلهم .. يكفيهم فضلا أنهم وصلوا ما انقطع من سلسلة نسبتنا الى السلف الصالح ، وانزلونا منهم منزلة الابناء من الآباء . بعد ان كنا أدعياء لا أصل لنا ولا فصل .. ولم

يبق لنا بعد أن اجتزنا دوري التقليد ، أي دور التشويش ودور الاتقان ، إلا أن ننزل من اللغة منزلة ابنائها منها »(٢٣) .

هكذا كانت الدعوة عند **السكاكيني** للتجديد في الابتعاد عن التكلف والتقليد ، والتعبير عن الواقع كما يفكر الكاتب ويحس ، فأصبح كتاب هذا الاتجاه منتجين بدل أن يكونوا مستهلكين مقلدين لاساليب غيرهم ، مجترين للتراكيب الجامدة المحفوظة والمتوارثة من عصر لعصر .

ويذهب **الدكتور ياغي** الى القول : « وكان التمازج بين الحس والفكر من مميزات هذا التيار الحديث ، تمازجاً تاماً لا أثر للازدواجية فيه ، كما شاهدنا نلك في حياة الشعر في مرحلته الثانية . وقد كانت حياة الاستاذ **خليل السكاكيني** ، صاحب هذا الاتجاه ، اخصب حياة للحس والفكر ممتزجين . وكانت يومياته آثراً فنياً رائعاً وظاهرة كبرى في حياة النثر الفنـي في هذه المرحلة » .(٢٤) .

وقد انضم الى هذا الاتجاه كتاب آخرون ، بينهم **بولس شحادة ، وعيسى العيسى ، وحنا العيسى .** لكنهم كانوا على درجات متفاوتة ، من حيث تمثل هذا الاتجاه وخصائصه .

اما الأتجاه الثاني المتشبث بالقديم فقد تمثل بالاستاذ **إسعاف النشاشيبي** ، وهو الشغوف باللغة والمتمكن منها ، الى جانب موهبة وأصالة ، لكن هذا الاتجاه تطور، ولم تعد تغلب عليه الصنعة والتكلف وحشد الاستعارات التقليدية والصور والزخارف المحفوظة ، كما كانت عليه الحال في المرحلة الأولى . وفي رده على **الريحاني** الذي انتقد اسلوبه التقليدي يقول :

« فما أنا بالمقلد أديباً قديما أو حديثا بل ممن ينعي على ذي التقليد تقليده . وقد الاقي الكاتب العظيم من المتقدمين فلا يسيطر علي ، ولا أمشي وراءه وله قوته وطريقته ولي ضعفي ، وطريقتي ، وقد يكون متقدم بعد التحقيق ضعيفاً متأخراً وقد تكون طريقته مضلة ، فلست إذا مقلداً في القول أحداً ، وانما هي الفاظ عربية مضرية عرفتها ، وأسلوب عربي مبين عقلته ، وملكة جاءت تم كلام هو ذوب روحي وابن نفسي وخليقتي وطريقتي ، وفي الخلق شدة وفي النفس قوة ، وفيها وضوح ظاهرها كباطنها ، وباطنها كظاهرها »(٢٥) .

يذهب **الدكتور عبد الرحمن ياغي** الى القول : « ان الاستاذ **النشاشيبي** كان بريئاً من التقليد . انه ورد تلك الينابيع العذبة الصافية وفتن بها وجعلها أساساً ثابتاً قوياً لمبانيه الشامخة »(٢٦) .

لقد غالى في تقديس لغة الأوائل ومحاكاتها ، وهذا ما جعله يتصدر مدرسة التقليد التي عايشت مدرسة السكاكيني التجديدية وباتت غيرته على اللغة ابرز معالم تفكيره ، وهو يرى « أن مجد الشرق متصل بمجد لغتنا العربية ، وأن مجد العربية لن يثبت لصدمات الزمان إلا إذا حرص أبناء الشرق على أن يتخذوا لغة الأوائل من أهل البلاغة السليمة والفصاحة الصافية »(٢٧) .

ويعلق الاستاذ **أنور الجندي** على موقف **النشاشيبي** من اللغة ، فيرى ان **اسعاف** ممن يقدس اللغة ، وانه يشجع على الأخذ من الغرب بمـا يقوي شخصيتنا وأن أسلوبه حماسي عاطفي تغلب عليه الخطابة(٢٨) . ورغم اعتماد **النشاشيبي** على متانة السبك وجزالة اللفظ فان التراكيب الجاهزة والمحفوظة التي وردت عن غيره من المقلدين نجدها بعيدة الى حد عن آثاره .

وظهر الى جانب هذين الأسلوبين اسلوب ثالث ، جاء نتيجة لتقدم العلم والاهتمام به والعمل على انتشاره ، فكتب بعض الأدباء المواضيع العلمية ، بأسلوب أدبي ، وخير من مثل هذا الأسلوب الاستاذ **توفيق زبيق . فقد** كتب عن العين يقول : « العين أيها السادة وما أدراكم ما العين عضو صغير نحيف . (ويورد قول شاعر .. وقول عالم فيها) وأرى أن أقرب طريقة لفهم تركيب العين فهما جيداً أن ندخل اليها جميعاً لنشاهد ما في العين بالعين . فان كنتم على استعداد فهيا بنا نتقدم الى هذه الغرفة التي أمامنا ترون بابا بيضوي الشكل فوق لوح هلالي أسود ، لكي يمنع العرق من التصبب اليه من الجبين »(٢٩) .

الى جانب هذه المدارس النثرية ازدهرت الخطابة ، نتيجة للحركات السياسية والاجتماعية ، والفكرية التي كانت تعصف بفلسطين ولقد تمثلت بأدباء كثيرين منهم **خليل بيدس ، سليمان التاجي الفاروقي ، يوسف العيسى** »(٣٠) .

ـ المرحلة الثالثة ـ

تمتد هذه المرحلة ما بين نهاية الحرب العالمية الأولى حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، ولقد كانت تواجه فلسطين ، ابان هذه المرحلـة ، التامـر الامبريـالي البريطاني ـ الصهيوني ، وكان التصدي له بالبندقية والكلمة ، بحيث ازدادات الحركة الأدبية خصبـاً ،

واستمرت مدرسة **السكاكيني** التجديديـة ، في نمـو مطرد ، وكثر المنتمون اليها والمعجبون بها ، فلفتها لغة العصر ومواضيعها مواضيعـه ، أمـا مدرسـة **النشاشيبي** ، ومع بقائها على الساحة الفلسطينية الا انها لم تستمر ، ولم يكتب لها النمو ، رغم صمود صاحبها ، لأنه لم يكن من السهولة الانتماء اليها لا سيما أن أسلوبها لم يكن متوافقاً مع روح العصر ، بيد أن مضامين النثر في هاتين المدرستين قد اتسعت وتشعبت بحكم المعطيات المستجدة والظروف الحاصلة ، فاتجهت لتعالج الخطر الداهم وتنبه إليه . فقد كتب **بولس شحاده** يقول : « فلسطين مهد الأديان ، لا ينقذها عيسى ولا موسى ولا محمد ، ولا يرد عنها ما تخشاه وتحذره مقالة تجد او كتاب ينشر او جمعية تتألف . الا الاله الجديد الذي صنع منه بنو اسرائيل إلهاً وعبدوه في برية سيناء أجـل ان المال هو الركن الأول الذي عليه المعول في رفع الخطر الذي يهددنا به الصهيونيون . فهم لم يزحفوا علينا بالاساطيل والجيوش ، ولكنهم زاحفون بالملايين الجرارة من الدولارات يبتاعون بها المنازل ، والحقول ، والغياض ، والرياض وينفقونها في بنـاء المعاهـد والمدارس وانشـاء الطـرق ، وتجفيـف المستنقعات ، واستثمار الاراضي ، ونشر الصناعة والتجارة ، والقيام بالمشاريع الكبيرة التي تعود بالنفع الجزيل على القائمين بها »(٣١) .

واضافة للمقالات السياسية والوطنية فقـد ظهـر **للسكاكيني** كتاب « مطالعات في اللغة والأدب » وفيه ثورة على الجمود والتقليد ، والأخذ بأساليب لا تتوافق مع روح العصر لاعتمادها على القوالب المحفوظة والتعابير الرنانة والبهلوانيات البديعية التي تمثلهـا مدرسـة المقلدين ، وقد وقعت بينه وبين احد اقطابهم ، وهو **الأمير شكيب ارسلان** ، مشارة على صفحات جريدة **السياسة** المصرية ، وقد أوضح موقفه ومذهبه من المقلدين بقوله :
« وأما الأساليب فهناك مذهبان : مذهب قديم ، ومذهب جديد . واني أحاول هنا أن أشير الى الفرق بين المذهبين على قدر ما تعين عليه البصيرة الضعيفة . مما اولع به اصحاب المذهب القديم ، الى يومنا هذا ، تكرار الكلام في غير مواطن التكرار ، والاسراف في استعمال المفردات على غير حاجة اليها ، ولا فائدة منها . فهم لا يأتون بكلمة الا اتبعوها بمرادفاتها ، فاذا قالوا تمـادى الرجـل في ضلاله ، قالوا ولج في غوايته ، وعمه في طغيانه ، ومضى في غلوائه ، واذا قالوا أحزنني هذا الأمر ، قالـوا وشجاني ، وأمضني ، واقلقني ، وأقض مضجعي ، وإذا قالوا سرني أمر كذا ، قالوا وأفرحني وحبرني ، وأبهجني ، وأبلجني ، وأثلج صدري . وهنا استأذن القارىء الكريم مثل على نلك من رسالة امامي لكاتب كبير قال : (يا اخواننا أن الصارخة القومية ، والنعرة الجنسية قد بدأت في الاقوام ونشأت مع الامم ، مذ الكيان ومنذ وجد الاجتماع البشري وتساكن الانسان مع الانسان) . وقال (مهما انتبذ لنفسه مكانا منزويا وتنحى جانبا معتزلا) . وقال « مهما ترامت به عن منتبه الأقطار ، وتباينت بينه وبين أهله الأوطان والأوطار » . وقال : « وان هذه النعرة الجنسية والحمية القومية ، وان عم امرها جميع الامم ولم يـخل منها عرب ولا عجم ، فقد اختص منها العرب بالشقص الأوفر والحظ الاكمل) فتأمل . وسبب نلك اما قلة بضاعة اونـزارة المادة الفكرية ، وأصحاب هذا المذهب يحسبون أن اللغة كل شيء فاذا حمل أحدهم على ظهر قلبه مقامات الحريري ، وديوان الحماسة والمعلقات ، والمفضليات فقد صار كاتبا نحريرا »(٣٢) .

وظهر للسكاكيني رسائل أدبية متنوعة المواضيـع والاغراض ، بعث بها إلى ابنه ، الذي كان تلميذا في أميركا ، وقد جمعها في كتاب عنوانه « سري » .

وظهر كتاب « الاسـلام الصحيـح » **لاسعـاف النشاشيبي** في هذه المرحلة ، وهو يمثل المنحى التقليدي اللغوي ، الى حد ما ، في فلسطين ، ولكي نتعرف على هذا الاتجاه وأسلوبه ، يمكننا ان نعرض مقطعا من مقدمة الكتاب الآنف الذكر ، ويقول فيه « محمد دينه التساوي ودين العدل والنصفة ، فلا شريف ولا مشروف ، ولا كبير ولا صغير ، ولا أمير ولا مأمور ، ولا قبيل أفضل من قبيل ، ولا قوم خير من قوم (يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . أن اكرمكم عند الله أتقاكم) والتفضيل بالفضل والتقديم بالفعل (وان ليس للانسان الا ما سعى) انما الاسلام دين التساوي فالصعلوك مثل الرئيس ومثـل الملك والملك والرئيس مثل الصعلوك في هذا الدين »(٣٣) .

الى جانب هذه الاتجاهات والمواضيع ظهرت مواضيع جديدة تناولها بعض الكتاب الناشئين امثال **محمود سيف الدين الايراني** في كتابه « اول الشوط » ، وفيه

اتجـاه للبحث عن الحقيقة ، **ونجاتي صدقي** في ابحاثه الفكرية ودراسته **لابن خلدون** وظهرت نزعـة الأدب المادي ، وقد عبر عن هذا الاتجاه ، **نجاتي صدقي** بمقالة عنوانها « المدارسة المادية العربية » ، جاء فيها : « ونحن اتباع المدرسة المادية لا نتغنى بالشمس قبل بزوغها ، بل بطلوع النهار وانتشار الضياء .. ولا نلتذ بهدير المياه المختبئة في جوف الأرض بل في تفجرها وتدفقها بشدة ، فاذا سمعنا بجعجعة مطحنة لا نجزم بان هناك دقيقا الا حتى اخذناه بالكف »(٣٤) .

يرى أصحاب هذا المذهب أن الأدب المادي نقيض للاتجاه الخيالي ، فالأخير يستمد مادته من الاوهام ، بينما الأول يستمد من الواقع المحسوس ومن معترك الحياة ، وعنده أن الفن للحياة وليس للفن المجرد . والى جانب هذه التيارات والاساليب انفرد **قدري طوقان** بكتابه الابحاث العلمية بأسلوب ادبي (٣٥) ، والى جانب كل هذا سار فن الخطابة اشواطا الى الأمام ، بفعل التقدم والدوافـع اليهـا ، كذلك كثـرت المحاضرات والمناظرات . وهذا اقصى ما وصلت إليه النثر في هذه المرحلة .

– المرحلة الاخيرة – تبتديء هذه المرحلة ببداية الحرب العالمية الثانية وتنتهي بحلـول النكبـة عام ١٩٤٨ ، ومن الملاحظ انه لم تظهر تيارات نثرية جديدة في هذه الفترة ، وانما كانت استمرارا للتيارات السابقة . أما **السكاكيني** ، كبير المجددين ، فقد فقد سلطانه ، زوجته ، وكانت الصدمة مذهلة ، جعلته يترنح تحت وطأتها اخذ يكتب خواطر وتأملات في الوجود ، والانسان والحياة ، يغلب عليها طابع التشاؤم ، الذي غاب عنه في البداية ، لا بل شن عليه حربا شعواء ، ومما كتبه في هذه الفترة اثر نزول الخطب الجلل عليه . « ألا يا سلطانة ان موتك غصة في صدري لا تساغ ، لا يسيغها البكاء ، ولا يسيغها ان انام ولا يسيغها ان استيقظ ، ولا تسيغها الايام ، فانها تتجدد كل يوم »(٣٦) .

ويصل به التشاؤم إلى حد الدعوة الى الانقراض ويقول : « اليس الأفضل ان لا تكون هناك حياة ، فلا يكون هناك موت ؟ ايها الناس تعالوا ننقرض »(٣٧) .

اما **النشاشيبي** ، راس المدرسة الثانية ، فقد استمر بالكتابة على طريقته ، وأمـد مجلـة « **الرسالـة** » بمختارات انتقاها من فنون الكتب القديمة وهاك واحدة منها « في لسان الميزان : مما يذكر من سرعة جواب **المتنبي** وقوة استحضاره انه حضر مجلس الوزير **ابن حنزا** به وفيه **ابو علي الامدي ، الأديب المشهور ، فانشأ المتنبي أبياتا جاء فيها : انما التهنئات للاكفاء** . فقال **ابو علي** : التهنئة مصدر ، والمصدر لا يجمع ، فال **المتنبي** لآخر بجنبه أمسلم هو ؟ فقال سبحان الله ! هذا استاذ الجماعة **ابو علي الامدي** . قال فاذا صلى المسلم وتشهد اليس يقول (التحيات) ؟ قال فخجل ابو علي وقام »(٣٨) .

وقبيل أفول نجـوم المدرستـين ، **السكاكينيـة ، والنشاشيبية** ، طلع علينا أدباء تناولـوا مواضيـع متعددة ، وكانت لهم اتجاهات متباينة ، كان من بينهم **الدكتور اسحق موسى الحسيني** ، وهو من المعجبين بالسكاكيني ومدرسته النثرية ، ولكن الفكر يغلب على الحس عنده ، في اكثر الأحيان . انه يدعو للتقدم والأخذ من الغرب بما يساعدنا على هذا التقدم . ويقول : « اننا لن نلقي على الماضي إلا نظرة واحدة . أما المستقبل فله منا نظرتان . واننا لنعلم أن الوقت لا ينتظرنا حتى نبدأ من حيث انتهى آباؤنا . ولا من حيث ابتدأت الأمم الراقية . سنبدأ من حيث انتهت . وسنأخذ من كل جديد نهاية . وسنغرف من الحضارة الأوروبية ما يطلـق مواهبنا الى غاياتها ، وما يبعث في تراثنـا حيـاة جديدة »(٣٩) .

والى جانب هذه التيارات استمر التيار المادي مع الاستاذ **محمود سيف الدين الايراني** ، وظهر تيار الأدب الخيالي ممثلا **بنجـوى مغـوار ومصطفـى الدباغ**(٤٠) .

هذا هو النثر الفلسطيني ، منذ بزوغ شمسه في عصر النهضة وحتى عام النكبة ١٩٤٨ ، يواكب النثر في مصر ولبنان ، بمدارسه ، و « معـاركه » ، واتجاهاتـه ،و ونموه ، وتشعبه ، وتعدد اغراضه . فلا يختلف عنها في شيء ، ولا يقل عنها شأنا وتنوعا . وذلك طبيعي فالتراث واحد ، والانفتاح على الغرب واحد ، وفلسطين ، قلب العالم العربي ، هي الجسر الذي يربط المشرق العربي بالمغرب العربي ، ويصل ما بين لبنان ومصر . فمن البدهي أن يحاكيهما النثر فيه ويتماشى مع النثر فيهما ، بفضل التفاعل المستمر والمعطيات المتشابهة والموقع الجغرافي المميز .

حواشي

(١) الزيات ، احمد حسن . **تاريخ الادب العربي** . القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٥٥ ، ص ٤٣١ .
والجندي ، انور . **المحافظة والتجديد في النثر** . القاهرة مطبعة الرسالة ، ١٩٦١ ، ص ٢ .
(٢) المصدران السابقان . نفس الصفحات .
(٣) د. ضيف ، شوقي . **الفن ومذاهبه في النثر العربي** . القاهرة . ١٩٦١ص ، ٢٠٨
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .
(٥) دسوقي ، عمر . **في الأدب الحديث** . القاهرة مطبعة الرسالة . ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .
(٦) الجندي ، انور. **المعارك الأدبية** . القاهرة مطبعة الرسالة ، ص ١٩٩ .
(٧) **المصدر السابق** ، ص ٢٠٠ .
(٨) **المصدر السابق** ، ص ٢٠٢ .
(٩) **المصدر السابق** ص ٢٠٣ .
(١٠) **المصدر السابق** ، ص ٢٠٥ .
(١١) **المصدر السابق** ، ص ٢١٤ .
(١٢) **المصدر السابق** ، ص ٢١٦ .
(١٣) ريحاني ، البرت . **رسائل امين الريحاني** . بيروت ١٩٥٩ ص ٢٥١ .
(١٤) **المصدر السابق** ، ص ٢٣٣
(١٥) د. ياغي ، عبد الرحمن . **حياة الأدب الفلسطيني** ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٥ .
(١٦) د. ياغي ، عبد الرحمن . **حياة الأدب الفلسطيني** ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٣٢٩ .
(١٧) **المصدر السابق** ، ص ٣٣١ .
(١٨) السكاكيني ، خليل . **كذا انا يادنيا** . القدس ، ١٩٥٥ ، ص ٥ ـ ٦ .
(١٩) **المصدر نفسه** ، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .
(٢٠) السكاكيني ، خليل ، **مطالعات في اللغة والأدب** ، القدس ، ١٩٢٥ ، ص ٧٨ ـ ٨٧ .
(٢١) **المصدر السابق** ، ص ٩٩ .
(٢٢) **المصدر السابق** ، ص ١٦٩ ـ ١٧٦ .
(٢٣) **المصدر السابق** ، ص ٨٠ ـ ٨١ .
(٢٤) د. ياغي ، عبد الرحمن . **حياة الأدب الفلسطيني** ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .
(٢٥) **المصدر السابق** ، ص ٣٥١ .
(٢٦) **المصدر السابق** ، ص ٣٥٣ .
(٢٧) الجندي ، انور . **المحافظة والتجديد في النثر** . مطبعة الرسالة ١٩٦١ ، ص ٣٦١ .
(٢٨) **المصدر السابق** ، ص ٣٦١ .
(٢٩) **النفائس العصرية** ، السنة الثالثة ، الجزء الثالث ، ١٩١١ ، ص ١١٥ ـ ١٢١ .
(٣٠) د. ياغي ، عبد الرحمن . **حياة الأدب الفلسطيني** ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٦١ ـ ٣٦٥ .
(٣١) **النفائس العصرية** ، السنة ٧ ، جزء ٩ ، سنة ٩١٩ ، ص ٩٠ ـ ٩٢ .
(٣٢) السكاكيني ، خليل . **مطالعات ...** ص ٩٧ ـ ٩٨ .
(٣٣) النشاشيبي ، اسعاف . **الاسلام الصحيح** ، المقدمة ، ص ٤ ـ ٨ .
(٣٤) د. ياغي ، عبد الرحمن . **حياة الأدب الفلسطيني** ١٩٦٨ ، ص ٤٠١ .
(٣٥) **المصدر السابق ، ص ٤٠٤** .
(٣٦) السكاكيني ، خليل . **كذا انا يا دينا** القدس ١٩٥٥ ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٨ .
(٣٧) **المصدر السابق** ، ص ٣١٠ .
(٣٨) النشاشيبي ، إسعاف . **نقل الأديب** ، القدس ، ١٩٣٨ ، ص ١٨ .
(٣٩) د. الحسيني ، اسحق موسى. **عودة السفينة** ، القدس ١٩٤٥ ، ص ٧٠ .
(٤٠) راجع د. ياغي ، عبد الرحمن . **حياة الأدب الفلسطيني** ، ١٩٦٨ ، بيروت ، ص ٤٢٩ ، ٤٣١ .

اوقات الفراغ والنشاطات التربوية الموجهة لاطفال المخيمات في لبنان

قاسم عينا

تعتبر اوقات الفراغ من اهم المشكلات التي تواجه العاملين في مجال رعاية وتربية الناشئة من أطفال وشبيبة. نلك أن هذه المشكلة تتطلب توفير الحلول المناسبة والسليمة التي تتلاءم وقدرات الأطفال العقلية والجسدية وفقا لمراحل النمو المختلفة، من جهة اولى، وبشكل يتناسب مع الامكانيات البشرية والمادية التي يمكن توفيرها، من جهة اخرى.

إن الطفل بصفة عامة وأطفال فلسطين والأطفال المماثلين لأوضاعهم وظروفهم الاقتصادية والحياتية، لديهم من وقت الفراغ أكثر من أوقات فراغ الراشد الذي يتوفر له عمل في حياته.

فأوقات الفراغ ليست بالشيء الرخيص، الذي يجب أن لا ينظر إليه باهتمام، خاصة إذا ما أضيفت الى أوقات الفراغ اليومية، والعطلات الأسبوعية، والأعياد الرسمية، والعطل الفصلية، والتعطيل القسري، الذي تفرضه الظروف الأمنية التي يعيش في كنفها أطفال شعبنا في مخيماته المختلفة.

واوقات الفراغ هي طاقة بشرية، معرضة لان تضيع أو تستخدم بأساليب غير بناءة، فتتحول سلبيا لتصبح عاملا من عوامل إنحراف سلوك الانسان وخطرا عليه وعلى المجتمع وخاصة إذا أسيء استعمالها، او إذا لم تستثمر هذه الأوقات بأشكال وبرامج منتجة لصالح الفرد والأسرة والمجتمع. إن هذه الأوقات، فضلا عن أنها تتيح الفرص أمام الطفل للعب وممارسة الانشطة التربوية ـ الترفيهية الضرورية لاشباع الكثير من حاجاته البيولوجية والنفسية، فانها تمثل عنصرا اساسيا في تربية الطفل وتنشئته النفسية السليمة، وإتاحة الفرصة أمامه لنمو الشخصية والعبير عن الذات، وتعزيز العواطف السامية، وتقوية الفضائل، وتوجيه الفرد الى المثل العليا وغرس القيم والعادات السليمة كالتعاون والمنافسة الجماعية البناءة واحترام الآخرين والانضباط ... الخ.

ان اوقات الفراغ، على الرغم من اهميتها ونظراً لما يمكن ان ينتج عنها بما يتعلق بسلوك الاطفال وتنمية الاتجاهات الاخلاقية لديهم سيان كانت ايجابية ام سلبية، لم تستحوذ، حتى الآن على الاهتمام الجاد من قبل المسؤولين والمؤسسات التربوية التي انشأتها ثورتنا، بأستثناء المناسبات والنشاطات الموسمية، هذا إذا ما قورنت بالاهتمامات الأخرى للثورة.

لقد ازدادت حدة مشكلة أوقات الفراغ عند الاجيال الفلسطينية، وبشكل ملحوظ خلال السنوات العشر الماضية، وبالتحديد منذ بدء تطبيق سياسة التعليم التي اتبعتها الاونروا لنظام الدفعتين والتي تشمل حاليا اكثر من ٢/٣ أعداد المدارس. ان سياسة نظام الدفعتين مع عدم توفير الأنشطة التربوية الموازية للانشطة الصفيه أتاح المجال أمام أجيال شعبنا لقضاء أوقات طويله خارج المدرسة (دون رقابة المدرسة له في كثير من الأحيان وهو في داخلها) ودون رقابة الأهل، والمجتمع في المخيم.

اننا، في هذا العام الذي يحمل استمرار التناقض للعام الذي سبقه عام زيارة العار والخيانة وعام التصدي والصمود للثورة وجماهيرها أمام المؤامرات، مطالبون بتكريم أطفالنا وبتعزيز مؤسساته المتشابكة من مدرسة وعائلة ومجتمع وثورة، ان الشهداء النين سقطوا العام

الماضي وهم يبنون دولة الثوره في فلسطين هم أشبال الثورة وأولادها، وباستقراء أعمار قافلة الشهداء يتبين لنا عظمة أجيالنا، وتضحيات أطفالنا، وبالتالي قدراتهم واستعداداتهم للاستمرار بالثورة.

ان هذا العام، الذي خصص لتكريم الأطفال في كل دول العالم، كرمه أطفالنا بالنضال وبالعطاء، فكان مقابل خيانة السادات ونظامه تظاهرات أهلنا من أطفال، وشيوخ، ونساء ورجال. ومقابل توقيع معاهدة الخيانة كانت إضرابات المدارس وصمود أهلنا في الأرض المحتلة تجسيدا لتلاحم الأهل بالثورة ومؤشر لارادة صمود أهلنا وقدراتهم في التصدي الدائم للخيانة ولاحباط المؤامرات، وتمكنت هتافات اطفالنا واغانيهم الثورية من التغلب على رصاص ونار العدو وغطرسته، بل أن حجارة الأطفال والخضار الذي استعملوه برشق قوافل جنود العدو كانت أفتك من كافة الذخائر التي استعملها العدو، وان اختلفت تقنية السلاح الذي تقدمه له الامبريالية الاميركية.

فأمام هذا العطاء الكبير لاطفالنا، رجال مستقبلنا، ماذا عسانا نقدم، وهل نسمح بأن نسأل أنفسنا ماذا قدمنا له؟ نحن الآن مطالبون بتكريمه وتعزيزه لانه تكريم لمستقبلنا.

إن تكريم الحاضر وتأهيل أجيالنا هو بناء للمستقبل، فلنحسن البناء والصناعة، ولنعلن بصدق بأن هذه المناسبة في هذا العام ستكون حافزا لنا على العطاء والبذل لهذه المناسبة، ولتكن تجارب الشعوب التي أحرزت النصر لأجيالها، لشعوبها، مجال تعليم واختبار وفائدة لنا.

فثورة فيتنام التي قهرت الامبريالية الاميركية خصصت شهرا كاملا، عام ١٩٦٨، لتكريم الطفولة تحت شعار «زيادة الانتاج من أجل الطفولة». ونحن مطالبون، كنلك بالعمل الدؤوب لتكريم هذه الطفولة التي ستصنع المستقبل وتحقق النصر. اننا مطالبون بالاستفادة من تجاربنا والتعلم من الأخطاء، وتحويلها الى برامج ايجابية لعالم الطفولة، لنصنع غدا مشرقا لها ولأمتها العربية.

تجربة مؤسسة الاشبال والفتوة كأحد المؤسسات التي تهتم بالطفولة الفلسطينية في المخيمات :

أن تحقيق أهداف الثورة السياسية والأجتماعية يتطلب، وبالضرورة، بناء الانسان الجديد لجيل الثورة، ونلك الانسان القادر على ترجمة أهداف وشعارات الثورة لممارسة سلوكية يومية حياتية، أنه نلك الانسان القادر على الاستمرار في حمل راية الثورة من اجل تحقيق النصر وصيانة منجزات الثورة بعد انتزاع الارض وتحقيق النصر، انه نلك الانسان الذي يعتمد على فهم وتحليل الأمور بطريقة علمية والقادرة على إدراك واستيعاب التطورات والانجازات العلمية والتقنية الحديثة التي توصل إليها عقل الانسان في هذا العصر. وبأختصار شديد، هو الانسان الذي يحكم عقله ويستعمل قواه الابداعية، والفكرية، والفنية بمنهج علمي، والذي يرى مستقبله برؤيا عقلانية لا برؤيا غيبية، إن الانسان القادر على تحويل رفض الواقع البائس السلبي الى واقع ثوري إيجابي بناء فيه مصلحة الثورة والجماهير.

وفي هذا المجال فانه يمكن للنشاطات التربوية المختلفة داخل وخارج المدرسة أن تلعب دورا هاما في عملية بناء الشخصية المنشودة لهذا الانسان الجديد. ولكن تحقيق مثل هذا الطموح مرهون بما يمكن أن يوفر لهذا الجيل من تخطيط وعناية ورعاية لأطفال اليوم من أبناء شعبنا لتصبح الطفولة أداة فعالة وضمانة أكيدة قادرة على خدمة الثورة وجماهيرها وصيانة منجزاتها والاستمرار باهدافها والالتزام بالحرب الشعبية وكفاحها المسلح، كأسلوب لتحقيق النصر.

واذا كان أطفال الكرامة، عام ١٩٦٨، في الاردن هم النواة الأولى لأشبال وزهرات حركة التحرير الوطني الفلسطيني «**فتح**»، فأن تقييم المراحل المختلفة التي مرت بها تجربة رعاية الأشبال الفلسطينية منذ نلك التاريخ حتى الآن لهو أمر ضروري، إذا ما أردنا أن نخطو خطوة جديدة بأتجاه تعزيز دور هذه المؤسسة في مجال رعاية الجيل الجديد. ويمكن القول بأنه في جميع المراحل كان هناك اجماع على أن رعاية الأجيال هي الضمانة لاستمرار الثورة حتى النصر وكان شعار «الجيل الذي سيصل الى البحر» تعبيراً عن نلك الاجماع، ولكنه كان بحاجة الى إعطائه مضمون تربوي صحيح يحقق الهدف من وراء إعلانه لأطفالنا وللمناضلين في الثورة، هذا إذا ما فهمنا التربية على أنها عملية تغيير، ديناميكية ومتطورة، ترتبط، ارتباطا وثيقا، بالتطور العلمي والتكنولوجي الاجتماعي. واذا ما أدركنا، كنلك، بأن التربية الشاملة هي عملية لا يمكن للمدرسة ان تقوم بها منفردة، بل أن هناك مؤسسات آخرى بجانبها تقوم بدور أساسي في تلك العملية، وتكتسب هذه المؤسسات (مؤسسة الأشبال، أندية الشباب، منظمات الشبيبة) أهمية خاصة لكون التعليم الفلسطيني غير مسيطر عليه، وغير موجه من قبل الثورة الا في حدود ضيقة جداً، ولكونه مرتبط في كل بلد عربي بالنظام التربوي لنلك البلد.

وفي سياق الاستفادة من تجربتنا الفلسطينية في مجال رعاية الاجيال، وبشكل خاص في مجال الاهتمام

بأستثمار اوقات الفراغ عند الطفولة وتوجيه تلك الاوقات من خلال النشاطات التربوية المختلفة ، يمكننا التنوية (باب النقد البناء الهادف لسد الثغرات التي حالت دون تحقيق الطموح المنشود) الى بعض ظواهر هذه التجربة المتواضعة ، للتغلب على ما عجزنا عن تحقيقه سابقا ، ولتعزيز الدور الايجابي الذي حققته التجربة ، بالرغم من ظروفنا الصعبة التي تواجه مسيرة الثورة بشكل عام .

لقد جاءت هذه التجربة نتيجة اهتمام الثورة بتدريب جميع الأفراد في المخيمات (الاردن) للمساهمة في النضال والثورة ، ومع ممارسة تدريب الصغار في المخيم ولدت فكرة بناء معسكرات خاصة بهم .

وعزز هذا الاتجاه رغبة الأطفال الطوعية بالمجيء الى المعسكرات . كما أن عدداً كبيراً من الأطفال تركوا المدرسة ، للانخراط بالعمل العسكري والالتحاق بالثورة ، فاقتصر العمل ، في باديء الامر ، على التدريب العسكري والالتزام بالانضباط مع الاهتمام بالتوعية السياسية بشكل متفاوت ، كانت ولا تزال تتوقف فعاليته واستمراريته على قدرة وكفاءة كادر المعسكر .

وبشكل عام يمكن القول بأن تجربة الأشبال لم تتمكن ، حتى الآن ، من تحقيق كامل النجاح للطموح المطلوب في مجال بناء التفكير والمسلك الجماعيين ، وربط الأشبال بمجتمعهم . وذلك عائد ، بالطبع لطبيعة الخلل الحاصل في البرنامج بشكل عام ، الذي أعطى التدريب العسكري درجة كبيرة من الاهتمام على حساب باقي النشاطات الأخرى والأساسية في مجال رعاية وتربية الناشئة ، وكذلك فان التجربة قد أهملت بناء الشبل ـ الفرد ـ الرائد في مسلكه تجاه رفاقه من الأطفال غير الملتحقين بالمعسكر ، وذلك الرائد تجاه المجتمع بتحمل اعباء تحسين الأوضاع الحياتية والاجتماعية لأبناء المخيم ، وكذلك عجزه من إعطاء صورة لمجتمع الكبار من الأهل وأبناء المخيم . لبوادر ظهور نموذج الانسان الجديد ، الذي يمكن من خلاله رؤيتهم ، لتحديد معالم صورة المستقبل ، بأعتباره انسان الجيل الجديد للثورة ، ذلك الانسان المنظم والمنتظم واللافردي ، والواعي المثقف المتعاون مع الغير ، والمبادر لنجدة المحتاج ، والقادر على احترام قيم الثورة والمحافظ على تراث الشعب والمؤمن باستمرارية الثورة ، والمؤهل لحمايتها وصيانتها .

لا تنحصر أهمية تجربة الأشبال بكونها طرحت موضوع إعادة تنظيم الجيل الجديد وتربيته فحسب بل لكونها، أيضا، اتاحت المجال لاستكشاف واختبار إمكانات الاستفادة من التجارب العديده التي مارستها في هذا المجال من معسكرات مفتوحة دائمة الى معسكرات مغلقة . ومن ثم تضم معسكرات صيفية تضم أعداداً كبيرة من أبناء الشعب الفلسطيني في أماكن شتاته المختلفة . ان تجارب المؤسسة لا تزال تتطلب بذل الجهود المنظمة الموجهة في سبيل تحقيق الانسان الجديد المتمايز في سلوكه ونمط تفكيره عن الانسان التقليدي ، إنها لا تزال تطرح ،وبالحاح ، اهمية بناء وتربية رجل المستقبل ، إنه إنسان مجتمع الثورة المنتصرة على كافة اشكال الظلم والقهر . ان هذه المؤسسة والمؤسسات المماثلة تتطلب توفير الكادر البشري المؤهل القادر على ترجمة الشعارات الى اعمال والقادر على نقل النظرية الى ممارسة وسلوك يمتلكه الشبل والزهرة . ان توفير الكادر المؤهل والتجهيزات والمواد التربوية اللازمة لممارسة النشاطات المختلفة ، ووضع البرنامج السليم الذي يأخذ بعين الاعتبار اهمية النشاطات حسب أولويتها ، وفقا لاحتياجات الأطفال وقدراتهم ، هي جميعها كفيلة ببناء الانسان الجديد ، والا فان الكلام عن خدمات تربوية وانشطة خلاقة للطفولة ستبقى مجرد احلام واستهلاك للكلام ، لن يستفيد منه أطفال الحاضر ولا رجال المستقبل .

اولا : الأهداف التربوية للنشاطات الموجهة :

لتحقيق الأهداف المرجوه من النشاطات التربوية لا بد من ان نأخذ بعين الاعتبار ان هذه النشاطات الخلاقة ، هي أسلوب للتعبير ، وان اختلفت لغاته . فهو نشاط للتعبير الصادق ، سواءكان ذلك بواسطة الأنامل أو السواعد او القلم او الأزميل أو الريشة ، إنه أسلوب وليس وسيلة او نتيجة ، وهي لذلك لغة اساسية موجوده عند كل طفل . وهي ، كذلك ، قابلة للتطور إذا ما توفرت لها مجالات التطور ، ولكنها تبقى بحاجة الى برمجة منظمة ، تتوافق وقدرات أصحابها الفعلية الفكرية والنفسية ... الخ . كما انه لا بد من ان نأخذ بعين الاعتبار اهمية اتباع الأصول والأساليب العلمية في مجال العمل مع الجماعات والاستناد الى المهارة المهنية في حقل الزيادة فيما يتعلق بتنظيم البرامج بشكل عام ، من حيث التنفيذ والاشراف والتقييم .

اما الاهداف المنشودة فهي :

١ ـ توطيد المسلك الجماعي لدى الفرد ، من خلال تأصيل فكرة المجتمع ـ المخيم ـ المتواجد ضمنه ، والمجتمع الواسع المنتسب اليه الفرد .

٢ ـ توطيد التفكير والمسلك العلمي لدى الفرد ، المتجسد في مقدرة الفرد على التفكير النقدي وتحديد الأهداف ، والتخطيط لها وبرمجة العمل للوصول الى هذه الأهداف .

٣ ـ ترسيخ مسلك التضحية اللامتناهية لدى الفرد ، من خلال إدراك فائدتها للمجتمع وأهدافه القريبة والبعيدة .

٤ ـ تدريب الفرد عسكرياً وجسدياً وذهنيا ، لتحمل مسؤولية النضال الطويل الأمد على طريق الحرب الشعبية ، ولممارسة الكفاح المسلح كأسلوب لتحرير الأرض وتحقيق النصر .

٥ ـ غرس وتكريس المفاهيم والقيم الثورية التالية : العمل الجماعي ، الانضباط ، الالتزام ، المشاركة والتعاون ، المبادرة الفردية في سبيل مصلحة الجماعة احترام العمل والانتاج ، النظافة والصدق والامانة والاخلاص ، والولاء والتضحية في سبيل الشعب والثورة والوطن . تدريب الفرد على الانضباط الفردي واستيعاب اهمية هذا الانضباط في سبيل خلق العادات الملائمة وواجبات العمل الجماعي ومقتضيات التضحية الوطنية .

٦ ـ تحقيق استعدادات ثقافية وعلمية للتطوير الدائم من الأمكانيات الفردية ، تخلق لدى الأفراد رغبة ومسلكاً لزيادة انتاجيتهم في الأطار الاجتماعي والاقتصادي ، ولتطوير ذاتي في نفس الوقت لنمط ساعات الترفية الفردية والجماعية ، للابقاء بل زيادة مستوى هذه الانتاجية .

٧ ـ تحقيق تمازج بين العمل الفكري والعمل اليدوي لدى الفرد ، لمنع التفاوت الانساني غير العقلاني ، وخلق مقدرة عملية لدى هذا الفرد تؤهله لدرجة معقولة لصيانة قسم من ممتلكاته الفردية والجماعية ، والقيام بحد أدنى من الأعباء اليدوية التي تزيد من حركته وتوطد ثقته في النفس . فضلا عن ان التدريب اليدوي المنظم يساعده على توطيد انضباطات ، مثل الدقة والصبر وتنظيم العمل ...

٨ ـ تدريب الفرد على الانضباط الفردي ، واستيعاب اهمية هذا الانضباط ، في سبيل خلق العادات الملائمة وواجبات العمل الجماعي ومقتضيات التضحية الوطنية .

٩ ـ تحقيق تكامل الهوية الفعلية لمعسكر الأشبال ، بأعتباره مؤسسة تربوية ، تعمل من اجل تربية وإعداد الجيل ليصبح إمداداً ودعما للثورة . وحيث لا يمكن أن يتم ذلك الا من خلال ترابط وتكامل النشاطين العسكري والتربوي بما يتلاءم ومراحل النمو المختلفة .

١٠ ـ إعداد وتأهيل الأطفال على حب العمل واحترام الانتاج الجماعي والفردي ، والعمل على توفير انتاج مفيد لهم وللمجتمع ، من خلال استغلال خامات البيئة المختلفة (قناني زجاج أو بلاستيك ، علب كرتون ، ورق ، قطع خشب ، قطع قماش ... الخ) .

١١ ـ توفير صورة تربوية سليمة لجماهير شعبنا العربي والفلسطيني عن معسكر الأشبال ، وذلك بتوفير نشاطات تربوية خلاقة ، يكون كلام الأطفال وإنتاجهم الوسيط الفعلي للاعلام ، عما يجري داخل المعسكر ، وهذا ما يساعد على تشجيع ودفع الأهل على ارسال ، اطفالهم والاهتمام بمتابعة برامجهم في المعسكر ، بشكل عام .

وترتبط مثالية تحقيق هذه الأهداف التربوية لشعبنا العربي الفلسطيني ، بمدى وضوح الرؤية الثورية لكامل مراحل ومتطلبات نضاله ، كما يتطلب التحقيق المثالي لهذه الأهداف تعهد مدرسة (الأونروا) بضرورة القيام بدورها للمشاركة بتحقيق هذه الأهداف التربوية .

ثانيا ـ عناصر البرامج الأساسية للنشاطات التربوية

لتحقيق الأهداف الآنفة الذكر ، هناك ضرورة لبناء وتركيز وفقا للعناصر التالية :

١ ـ الالتزام بالثورة :

لا يمكننا ان نتصور نشاطا تربويا فلسطينيا في معسكر للأشبال أو نادي ... الخ ، دون أن تكون هناك مواصفات ثورية تجمع ما بين الأنشطة وأهداف المعسكر ، (مع أخذنا بعين الاعتبار قدرات الأطفال وإمكاناتهم الجسدية والعقلية لمراحل النمو المختلفة) .

٢ ـ الترفيه

كل نشاط ـ لا صفي أو صفي ـ غير مريح بحد ذاته يفقد دوره التربوي ، فالشبل او الزهرة تزداد ثقته بنفسه خلال ممارسته لمختلف النشاطات التي توفر له الانطلاق والانشراح والسرور . إذ يتطلب هذا العنصر مراعاة تجنب تجارب النشاط الفاشل وخلو الأنشطة من التغير المفاجيء بشكل ملحوظ للأشبال .

٣ ـ اكتساب مهارات جديدة

يرتكز البرنامج الناجح والمفيد على مدى ما يقدمه من مجال لتعليم المهارات الجديدة ، وعلى عنصر التنويع والمفاجأة الذي يساعد الناشئة على الخلق والابتكار والابداع ، والتبصر والتمعن في فهم الامور بحيث تتوسع دائرة معرفته ومعلوماته .

٤ ـ العمل الجامعي والتناقض الايجابي :

كل من اتيح له فرصة التعامل مع الأطفال يدرك ما لهذه، الناحية من أهمية تربوية بحيث تساعد هذه الناحية على تعويد الأطفال على التعاون والمشاركة وتقبلهم لبعضهم البعض داخل الجماعة الصغيرة والجماعة الكبيرة (معسكر) . إذ أن التعامل مع الأطفال في المدرسة أو المعسكر لا يزال إمتداداً لنهج التعامل الذي يربي الطفل تربية فردية لشخصية

ذاتية ، تعشق السيطرة والهيمنة في معظم الحالات . وما الانطلاق والتركيز على هذا العنصر في تنظيم البرنامج الا وسيلة ومرحلة تحضيرية في سبيل إعداد وتهيئة الأطفال للعمل والانتاج الجماعي ولخلق روح تنافس إيجابي هدفه الأول والأخير تحقيق النجاح والانتصار للجماعة والمجتمع . بالأضافة لنلك فأنه يسهل على الأطفال إمكانية التصرف والانخراط في التنظيم لخدمة الشعب والثورة بواسطة الأطر الجماعية المنظمة .

٥ ـ النمو الشخصي :

تعتبر هذه الناحية من أهم القيم التربوية والأخلاقية التي يمكن إكتسابها خلال الممارسة الفعلية للأنشطة المختلفة ، فلذة الابتكار والأبداع وجو الصداقة والروح الأخوية والرفاهية داخل الجامعة الواحدة ومختلف الجماعات الأخرى ، تساعد جميعها على إشعار الطفل بأهميته وقيمته الشخصية والمعنوية داخل جماعاته المختلفة : الأسرة ، المدرسة ، الحي ، والمعسكر ... الخ . وكثيرا ما عاد فشل نشاط أو برناج معين لعدم الاهتمام بالنواحي الانسانية أو الافراط والمبالغة في التعامل الى جانب التركيز في بعض الأحيان على أشخاص أو جماعة معينة .

ثالثا : برنامج النشاطات التربوية الموجه للجيل الجديد :

لتحقيق الأهداف المتوخاة من النشاطات نقترح هذا البرنامج ، لتطبيقه على ضوء استرشادنا بالبرنامج المنشور في الكتاب السنوي لحركة **فتح** عام ١٩٦٩ ، وبكراس فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني الصادر عن القسم التربوي في **مرك التخطيط الفلسطيني .**

وتهدف الى :

١) **التربية الوطنية** : وتهدف الى (أ) حب الشعب والثقة به . (ب) حب الشعب والثورة والثقة بالنصر . (ح) تعميق الارتباط المادي والروحي بالارض الفلسطينية والولاء المطلق لها . (د) التعريف بالحركة الصهيونية وارتباطها العضوي بالاستعمار . (ه) إبراز الدور البطولي للشهداء ومدى التضحية التي قدموها ، وتعزيز روح الامانة لهم والاستعداد لمواصلة الطريق الذي سقطوا عليه .

٢) **التربية القومية** : وتهدف الى (أ) تعميق الفهم التاريخي والجغرافي للوطن العربي . (ب) ابراز صورة الهوية النضالية للثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العربية وارتباط الشعب الفلسطيني بالمجتمع العربي وبالنضال العربي ، تاريخا وحاضرا ومستقبلا . (ج) تعميق الايمان بوحدة الأمة العربية وحريتها وشخصيتها في الوطن العربي الموحد المتكامل . (د) شرح اهداف العدو الصهيوني واطماعه ليس بفلسطين وحدها ، بل بالوطن العربي .

٣) **التربية الانسانية** : وتهدف الى (أ) التساند والتجاوب مع حركات التحرر الوطني في العالم ، ودعم نضالها في سبيل الحرية وحق تقرير المصير وتحقيق العدل والمساواة . (ب) التعرف على شعوب العالم الثالث ونضالها من اجل التحرر من الاستعمار .

٤) **التربية الاجتماعية** : وتهدف الى (أ) الاندماج بحياة الشعب والتعليم منه . (ب) حب العمل والانتاج لخدمة الثورة والشعب . (ج) تنمية الروح الجماعية والسلوك الجماعي . (د) تنمية الجرأة وروح التحدي والمخاطرة المسؤولة في اطار العمل الجماعي . (هـ) ضرورة التحلي بالصفات الثورية مثل الصدق ، المواظبة ، الشجاعة ، والانضباط ، والحزم والتواضع ، والكتمان. ومقاومة الانتهازية والوصولية والاغتياب والنفاق والكذب .(و) الثقة في مواجهة المستقبل والاعتماد على النفس لدى الافراد والجماعات وتنمية القدرة على مجابهة التحدي .

(ز) تنمية المسؤولية الخلقية واتباع الدايمقراطي وروح الانضباط في العلاقات الانسانية داخل الثورة ، على ان يتمثل نلك في انماط من السلوك الفردي والجماعي وفي ممارسات عملية .

٥ ـ **التربية الصحية** : وتهدف الى (أ) الاهتمام بالجوانب الصحيحة الفردية والجماعية عن طريق نشر المعلومات الصحية وتنمية العادات الصحيحة سلوكا وممارسة . (ب) الاهتمام بالطب الوقائي في المخيمات الفلسطينية وفي البيئات الشعبية الفقيرة . (ج) التمرس بمبادىء الاسعافات الاولية (د) تشجيع حملات النظافة على مستوى الحي والمخيم والمناطق ...

٦ ـ **التربية الرياضية** : وتهدف الى (أ) تنمية اللياقة البدنية للاشبال وصيانتها . (ب) تنمية المهارات البدنية النافعة . (ج) التعود على النظام من خلال الالعاب الفردية ذات الحركات المنتظمة والتعود على التعاون من خلال الالعاب الجماعية . (د) تشجيع النشاطات الرياضية التي تنمي روح التعاون وتشيع روح الديمقراطية وتربي الكفاءات القيادية والادارية .

٧ ـ **التربية العسكرية** : وتهدف الى : (أ) اعداد

الجيل القادر على القتال لتحرير وطنه . (ب) معرفة المبادىء العلمية التي يرتكز عليها حمل السلاح ، والتمرس باستخدامه وابتكار الاسلحة الملائمة لطبيعة حرب الشعب . (ج) التعرف على البيئة ومعرفة كيفية استخدامها في خدمة المقاتل . (د) غرس التضحية والشجاعة والتعاون في النفوس عن طريق القيام بالمناورات وتنفيذ المهمات . (ه) تنمية صفات القيادة والانضباط لدى الاطفال .

٨ ـ **التربية الكشفية** : وتهدف الى : (أ) التعرف على الطبيعة ، وتنمية قوة الملاحظة التي تساعد في اكتشاف اسرارها . (ب) التعود على حياة الخلاء والقيام بالمسيرات والرحلات الاستطلاعية . (ج) التعرف على الفنون الكشفية المختلفة . (د) التمرس بأعمال الدفاع المدني (اسعاف ، اطفاء ، انقاذ .... الخ) .

٩ ـ **التربية العلمية والمهنية** : وتهدف الى : (أ) الحث على التفكير العلمي . (ب) المساعدة على تلمس وادراك تأثير القوانين العلمية في بعض الظواهر والعمليات اليومية التي تبدو انها اعتيادية ومألوفة . (ج) استيعاب تقنيات حرب الشعب المبسطة في مواجهة التكنولوجيا المعقدة التي تستخدمها اعداء الشعوب . (د) تنمية المهارات اليدوية من خلال صنع الالعاب التي تضم التجارب والادوات البسيطة واستخدامها وبالاعتماد على ما هو متوفر في البيئة المحلية . (ه) مساعدة الاطفال على تقرير مستقبلهم العلمي والمهني .

١٠ ـ **التربية الفنية** : وتهدف الى : (أ) الاهتمام بالتراث الشعبي الفلسطيني (دبكة ، غناء ، موسيقى ، والعاب شعبية ... الخ) . (ب) والافادة منها في التعبئة والاعلام . (ج) ترسيخ الاغاني والاناشيد الوطنية الجماعية وبشكل خاص اغاني صوت الثورة الفلسطينية .

رابعا : النشاطات التربوية التي يمكن توفيرها وتطبيقها في المعسكرات :

تتميز التربية الحديثة بنظرة ايجابية سليمة الى الطفل ، على أنه كائن بشري نو خصائص نمو متكاملة من النواحي الجسمية ، والعقلية والانفعالية والاجتماعية .

ومن هنا جاء التركيز على تربية الطفل ككل وليس فقط تنمية عقله او ترويض ذاكرته على حساب باقي نواحي نموه . وكذلك فان هذه التربية تعتبر ان الناحية العملية في تنشئة الطفل لا تقل اهمية عن الناحية النظرية .

وانطلاقا من هذا المفهوم المتكامل للتربية والذي ينسجم مع فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني ، برز اهتمام خاص بأتجاه تعزيز النشاطات المرافقة في مختلف مراحل التعليم كجزء مكمل للدور الذي تلعبه المدرسة من خلال عملية التعليم الصفي والنظامي في مجال التربية بشكل عام .

لذلك ، فان مفهوم التربية الشاملة كعملية متكاملة لا يمكن للمدرسة ان تقوم بها منفردة بل ستبقى تلك العملية بحاجة لمساهمة المؤسسات الاخرى المتخصصة والقادرة على التأثير في العملية بشكل صحيح وسليم .

وفي هذا المجال فان مؤسسة الاشبال والفتوة والمؤسسات المماثلة تكتسب اهمية خاصة بأعتبارها احد تلك الاجهزة التي تعمل في المجال التربوي للاطفال .

وفيما يلي استعراض موجز لانواع النشاطات والبرامج التي يمكن ان يتم تطبيقها في كل معسكر من معسكرات الاشبال والزهرات شرط ان يتوفر في كل معسكر الاحتياجات المادية والامكانات البشرية اللازمة لذلك .

١ ـ النشاطات العلمية والثقافية :

(أ) برنامج العلوم المرافقة للتدريب العسكري (اعداد القسم التربوي في مركز التخطيط الفلسطيني)

(ب) مختبر علمي تتوفر فيه بعض المواد الكيميائية والاسلاك الكهربائية .

(ج) دروس تعليم وتقوية (اللغة العربية ، والانكليزية ، والرياضيات) .

(د) برنامج مادة التعبئة السياسية للجيل الجديد (تثقيف سياسي اعداد القسم التربوي في مركز التخطيط) .

(ه) مكتبة للمطالعة والاهتمام بتحرير مجلة حائط بالمعسكر .

٢ ـ نشاطات التربية البدنية والعسكرية :

أ) الارتقاء باللياقة البدنية وممارسة التمارين السويدية ...الخ

ب) العاب فردية وجماعية ، لعب منظم ولعب حر ، داخل المعسكر وخارجه .

ج) نشاطات رياضية ، كرة قدم ، كرة طائرة ... الخ .

د) العاب فكرية كالليد والشطرنج ... الخ .

ه) الكراتيه والجودو .

و) التدريب على استعمال الاسلحة والتدريب على الحركات القتالية وبشكل خاص تلك الملائمة لطبيعة حرب الشعب والتي تستخدمها الثورة الفلسطينية .

٣ ـ نشاطات كشفية :

أ) القيام بالمسيرات والرحلات الاستطلاعية .

ب) التدريب على اعمال الدفاع المدني (اسعاف ، اطفاء ، انقاذ) .

ج) التدريب على مختلف انشطة الكشاف الخاصة بالتعرف على البيئة .

٤ ـ نشاطات التربية الفنية :

أ) معرفة اصول التراث الفلسطيني وبشكل خاص : الدبكة ، الغناء ، العاب غنائية .

ب) الاهتمام بالنشاط الفني ، مسرح ، رسم .

ج) تعليم الاشبال والزهرات : الاغاني والاناشيد والاشعار الوطنية والثورية .

د) الاهتمام بأغاني الأطفال .

٥ ـ نشاطات الاشغال اليدوية :

(أ) اشغال الخشب والنجارة . (ب) اشغال الكرتون والورق . (ج) اشغال الجفصين .

(د) اشغال الابرة التطريز والحياكة . (هـ) صناعة الدمى من الثياب (بهدف استعمالها في مسرحيات الدمى المتحركة) . (و) تنمية الحرف التراثية . (ز) الاهتمام بالزراعة .

٦ نشاطات خدمة البيئة :

أ) اعداد الملاعب وصيانتها خاصة في المعسكر .

ب) الاهتمام بحملات نظافة عامة حول المعسكر وفي المخيم .

ج) المساهمة في تسوية الطرق داخل المخيم .

د) القيام بحملة تشجير داخل المخيم .

الحواشي

المراجع :

١ ـ فلسفة التربية للشعب العربية الفلسطيني ـ القسم التربوي ـ مركز التخطيط

٢ ـ حداد ، فريدا، مهارات الريادة ، منشورات مركز تدريب العاملين مع الاطفال ـ بيروت .

٣ ـ الكتاب السنوي لحركة فتح عام ١٩٦٩ .

٤ ـ أوقات الفراغ ، منشورات جمعية الطفل اللبناني .

المراجع :

١ ـ **فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني** ـ القسم التربوي ـ مركز التخطيط

٢ ـ حداد ، فريدا، **مهارات الريادة** منشورات مركز تدريب العاملين مع الاطفال ـ بيروت .

٣ ـ **الكتاب السنوي لحركة فتح عام ١٩٦٩**

٤ ـ **أوقات الفراغ** ، منشورات جمعية الطفل اللبناني .

المراجع :

١ ـ **فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني** ـ القسم التربوي ـ مركز التخطيط .

٢ ـ حداد ، فريدا **مهارات الريادة** ، منشورات مركز تدريب العاملين مع الاطفال ـ بيروت .

٣ ـ **الكتاب السنوي لحركة فتح عام ١٩٦٩ .**

٤ ـ **أوقات الفراغ** ، منشورات جمعية الطفل اللبناني .

ببيلوغرافيا القصّة الفلسطينية

مُلحق رقم ١ ورسَالة تصحيح

الملحق

● نشر السجل الاحصائي للقصة الفلسطينية في العدد الماضي من **الكاتب الفلسطيني** (العدد ٩) ساعد على اكتشاف بعض النواقص ، وتصحيح بعض الاخطاء . وخصوصا فيما يتعلق بالمجموعات الصادرة في الأرض المحتلة . وكان لا بد من ذكر هذه المعلومات الجديدة ، رغبة في الدقة .

أ ـ التصحيحات :

١ ـ يذكر **عبد الرحمن حمادي** في مقال نشر له في صحيفة « **تشرين** » السورية (العدد ٩٦٣) ، تاريخ ٩ ـ ١١ ـ ٧٨ ، أن مجموعة **خليل بيدس** الاولى في القصة الفلسطينية صدرت عام ١٩٠٨ ، ثم صدرت في طبعة ثانية في القاهرة عام ١٩٢٠ . وكنت قد ذكرت أن المجموعة صدرت عام ١٩٢٤ في مصر ، استنادا الى دراسة **د . ناصر الدين الأسد** . واعتقد ان عام ١٩٢٤ ، هو وقت صدور المجموعة الحقيقي في طبعتها الاولى .

٢ ـ ذكرت ان مجموعتي (**محمود سيف الدين الايراني**) « مع الناس » و « ما اقل الثمن » صدرتا في بيروت ، والصحيح انهما صدرتا في عمان .

٣ ـ مجموعة (**امين فارس ملحس**) ، « أبو مصطفى » صدرت ، على الأغلب ، في اوائل الستينات .

٤ ـ مجموعة (**عبد الله البيتاوي**) التي لم اتمكن في السجل من معرفة اسمها ، **هي دعوة الحب .**

٥ ـ مجموعة (**محمود الخطيب**) عنوانها **نصف الرجل الميت** لا « **نصف الرجل الآخر** » ، كما ذكرنا ، كما انها صادرة عن دار مجلة شعر ، لا عن المكتبة العصرية ، كما ذكر ايضا .

٦ ـ مجموعة (**سميرة عزام**) « الظل الكبير » صدرت عن دار الشرق الجديد في بيروت ، لاكما ورد خطأ دار العلم للملايين ـ بيروت .

٧ ـ لا بد هنا ، ايضا ، من ذكر مجموعة من المجلات

التي كانت تصدر في فلسطين قبل الاحتلال ، والتي كانت تهتم بالقضية خصوصا . وهي **النفائس** لصاحبها ومحررها **خليل بيدس** . صدرت في أيلول تشرين الثاني عام ١٩٠٨ ، شهرية ، ثم أخذت تصدر اعتبارا من كانون الثاني ١٩٠٩ مرتين في الشهر ، في حيفا . تحت اسم **النفائس العصرية** ، وانتقلت عام ١٩١١ الى القدس .

الروايات الأهلية : ويحررها **بندلي الياس شحور** ، وهي مجلة قصصية شهرية ، تأسست في حزيران ١٩٢٤ في القدس .

فاشة – منير	**خلجات فلسطين**(٥)
كناعنه – مصلح	**البحث عن جواب مجهول من وحي الواقع**
ملحس – أمين فارس	
مواسي – فاروق	**استاذ قد الدنيا**(٦)

الناشر ومكان الطبع	عام الطبع
الأرض المحتلة	اوائل الخمسينات
دار الحقائق – بيروت	١٩٧٩
دار الاسوار – عكا	١٩٧٩
ـالأرض المحتلة	
دار الاسوار – عكا	١٩٧٨
دار ابن رشد – بيروت	١٩٧٩
دار القدس – بيروت	١٩٧٩
فنزويلا	١٩٧٩
الأرض المحتلة	
غزة	١٩٦٥
غزة	
غزة	١٩٧٥
عمان	١٩٥١
الأرض المحتلة	

ب – مجموعات لم ترد في الجدول السابق : *

القاص	المجموعة
أبو حنا – اكرم	**خبز الآخرين**
أبو رشاد – شاور	**أرض العسل**(١)
الأسطة – عادل	**تواقيع على الاتفاقية**
خوري – سليم	.......(٢)
درويش – زكي	**الرجل الذي قتل العالم**
شاهين – محمود أحمد	**نار البراءة**
	الخطار
عساف – نديم	**عايدة**(٣)
عناني – عمر	**بين الجد والهزل**(٤)
عناية – محمد جلال	**دم على الجدار**

جميل حتمل

هوامش

* المجوعات مرتبة حسب التسلسل الابجدي للأسم الثاني للمؤلف .
١) **أرض العسل** ، قصة طويلة للفتيان .
٢) لسليم خوري اكثر من مجموعة صدرت في الأرض المحتلة لم استطع معرفتها .
٣) **عايدة** ، قصة طويلة في كتابة .
٤) مجموعة تقع بين الخاطرة والقصة .
٥) مجموعة تقع بين الخاطرة والقصة .
٦) مجموعة تقع بين الخاطرة والقصة .

رسالة تصحيح وإضافة من الدكتور واصف أبو الشباب

أطلعت على السجل الاحصائي « البيبلوغرافيا » للقصة القصيرة الفلسطينية ، الذي أعده الكاتب **جميل حتمل** ، ونشر في (**الكاتب الفلسطيني** العدد ٩ تموز « يوليو » ١٩٧٩) ، فشعرت بالجهد المشكور الذي بذله في سبيل تحقيق هذا « الفهرس » ، ورأيت أن أضيف بعض المجموعات القصصية الى مجهود الكاتب ، مع إبداء بعض الملاحظات السريعة :

أولا : رواية معين حاطوم (**ونوت بسمة الله**) هي رواية وليست قصة .
ثانيا : مجموعة (وجه الظل العابس) مجموعة شعرية لمعين حاطوم ، وليست قصة .
ثالثا : كان من المستحسن إبعاد القصة المقتبسة ، وقصص الاطفال والأشبال ، والقصص المكتوبة باللهجة العامية . والقصص التي لم يتحقق الكاتب من صحة عنوانها أو مكان نشرها من « الفهرس » .

مرة أخرى أسجل إعجابي بالمجهود الذي بذله الكاتب ، وفيما يلي المجموعات القصصية التي لم يذكرها الكاتب في (سجله الاحصائي) :

١ – إميل خليل بيدس . **الجنباء** . بيروت ، مطبعة عز الدين ، ١٩٥٣ .
– إميل خليل بيدس . **حتى الثمالة** . بيروت المؤسسة الأهلية ، ١٩٥٨ .
– إميل خليل بيدس . **حلو ومر** . بيروت ، مطابع دار الكشاف ، ١٩٥٢ .
٢ – أحمد العناني . **حبة البرتقال** . القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ . (سلسلة كتاب اقرأ رقم ٢٣٤)
٣ – اكرم أبو حنا . **قوت الأنباء** . الناصرة ، مطبعة الناصرة ١٩٧٥
٤ – أحمد حسن الأسدي . **ضباب خلف عربة الموت** . الناصرة ، ١٩٦٤ .
٥ – توفيق معمر . **المتسلل وقصص اخرى** . الناصرة ، مطبعة الحكيم ، مجلة الرابطة ١٩٥٧ .
٦ – حليم بركات . **الصمت والمطر** . بيروت ، دار مجلة شعر ، د . ت .
٧ – حيدر حيدر . **الفيضان** . بيروت ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، د . ت .
٨ – زكي درويش . **شتاء الغربة وقصص اخرى** . أورشليم ، مجلة شرق ، ١٩٧٠ .
٩ – زياد شاهين . **سافر قمر الدار** . حيفا مطبعة عنقي ، ١٩٧٤ .
١٠ – سليم خوري . **قلوب بيضاء وقصص اخرى** . تل أبيب ، دار النشر العربي ، ١٩٦٩ .
– سليم خوري . **الوداع الأخير وقصص اخرى** . تل أبيب ، مطبعة نكمة ، ١٩٦١ .
– سليم خوري . **معلمون وتلاميذ** . الناصرة ، مطبعة الحكيم ، ١٩٦٢ .
– سليم خوري . **الملك الحكيم** . الناصرة مطبعة الحكيم ، ١٩٦٣ .
١١ – سامي الطيبي . **البنت والاولاد السبعة وقصص اخرى** . تل أبيب ، دار النشر العربي ، ١٩٧٥ .

١٢ ـ سمير نقاش . **الخطأ** . القدس ، مطبعة المعارف ، ١٩٧٢ .

١٣ ـ شوقي بغدادي . **حينا يبصق دما وقصص اخرى** . الناصرة ، مكتب فؤاد دنيال ، ١٩٦٥ .

١٤ ـ طه محمد القاضي . **ضحايا وقرابين** . بيروت ، دار الهلال للطباعة والنشر ، ١٩٥٤ .

١٥ ـ عوني مصطفى . **فتاة الرمال** . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦١ .

١٦ ـ عبد الكريم بلقيس . **خذ قلبي** . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠ .

١٧ ـ عرفات محمود حجازي . **لعوب رغم انفها** . القدس ، مطبعة دير السريان ، ١٩٥٥ .

١٨ ـ عرفان أبو حمد . **البئر المسحورة وقصص أخرى** . تل أبيب ، دار النشر العربي ١٩٦٩ .

١٩ ـ عبد الله عيشان . **عام الكركه** . القدس ، مجلة الشرق ، ١٩٧٤ .

٢٠ ـ غسان خليل صباغ . **ثقب في السماء** . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٩ .

٢١ ـ فهيم أبو ركن . **بحر النور** . الناصرة ، دار النهضة للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ .

٢٢ ـ فاضل السباعي . **ضيف من الشرق** . الناصرة ، مكتب فؤاد دنيال للطباعة ، ١٩٧٤ .

٢٣ ـ فرج نور سلمان . **ابرياء .. وجلادون** . عكا ، المطبعة التجارية ، ١٩٦٠ .

٢٤ ـ محمود العباسي . **في الهزيع الأخير** . القدس ، اصدار مجلة الشرق ، ١٩٧٣ .

٢٥ ـ ميشيل الحاج . **قبور للاحياء وقصص اخرى** . عمان ، دار الطباعة والنشر ، ١٩٥٥ .

ـ ميشيل الحاج . **المجنون يعشق الموت** . عمان ، دار الطباعة والنشر ، ١٩٥٥ .

٢٦ ـ ميشيل حداد . **أقاصيص من هنا وهناك** . الناصرة ، مطبعة الحكيم ، ١٩٥٧ .

٢٧ ـ مصطفى مرار . **التين والشيطان** . تل أبيب ، دار النشر العربي ، ١٩٧٥ .

ـ مصطفى مرار . **قلادة الافعى** . القدس ، مجلة الشرق ، ١٩٧٢ .

ـ مصطفى مرار . **ابني في الجامعة** . القدس ، مطبعة مجلة الشرق ، ١٩٧٢ .

ـ مصطفى مرار . **جنازة الشيطان** . القدس ، مطبعة مجلة الشرق ، ١٩٧٢ .

ـ مصطفى مرار . **حمارنا وبريطانيا** . القدس ، مطبعة مجلة الشرق ، ١٩٧٢ .

ـ مصطفى مرار . **دمع ورماد** . القدس ، مطبعة مجلة الشرق ، ١٩٧٢ .

مصطفى مرار . **الشارع الطويل** . القدس ، مطبعة مجلة الشرق ، ١٩٧٢ .

مصطفى مرار . **طريق الآلام وقصص أخرى** . القدس ، مطبعة الشرق ، ١٩٧٠ .

٢٨ ـ محمد صبحي أو غنيمة . **غنى الليل** . دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٢٢ .

٢٩ ـ نبيل شحادة الخوري . **ثلاثية فلسطين** . بيروت ، دار الشرق ، ١٩٧٤ .

ـ نبل شحادة الخوري . **كفر ..!!** . بيروت ، مطبعة عز الدين ، ١٩٥٢ .

نبيل شحادة الخوري . **ليلنا خمر** . بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٩ .

٣٠ ـ يوسف شرورو . **الحزن يموت أيضا** . بيروت ، دار الآداب م ، ١٩٥٧ .

٣١ ـ يحيى فاهوم . **الفلاحون في الأرض** . الناصرة ، مطبعة الحكيم ، ١٩٥٧ .

مصادر الفهرس

١ ـ صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣ ـ د . واصف ابو الشباب ـ دار الطليعة بيروت ١٩٧٩ (ملحق : فهرس للقصة والرواية) .

٢ ـ فهارس الادب العربي الحديث (الاقصوصة ـ والرواية) (١٨٧٠ ـ ١٩٦٢) جـ١ ـ ٢ ـ د . محمد يوسف نجم .

٣ ـ الكتب العربية التي صدرت في اسرائيل (١٩٤٨ ـ ١٩٧٧) ، لشموئيل موديه ـ مطبعة الشرق التعاونية ـ القدس ١٩٧٧ .

دار القدس

تقدم

اسم الكتاب	السعر ل.ل.
ـ الحكومة الاسلامية الامام الخميني	٨ ل.ل.
ـ رسائل بن غوريون (الى زوجته) ترجمة الملكة دينا عبد الحميد	١٥ ل.ل.
ـ الاستراتيجات العربية وردود الفعل الاسرائيلي يهوشافا هراكابي	٨ ل.ل.
ـ استراتيجية بومدين ترجمة د. خليل احمد خليل . د. فؤاد شاهين	١٢ ل.ل
ـ قضايا الجبهة الوطنية التقدمية في مصر عبد الصمد جاد المولى	٥ ل.ل.
ـ الخطار (قصص) محمود شاهين	٥ ل.ل
ـ علي ونينو قربان سعيد	١٢ ل.ل.
ـ المادية التاريخية والوعي القومي عند العرب فرحان صالح	٥ ل.ل.
ـ حول الجبهة الوطنية والعمل الشعبي في لبنان د. خليل احمد خليل . فرحان صالح	٨ ل.ل.
ـ سقوط ال التعريف (شعر) سعيد المحروق	٥ ل.ل.
ـ القضية (أفاق جديدة) محمود عباس (ابو مازن)	٨ ل.ل.
ـ قضية القدس د. خيرية قاسمية	١٢ ل.ل.
ـ العيون في العلم	٤ ل.ل.
اطلس الصراع العربي الصهيوني اعداد : مازن البندك	٦٠ ل.ل.

دار القدس ص.ب. ٢٤٨٩ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

فيدريكو غارسيا لوركا

شؤم الفراشة

ملهاة من فصلين ومقدمة

١٩١٩

ترجمة صالح علماني



الشخصيات :

دونيا صرصارة

الصرصارة الساحرة (العرافة)

الصرصارة سيليفيا

دونيا اورغويوس : والدة سيلفيا

فراشة

الصرصار نيني : ابن دونيا صرصارة .

العقرب قارض الصفصاف .

الدودة الاولى .

الدودة الثانية .

الدودة الثالثة .

الصرصارة القديسة .

الصرصارة الفلاحة الاولى .

الصرصارة الفلاحة الثانية .

صراصير آخرين .

صراصير حراس .

ايها السادة :

الملهاة التي ستستمعون ، ملهاة متواضعة ومقلقة ، ملهـــاة عن ذاك الذي يريد ان يخدش القمر فيخدش قلبه **الحب** ، ونفس ما يحدث من سخرية وفشل في حيـاة البشر ، يحدث في هذه المناسبة في مرج خفي تسكنه الحشرات ، حيث في زمن بعيد كانت الحياة وادعة هادئة ، والحشرات كانت سعيدة ، كل همها ان تشرب بأمان قطرات الندى ، وان تربي صغارهـــا على تقديس ورهبة آلهتهم · وكانت الحشرات تحب بعضها كعـادة ، ودون هموم · وكان الحب ينتقل بينها من الآباء الى الابناء كجوهرة قديمة ورائعة تلقاها الحشرة الاول من الله · وبنفس الهدوء واليقين الذي تسلم به حبات الطلع نفسها للريـاح كانت الحشرات تتمتع بالحب تحت الاعشاب الرطبة · ولكن في احد الايام ··· كانت هناك حشرة (ذكر) اراد ان يمضي في الحب بعيدا · فقد تعلق بأحلام بعيدة عن حياته ··· ربما قرأ ، بصعوبة كبيرة ، كتاب اشعار تركه مهجورا فوق الطحالب شاعر من اولئـك الشعراء القليلين الذين يذهبون الى الحقول ، وتسمم بأقوال كمثل : « اني احبك ايتهـا المرأة المستحيلة » · ولذا فاني ارجو من الجميع ان لا يتركوا كتب شعر في المروج ، لانهم سيسببون كثيرا من الاحزان للحشرات · ان القصيدة التي تتساءل لماذا تسير النجوم ، هي قصيدة مؤذية للارواح التي لم تتفتح ··· بلا جدوى ان اقول ان ذاك الحشرة (الذكر) العاشق قد مات · لان الموت يتستر في الحب · فكم من المرات رأينا ذاك الهيكل العظمي الرهيب حامل المنجل (ذو الذراع الطويلة) مرسوما في كتب الصلوات ، متخذا صـورة امرأة ليخدعنا ويفتح لنا ابواب ظلامه ! ويبدو ان الطفل كوبيدو ينام في احيان كثيرة في كهوف جمجمته الفارغة · وفي كم من الحكايا القديمة ، كانت زهرة ، او قبلة ، او نظـرة تقوم بالعمل الرهيب الذي يعمله الخنجر ! · جني عجوز من غابة هاربـــة من احد كتب شكسبير العظيم ، يمضي في المروج مسندا على عكازين جناحيه الذاويين ، قص عـلى الشاعر هذه القصة الخفية ، في ليلة من ليالي الخريف ، بعد ان ذهبت القطعان · والان يعيد الشاعر قصها عليكم مختلطة بحسراته الخاصة · ولكن قبل ان نبدأ ، اريد ان اوجه اليكم نفس الرجاء الذي وجهه الجني العجوز الى الشاعر في تلك الليلة الخريفية ، عندما كانت القطعان قد ذهبت · لماذا تسبب لكم الاشمئزاز بعض الحشرات النظيفة البراقـة التي تتحرك بظرافة بين الاعشاب ؟ ولماذا تشعرون ، انتم البشر الغارقون في الخطـايا والرذائل المستعصية ، بالقرف من الديدان الطيبة التي تسير هادئة في المروج وهي تتناول شمس الصباح الفاترة ؟ اي سبب يجعلكم تحتقرون صغائر **الطبيعة** ؟ · ولكن اعلموا انكم ان لم تحبوا بحرارة : الحجارة والديدان ، فانكم لن تدخلوا مملكة الرب · لقد قـال الجني العجوز ايضا للشاعر : « قريبا جدا سيأتي مجد مملكة الحيوان والنبات ، فالانسان ينسى خالقه ، بينما الحيوانات والنباتات تقترب من نوره ، اخبر البشر ايها الشاعر بأن الحب يلد بنفس الزخم في جميع مستويات (طبقات) الحياة ، وان نفس اللحن الذي تطلقه ورقة الشجرة المهتزة مع الريح تطلقه ايضا النجمة البعيدة ، وان نفس الكلمـــات التي يقولها النبع بين الظلال يكررها البحر بالنغمة ذاتها ، قل للانسان ان يكون متواضعا ، فكل شيء متساو في **الطبيعة** ! » · ولم يقل شيئا اخر ذاك الجني العجـوز ··· والان استمعوا الى الملهاة · ربما ستضحكون عندما تسمعون هذه الحشرات تتكلم كبشر صغار ، كبشر يافعين · واذا استخلصتم درسا عميقا منها ، فاذهبوا الى الغابة لتشكروا الجني العجوز ذو العكازين ، في ليلة هادئة ، بعد ان تكون القطعان قد ذهبت ·

الفصل الاول

المشهد الاول عبارة عن مرج اخضر متواضع ، يرقد تحت ظلال كثيفة لشجرة سرو عظيمة · ممر ضيق يرسم فوق العشب نوعا من الارابسيك الساذج · وهناك وراء المرج ، يوجد غدير صغير محاط بأزهار سوسن رائعة وبعض حجارة زرقاء ··· انها ساعة الفجر · والمرج بكامله مغطى بالندى · الى جانب الطريق تظهر جحور الحشرات كقريـة صغيرة فاتنة مؤلفة من مغاور · تخرج « دونيا صرصارة » من بيتها وهي تحمل باقة من الاعشاب على شكل مكنسة · انها صرصارة عجوز ، وقد فقدت احدى قوائمها (١) ·· فقدتها نتيجة ضربة من مكنسة تلقتها في بيت كانت تلجأ اليه عندما كانت شابة وبراقة · مطارق الفجر الهائلة صبغت بالاحمر صفحة الافق الباردة ·

المشـهد الاول

دونيا صرصارة ، والصرصارة الساحرة

دونيا صرصارة : (وهي تتطلع الى المرج)
صبـاح صـــاف وساكن !
يكسر عتمـة الفجر ·

الصرصارة الساحرة : (صرصارة مرصعة بالنجوم ، وعليها عباءة من طحالب جافة)
ليبارك الله ايتها الجارة الطيبة !

دونيا صرصارة : اين تمضين ايتها السيدة ، وقد غطاك الطل ؟

الصرصارة الساحرة : اني آتية بعد ان كنت احلم بأني زهرة ،
غارقة بين الاعشاب ·

دونيا صرصارة : وكيف تحلمين احلاما كهذه ؟

الصرصارة الساحرة : احلم بأن قطرات الندى العذبة
هي شفاه حب تقبلني ·
وتملأ النجوم بزتي القـاتمة ·

....

(١) يبدو ان الشاعر يلمح الى اغنية شعبية اسبانية يغنيها الاطفال ، وتقول كلماتها :

La cucaracha , la cucaracha	الصرصارة الصرصارة
Ya na puede caminar .	لم يعد بمقدورها ان تسير
Porque le falta , porque le falta	لانها فقدت ، لانها فقدت
La palita de atras	قائمتها الخلفية

دونيا صرصارة : (زاجرة)
انك تمضين مفكرة بالشعر ايتها السيدة ...

الصرصارة الساحرة : (بحزن)
آه يا دونيا صرصارة ، ماذا ستقولين ·

دونيا صرصارة : قد تصابين بذات الرئة ·
وتتفتت صحتك ،
عند ذلك سنحزن كثيرا ·

الصرصارة الساحرة : ان روحي حزينة جدا ، يا جارتي !
لقد قال لي احد الجعلان بالامس :
« ان جميع النجوم ستنطفىء »
ان الرب نائم ، وفي حقل السنديان
رأيت نجمة حمراء ترتجف بكاملها
وتتعرى من اوراقها كزهرة عملاقة ·
رأيتها تذوي
فشعرت بالليل
يسقط
في قلبي
وصرخت : « ايتها الزيزان الصديقة ، هل ترين النجمة ؟ »
فردت الزيزان قائلة : « ان حورية (١) قد ماتت »
ذهبت الى جانب جذع شجرة السنديان العتيقة
وهناك رأيت حورية الحقول والبحار ميتة ·

دونيا صرصارة : من قتلها ؟
الصرصارة الساحرة : لقد قتلها الحب ·
دونيا صرصارة : انظري كيف يذوي الضوء الاول ·
الصرصارة الساحرة : وابنكم الطبيب ، كيف احواله ؟
دونيا صرصارة : جيدة ·
الصرصارة الساحرة : بالامس رأيته حزينا ·
دونيا صرصارة : لقد لاحظت ذلك ايضا ،
انه عاشق ·
الصرصارة الساحرة : ربما يحب سيلفيا !
دونيا صرصارة : حسب ما يقول ، فهو يحب واحدة لن يحصل عليها ابدا ·

---

(١) الكلمة في الاصل Hada (جنيه) ولكني فضلت كلمة (حورية) لان ما اراده الشاعر هو الجنية الطيبة ، وكلمة حورية يعطي هذا المعنى اكثر من كلمة جنية ، التي تحمل احيانا معاني الشر في الاساطير العربية · (م)

الصرصارة الساحرة : سيصبح شاعرا ، وليس هذا بغريب ،
فوالده كان كذلك ·
دونيا صرصارة : خدعة عظيمة
تلك التي عشتها معه ·
الصرصارة الساحرة : لقد كان قلبا !
دونيا صرصارة : آي ! كان يضربني بالعصا على درعي (١) ·
الصرصارة الساحرة : ولكن عنبر غلاله كان دائما مليء ·
دونيا صرصارة : وهذا لا يمنع ان يكون طيبا
الصرصارة الساحرة : اخيرا !·· لنصمت ، لقد احببته كثيرا ·
وكيف حال ساقك العرجاء ؟
دونيا صرصارة : لقد شعرت في الليل
بذاك الالم السافل الذي يتولاني ·
الصرصارة الساحرة : ضعي عليها اوراق المرغريت ،
واستحمي بالندى ، ولا تسيري عليها ·
وخذي هذه (البودرة) المقدسة ، المصنوعة من مسحوق جماجم النمل ،
وامضغيها في الليل ·
دونيا صرصارة : صديقتي !
ليكافئك ربنا الصرصار العظيم بالحب ،
ولتتحولي في احلامك الى زهرة ·
(ومداعبة)
دعي جانبا الاحزان والحسرات
فالحياة لطيفة ، وايامها قليلة ،
وعلينا ان نتمتع بها فقط الآن ·
الصرصارة الساحرة : (كحالمة)
جميع النجوم ستنطفىء !
دونيا صرصارة : لا تفكري بهذا يا جارتي الدكتورة ،
وتطلعي الى السعادة التي يحملها لنا الفجر ·
الصرصارة الساحرة : آه ، مما رأيت الى جانب غابة السنديان !
دونيا صرصارة : لا تفكري بهذا ، واذهبي لتنامي ...
الصرصارة الساحرة : (تعود الى الواقع بنقلة مفاجئة)
المرج هادىء
والندى انطلق الى سمائه المجهولة ،
وحفيف الريح
يصل الينا معطرا ·

---

(١) درعي : تعني القشرة السوداء الغليظة التي تغطي ظهر الصراصير · (م)

دونيا صرصارة : وانت ايضا صرت شاعرة ايتها الجارة الدكتورة ؟
اما نحن ، المسكينات ،
فاننـا نكتفي بمطبخنـا ·

الصرصارة الساحرة : لا تكوني عامية ·

دونيا صرصارة : (مستاءة قليلا)
اني وجميع بنات جنسي نعرف كيف نغني
وكيف نمتص الازهار ·
ماذا تظنين اذن !

الصرصارة الساحرة : محق زوجك عندما كان يضربك ·
فالمطبخ والشعر يمكن الجمع بينهما ·
الى اللقاء يا صديقتي ، اني ذاهبة لاستريح ·
(تذهب) ·

دونيا صرصارة : ليقود النور خطاك ·
اما انا فاني سأكنس امام باب بيتي ،
مع نسمات الفجر ·
تبدأ الكنس وهي تغني)
ذكر دود صارحني
مساء امس بحبه
ولكني لن احبه حتى ينمو له
جناحان واربعة قوائم ·

المشهد الثاني

دونيا صرصارة ، والصرصارة سيلفيا ·

من الجانب اليساري للمسرح تصل الصرصارة سيلفيا ، متكبرة ومبكرة · ان سيلفيا ، بين بنات جنسها من الحشرات الكريهة ، تبدو رائعة الجمال ، تلمع مثل الكهرمان الاسود ، وقوائمها رشيقة وناعمة · انها ابنة دونيا اورغويوس · عمرها سنة · وهي اكبر ثرية في القرية · تحمل زهرة مرغريت صغيرة جدا وتستعملها كشمسية ، وتلعب بها بطريقة ظريفة · وتضرب بشكل لذيذ بديع على صدفة (Tresita)

دونيا صرصارة : مبكرة تأتين ·
ايتها الطفلة الجميلة الرائعة ·

الصرصارة سيلفيا : اتسمينني طفلة ؟
وقد تركت المدرسه منذ زمن بعيد ·

دونيا صرصارة : ايزعجك ان اناديك طفلة ؟
اذن سأناديك بالصبية
او بالصبية الصغيرة ·

الصرصارة سيلفيا : (بدلال)
ليس هذا ما عنيت

دونيا صرصارة : ما حدث لك اذن ؟

الصرصارة سيلفيا : احزان !
اني اقاسي احزانا
دون ان ينتبه لي احد ·

دونيا صرصارة : صغيرة جدا ، وحزينة جدا ·
حسنا ، فكيف ستكون اذن تلك العجوز
صاحبة السحر !
انت ما زلت جديدة بعد
ولا شيء من هذه الدنيا ينقصك

الصرصارة سيلفيا : (بسذاجة)
اني لم ار سوى هذه الارض ·

دونيا صرصارة : (ساهمة)
هل قالت لك الدكتورة
ان النجوم ستنطفىء ·
لان حورية قد ماتت ،
او لست ادري ماذا ··· تلك الامور التي ترويها ؟

الصرصارة سيلفيا : لم تقل لي شيئا ·

دونيا الصرصارة : اذن ·
لماذا يضنيك الحزن ·
ويجعلك تذوين ؟
·· مما تقاسين ؟

الصرصارة سيلفيا : آه ايتها الجدة !
الم يكن لك قلب
عندما كنت شابة ؟ اني اقول لك
باني بكاملي قلب ···

دونيا صرصارة : (وقد احتدمت بالغضب)
جميعكن هنا شاعرات ·
وبينما تفكرن بهذه الامور
تنسين اعمالكن ،
وتبقى بيوتكن قذرة ·
لستن سوى مجموعة من الفاحشات
تنمن خارج بيوتكن ،
والله يعلم مع من ·

الصرصارة سيلفيا : كم من الصبر
يلزمني لاسمعك ·
انك تشتمينني ·

دونيا صرصارة : ليس الامر اني اريد ان اشتمك ·
ايتها الطفلة سيلفيا ·
ولكن ، يحز في نفسي كثيرا
ان اراك حزينة مكدرة
هكذا بلا سبب

الصرصارة سيلفيا : لاحزاني
يوجد سبب وجيه ·

دونيا صرصارة : (بحنان)
ايمكنني ان اخفف من آلامك يا طفلتي ؟

الصرصارة سيلفيا : ان احزاني عميقة
مثل تلك البحيرة
(ثم بمرارة)
اين اجد الماء
الساكن والبارد
الذي يطفيء
ظمأي المضطرب ؟

دونيا صرصارة : (مفزعة)
سيلفيا اهدئي من فضلك
كوني عاقلة وجدية ·

الصرصارة سيلفيا : (وهي تفلت زهرة المرغريت وتتركها تسقط على الارض)
لماذا يا طريق
المرج
سأذهب الى عالم آخر
حيث يحبونني ؟

دونيا صرصارة : (بحزم)
ان هذا مستحيل يا سليفيا
ستصابين بالجنون ·

الصرصارة سيلفيا : امامي وقت طويل
للبكاء ·
سأدفن نفسي في الرمال
وانتظر عاشقا طيبا ·
لينتزعني بحبه ·

دونيا صرصارة : انك جد عاشقة ، لقد عرفت الان ·
ولكن في ايامي ،
لم نكن نحن الشابات
نطلب العريس بملء فمنا ،
مثلما تفعلين انت ·
كان الحياء ما يزال منتشرا
اكثر مما هو في هذه الازمان : يحكي ·
عن صرصارة قديسة
انها استمرت طوال حياتها عذراء ·
وقد عاشت ست سنوات · اما انا
فعمري شهرين ، وقد اصبحت عجوزا ·
كل هذا لاني تزوجت ·· آه ··!

(دموعها تنهمر)

الصرصارة سيلفيا : (برومنطيقية بالغة)
يا حبي ، من يعرفونك !
يقولون انك عذب ، واسود ،
جناحاك الصغيران اسوادان
وسوداء ايضا قشرتك ·
مثل ليل بلا نجوم
وعيناك من زمرد ،
وقوائمك من بنفسج ·

دونيا صرصارة : انك مجنونة اكثر من جعل
عرفته هناك ، في جحره ،
وكان يتخيل أنه
ساحر عظيم ، وعراف ·
لقد كان مسكينا وبائسا ،
اعطاني مرة وصفة
للشفاء من الحب ·

الصرصارة سيلفيا : (برجاء)
وماذا تقول هذه الوصفة ؟

دونيا صرصارة : تقول ! :
اضرب العشاق ضربتين
بالعصا على رؤوسهم
ولا تدعهم ابدا
ينبطحون فوق الاعشاب ·

الصرصارة سيلفيا : اتسخرين مني يا سيدتي !

دونيا صرصارة : سيلفيا ! ومن الذي لن يسخر
وهو يرى شابة جميلة
تقترف كل هذه الحماقات ؟

الصرصارة سيلفيا : (جانبا)
انهـا تجهـل ، ان ابنهـا
هو من احب ٠

دونيا صرصارة : ايتها الحذرة
انك بلا شك تتحدثين
عن سبب آلامك ٠
واين هو حبيبك ؟
اهو بعيد جدا ؟

الصرصارة سيلفيا : بل انه قريب قريب
حتى ان الهواء يحمل لي رائحته

دونيا صرصارة : هو شاب من القرية !
٠٠ لقد احسنت اخفاءه ٠
وهو ، هل يحبـك ؟

الصرصارة سيلفيا : بل ينفر مني ٠

دونيا صرصارة : امر غريب ، فانت ثرية !
في زمــاني ٠٠٠

الصرصارة سيلفيا : الاميرة ألتي ينتظرها
لن تأتي ابدا ٠

دونيا صرصارة : وكيف هو ؟

الصرصارة سيلفيا : لذتي هو
جسده صغير ، وعيناه
حالمتــان كشــاعر
وله خــال اصفر
على قائمتـه اليمنى
واصفر ايضا لون قمـة
قرنيه الالهيين ٠

دونيا صرصارة : ابتعدي !٠٠ انه ابني

الصرصارة سيلفيا : اني احبه بجنون

دونيا صرصارة : (وكأنها تحلم)
هي غنية ٠ يالها من خرقاء
هذه المخلوقة الغريبة !
سأجعله يحبها بالقوة

(ثم مشفقة ، ومتكلفة ما لا تشعر به)
آه ، كم تقاسين !
(وجانبـا)
ان لها مداخيل عظيمة !
ايتها المسكينة من لحمي
يا دم عروقي
ستتزوجين من ابني ٠

الصرصارة سيلفيا : (باستحياء)
لقد حزرته ٠

دونيا صرصارة : (تحتضنها بحنان)
فكـري
ان عمري ايام كثيرة
ولا بد ان احزر سبب حزنك

الصرصارة سيلفيا : آه ، كم انا محظوظة ٠٠ بالسعادتي !

دونيا صرصارة : (تدللها بمبالغة)
امسحي هذا الوجه الرقيق
وكفكفي دموعك ٠
سأنادي ابني
ليراك

الصرصارة سيلفيا : سأكون ملكة هذا المرج الاخضر ،
فلدي الحب والثروة ٠

المشهد الثــالث

الصرصار نيني ، ودونيا صرصارة ، وسيلفيا

الصرصار نيني ، وهو شاب شهم ، ومزين ، نمييزه يعتمد على تلون طرفي قرنيـه وقائمته اليمنى بذرات الطلــع لزهرة سوسن ٠ انه شاعر وملهم ، تلقى تعليمه على يد الصرصارة الساحرة ، وهو من تلاميذها ٠ انه ينتظر سرا كبيرا ، يتقرر به مصير حياته ٠٠٠ يحمل في احدى قوائمه ـ يديه ـ قطعة صغيرة من قشر شجرة ، كان يكتب عليهـا قصيدة ٠٠٠ تأتي دونيا صرصارة الى جانبه لتمتدح حظ سيلفيا ، بينماهذه منهمكة بتحريك زهرة المرغريت من جانب الى اخر ، وهي تغطي وجهها باحدى قوائمها ، وتتنهد مفتونة ٠ حرارة الشمس اصبحت حارقة ٠

الصرصار : (جانبا)
لن اتزوج يا اماه
لقد قلت لك هذا الف مرة ٠
لا اريد الزواج ٠

دونيا صرصارة : (باكيــة)
ان ما ترغب به انت
هو تعذيبي

الصرصار : ولكني لا احبها يا اماه ·

دونيا الصرصارة : ان هذا ليس مهما ···

الصرصار : دون حب لن اتزوج ·

دونيا الصرصارة : هي تمتلك قطعة زجاج رائعة
وجدها في احدى الليالي
جــدهــا ·
قطعة زجاج شديدة الزرقة ،
وقد اعتقد (جدها)
انها قطعة من السماء ·
ولها كذلك بيت واسع ،
وعنبر غلال طافح بالحبوب ·
انظر ، انها دلوعة !
غازلها أيها العاقل ·
قل لها أنك تحب
وجهها الذي يشبه النجوم ؛
وانك تمضي الساعات
مفكرا بها فقط ·
يجب ان تتزوج !
(بصوت عال)
افعل ذلك من أجلي ·
أنا ذاهبة لأعد الطعام
ابقيا هنا معا ·
(تذهــب)

المشهــد الرابــع

سيلفيا ، والصرصار نيني ·

سيلفيا تحتمي من الشمس بزهرة مرغريت ، وتتنهد بلوعة · الصرصار يجلس على حجر أبيض ، ويحرك قرنيه ببطء ·

الصرصار : (يقرأ من قطعة قشرة الشجرة التي يحملها بقائمته ـ يده)
آه ، أيتها البرقوقة الحمراء التي ترين كل المرج ،
بمثل روعتك أتمنى أن أكون !

ترسمين على صفحة السماء بزتك الحمراء
وتبكين ندى الفجر ·
انك النجمة التي تضيء القرية ،
انك شمس الدوده النشيطة المبكرة ·
لتفقد عيناي البصر قبل رؤيتك
وقد ذوت أوراقك وتعكر لونك ·
لو اني نملة لاستطعت التسلق عليك ورؤيتك
دون ان اهشم قوامك الرشيق !
أريد أن تكوني دائما الى جانبي
لاقدم لك قبلاتي الممزوجة برحيق أيار ·
ان لقبلاتي تلك العذوبة الفاترة
الآتية من النار التي يعيشها هواي الرقيق ؛
وحتى عندما يحملونني الى لحدي
سيبقى يخفق من أجلك هذا القلب ···

الصرصارة سيلفيا : (جانبا ، وهي كحالمة)
يا لها من قصيدة غزل مؤثرة
هــذه التي يغنيهــا ·
(تلتفت الى الصرصار)
صباح الخير ، كيف حالك ؟

الصرصار : حسن ، وانت ؟

الصرصارة سيلفيا : أنــا
اني أبحث عن شيء دونما توقف ·

الصرصار : شيء ؟

الصرصارة سيلفيا : الحــب ·

الصرصار : من الصعب العثور عليه ·

الصرصارة سيلفيا : ان قلبي يبحث عــن القبلات ·

الصرصار : ستحصلين عليها ·

الصرصارة سيلفيا : لا أعتقد ·
متى ستتــزوج ؟

الصرصار : ان آمــالي
معلقة بالنجمــة
التي تبدو كزهرة ·

الصرصارة سيلفيا : أليس من السهل هكذا أن تجف
بشعاع من الشمس ؟

الصرصار : لدي الماء الزلال
لأطفىء لهيب اشواقي ·

الصرصاره سيلفيا : واين هي نجمتك ؟

الصرصار : في مخيلتي ·

الصرصارة سيلفيا : (بحزن)
ستراهـا يـومـا مـا ·

الصرصار : سأكون مغنيها ،
سأقول لها قصائـد غــزل
من الريح العذبة الى الموسيقى ·

الصرصارة سيلفيا : أتذكر ذاك المساء
عندما كنا معا على طريق الزهور
وقلت لي : « أحبـك » ؟

الصرصار : لقد مضى ذلك ·
اليوم لا احبك يـا سيلفيـا ·

الصرصارة سيلفيا : (باكيــة)
أعـرف ذلك ·

الصرصار : مـــن فضلك ···
أرجوك أن لا تبكي ·

الصرصارة سيلفيا : قلبي يؤلمني ·
آه علي ، فهو لا يحبني ·

الصرصار : (يقترب لمواساتها)
لا تبك ·· أستحلفك الله !

(وبينما هما ملتصقان ببعضهما تمر على الطريق خنفستان طفلتان هـائجتـان ·
احداهما تحمل ذبابة مربوطة بقشة جافة من العشب) ·

الخنفستان : (تصرخان)
العريس والعروسة
ايو ، أيو ، آه ···

الصرصارة سيلفيا : ليته صحيحا
مـا يقوله هذا الصوت ·

الصرصار : لا تبك ايتها الطفلة سيلفيا !

الصرصارة سيلفيا : ان قلبي يؤلمني ·

الخنفستان : (وهما ذاهبتان)
العريس والعروســـة
ايــو ، ايــو ، آه !

الصرصارة سيلفيا : آه ، يالي مـن تعيسة !

الصرصار : يا له من موقف حزين ·

المشهد الخامس

العقرب قارض الصفصاف ، والصرصــار النيني ، ودونيا صرصارة ·
ثم فيما بعد دونيا أورغويوس ·

الصرصار يبتعد على عجل عن الصرصارة سيلفيــا عندما يرى العقــرب قــارض الصفصاف يقترب · العقرب ، وهو حطاب عجوز يعيش في الغابة ، ينزل بكثرة الى القرية ليسكر · انه شره ، غير اجتماعي ، يتكلم بصوت أجش ·

الصرصار : امسحي دموعك ·

الصرصارة سيلفيا : اني ذاهبة ·

العقرب : (يقترب مخمورا ، وهو يترنح ويغني)
ان اوراق المستراتو
لذيذ اكلها
تاتارا ، تاتارا ، تاتارا
(يحك رأسه بفكيه الرهيبين) ·
توجد مواشي في رأسي ·
(يغني)
تاتارا ، تاتارا ، تاتارا ·
(متوجها الى الصرصار)
سلام عليك ايها الصغير ·
(والى سيلفيا ، وهو يحرك فكيه بطريقة مضحكة)
آه ، يا صاحبة السمو !
لينعم القديس صرصار عليك بالسلام !
(الآخران يبدو عليهما الضيق الشديد)
ربما ازعجكما ، ايها السادة ،
في هذا المرج المزهر ؟
هل تتحدثان في امور الحب ،
وتحاولان رسم عشكما ؟
اذا كنت ازعجكما ، فاني سأذهب ،
يغمز بخبث ، ويخمش بطن الصرصار بأحد فكيه)
كي تستطيعا تبادل القبلات ·

الصرصار : (غاضبا)
تستطيع ان تبقى .

العقرب : وسأبقى .

الصرصارة سيلفيا : يا لها من وقاحة .

العقرب : انعمـا .
بالحب في الربيع .
انت شاعر
ولا بد انك لاحظت جمال الزرع .

الصرصار : (بغيظ)
اصمت .

العقرب : ولكني لم انبس ...!
ان احدكم لا يعرف حتى كيف يتكلم !
اما انا فقد تربيت في عائلة محترمة ،
داخل شجرة زيتون .

الصرصارة سيلفيا : (حزينة جدا)
آه .

العقرب : ما جرى لك ، ايتها السوداء الجميلة ؟

الصرصارة سيلفيا : لا شيء .

العقرب : لا شيء ؟ انك ظريفة !
هل تزعجك حماتك ؟

الصرصارة سيلفيا : وقـح !

العقرب : (بجديـة)
ان للظرافة الطوعية
عواقبها ايضا .
فأنا لي فلسفتي الخاصة ،
والمصادفات الجميلة كثيرة في حياتي .
هل هذا لانني اسكر ؟.. حسنا ،
ألا يسكر جميع الناس ؟
ولكني عجوز بريء .

الصرصار : (جانبا)
وغـد .

الصرصارة سيلفيا : شره .

العقرب : ومن لا يعترف بعيوبه ؟
حقا اني احب الطعام كثيرا ،
ولكني شخص طيب .

الصرصار : اخرس ، وامض الى غابتك

الصرصارة سيلفيا : هيا ايها الاخ ، دعنا .

العقرب : (ثابتا في مكانه ، وهو يتلمظ)
الأن لتوي انتهيت من اكل دودة
لقد كانت لذيذة ، طرية وحلوة .. يالها من شهية !
الى جانبها كان ابنها ، طفل صغير ،
(سيلفيا والصرصار يرتعبان)
ولم اشأ ان آكله ، فقد اثار اشمئزازي .

الصرصارة سيلفيا : آه ، انقذنا يا قديس الصراصير

الصرصار : لماذا تسببت بعمل شرير ؟

العقرب : (متحمسا ، دون ان يسمع ما قالاه)
ولم آكل الصغير لانه ما زال يرضع ،
وانا احب الديدان الكبيرة ، ذات الطعم الشهي !

الصرصار : يالك من مجرم !
الا تدري ايها اللئيم بأنك قد حطمت اسرة ،
عندما قتلت الدودة لتأكل .

العقرب : اذا شئت فاني سأضرب صدري بضع ضربات .
وهكذا سيغفر لي اله الصراصير .

الصرصار : القتل خطيئة كبرى
وهو لا يغفرها .

الصرصارة سيلفيا : آه لتلك الدودة الصغيرة التي فقدت امها !

العقرب : (متهكما)
يا للشعـراء !
لو تدرون مدى حلاوة جلدها .

الصرصار : انك تثير غيظي .

الصرصارة سيلفيا : (بصرامة)
يا للسافل !

العقرب : (متلمظا)
احفظا لسانيكما ساكنين ،
فانكما صالحان للاكل كليكما ·

الصرصارة سيلفيا : (تركض لتلتجىء الى بيت دونيا صرصارة)
كم هو مرعب ·

الصرصار : (مرتعدا يختبىء وراء الحجر الذي كان يجلس عليه)
ايها العقرب !

العقرب : اني آكل لحمك وابقى
مطمئنا كما انا ·
ولكن لا تخف
فأنا احترم
اصدقائي القدماء ·
(تخرج دونيا صرصارة من مغارتها ، وتأتي وهي تعرج ، متقدة بالغضب ومعها سيلفيا تبكي مرتعدة)

دونيا صرصارة : (تصرخ)
ايها الوغد الكبير
ايها السكير الفظ ،
اي رعب سببت لهما !

العقرب : (يضحك كضحكة ارنب)
مجرد مزاح ايتها السيدة ·

دونيا صرصارة : (متجهة الى الصرصار)·
آه ، كيف صارت حالك يا بني !
يا له من وغد !
مسكينة يا سيلفيا !

العقرب : (جانبا)
اني مستعد لاكل قوائمك
بكل شهيـة ·

دونيا صرصارة : ايها اللئيم !

العقرب : اني احترم شيبتك
ايتهـا السيدة ···
(متجها الى الصرصار) ·
لا ترتعب ايها الصرصار الصغير ·

الصرصار : (مرتاباً)
لست خائفا ·

دونيا صرصارة : (غاضبة ، جانبا مع سيلفيا)
مستحيل !

الصرصارة سيلفيا : اقول لك واعيد : انه لا يحبني ·
لقد قال لي انه يحب
زهـرة ·

دونيا صرصارة : الاحمق !···
ولكني سأجعله يحبك ·

العقرب : (وقد دارت الخمرة برأسه اكثر ، يتجه الى الصرصار)
احدى قوائمها كانت مكسورة
وانا اكلتهـا ···
لقد كانت عنكبوتة رائعة ·
(يضحـك مقهقهـا)
لقد كانت لذيذة !···
(الصرصار الذي لا تصل قشرته الى جسمه · يتحدث بصوت مرتجف بسبب الخوف الرهيب الذي يشعر به من امكانية ان يلتهمه ذاك المفترس)

الصرصار : كيف حصلت على البراعة
للامساك بها ؟

العقرب : (يلقي بنفسه فوق الصرصار)
هكـذا ·

الصرصار : (صارخا)
آه ، يا اماه · انه يقتلني !
(يتخلص من العقرب ويهرب الى امه)

دونيا صرصارة : اذهب من هنا ، ايها اللص اللئيم ·

العقرب : (مترنحا)
لا تكوني رعديدة !
(خـلال المشهد تظهر الخنفسة الطفلة ، التي مرت من قبل وهي تحمـل الذبابة المربوطة · العقرب يلمحها ، فيأتي الى جانبها ، ويختطف منها الذبابة ويبتلعها)

الخنفسة الصغيرة : (تبكي وهي تصرخ)
آه ، ذبابتي ·
ذبـابتي ·

العقرب : آه ، ان طعمها لذيذ !

الصرصارة سيلفيا : (تحتضن دونيا صرصارة)
النجدة ، سيأكلنا !

العقرب : (بصوت اجش ليخيفهم)
سألتهمكم !

الخنفسة الطفلة : (تهرب مفزعة)
يا اماه ، اني خائفة ·
(تسمع من خارج المسرح جلبة واصوات وصرخات مشفقة)

الصرصارة سيلفيا : ما هذا ؟

دونيا صرصارة : ماذا يحدث ؟

(تدخل المسرح مجموعة من الصراصير الفلاحة ، تحمل بين يديها فراشة بيضاء وقد تهشم احد جناحيها ، وهي في حالة اغماء · بعض الصراصير تحمل الفؤوس على اكتافها ، وبعضها يحمل المناجل · معهم تأتي الصرصارة الساحرة · · جميعهم يقتربون من العقرب قارض الصفصاف ، الذي يظل منبطحا على الارض ، وقد بلغ قمة سكره) ·

الصرصارة الساحرة : يا للفراشة المسكينة ·

صرصارة فلاحة : ستموت ·

الصرصارة الساحرة : بها قليل من الحياة ·
ولكن ، يمكن انقاذها ·

صرصارة فلاحة : لقد سقطت من الاعالي الرهيبة لشجرة سرو ·
لقد تحطم احد جناحيها ·

الصرصارة الساحرة : ياللظل الحالم المسكين ،
انك تعرفين اسرار الماء والازهار !
يا لبؤسي ان اراك تموتين في هذا الفجر ·
ويبكيك الانبياء ·· البلابل البديعة ·

صرصارة فلاحة : لقد تولتني الشفقة عندما رأيتها مسجاة على الطريق ·

الصرصرة الساحرة : كم محظوظات نحن الكريهات الحزينات !
لاننا نداعب جناحيك الحريريين البيضاوين ،
ونستنشق شذى بذتك التي ترتدين ·
(دونيا صرصارة تحضر من بيتها بعض الاعشاب الطويلة الرفيعة ، وبهذه الاعشاب تقوم الصرصارة الساحرة بتنظيف جراح الفراشة)
ايتها النجمة التي سقطت من فوق سروة ناعسة ،
اي فجر مر رأت عيناك وانت تسقطين ؟

الصرصار : آه ، اي حزن عميق احس في روحي !

الصرصارة سيلفيا : (تبكي وهي متجهة الى امها دونيا اورغويوس التي اتت مستعجلة)
انه لا يحبني يا اماه ·

دونيا اورغويوس : (بجفاء)
ومـاذا افعل له ···!

الصرصارة سيلفيا : انه يحب نجمة ·

دونيا اورغويوس : ماذا يظن نفسه !
فهي جميلة وهو قبيح !
(تذهب ، وهي تدير رأسها باستفزاز)

صراصير : انظروا انها تتنفس !

صراصير : انها تفتح عينيها ·

الفراشة : (بصوت خافت ، وكأنها في حلم)
اريـــد
ان اطير ، اريد ان اطير ·· الخيط طويل !

الصرصارة الساحرة : (لدونيا صرصارة)
لنحملها الى بيتك ·
انهـا تخـرج من غيبوبتها ·

الفراشة : الخيط يصل الى الشمس
حيث يوجد كنزي ،
جناحاي مـن فضة ،
وقلبي من ذهب ،
والخيط يحـــلم
بذبذباته الرنانة ···

الصرصارة الساحرة : احملوها برفق ·
ولا تسببوا لها الما ·
(الصراصير تحمل الفراشة الى بيت دونيا صرصارة · الساحرة متوجهـــة الى دونيا صرصارة)
قدمي لها رحيق الندى ،
وضعي لها منديلا فاترا
مع مرهم من حشيشة القريص
وحبيبات طلع من ازهار السوسن ·

دونيا صرصارة : وهل سيشفيها هذا ايتها الدكتورة ؟

الصرصارة الساحرة : سريعا ستتحسن ·
واصف لها ايضا حمامات قمرية ، وقيلولات
في ظل ايكة الازهار العتيقة
هيا بنا ندخل لنراها · انها رائعة الجمال !

دونيا صرصارة : اجل ، رائعة الجمال !

المشهد السادس

الصرصار نيني ، والعقرب قارض الصفصاف ، والصرصارة الساحرة

الصرصار : (موجها الحديث الى برقوقته)
ايتها البرقوقة · لقد رأيت نجمتي السحرية ·

العقرب : (مستلقيا في المرج ، وكأنه في ذروة تشوشه)
لقد اكلت تسع ذبابات ،
وضب ، ونحلة ،
بل خلية نحل بكاملها ·

الصرصار : ان قلبي يشكو
من حب بدأ يشعر به !

الصرصارة الساحرة : (تخرج من المغارة الصغيرة ، وتقترب من الصرصار وعليها ملامح الجد · وتضع يدها على كتفه)
ايها الصرصار الصغير ، ان مصيرك
معلق بجناحي هذه الفراشة العظيمة ·
لا تنظر اليها بشوق ، لانك ستضيع ·
هذا ما تقوله لك صديقتك العجوز الهرمة ·
(تقوم برسم دائرة على الارض بواسطة عصا)
ان هذه الدائرة السحرية تقول بوضوح :
انك اذا احببتها ، آه عليك ، فانك ستموت ·
وسيسقط الليل كله فوق جبهتها المسكينة ·
الليل القائم بلا نجوم · لانك انت ستضيع
فكر بهذا حتى المساء ·
(تذهب)

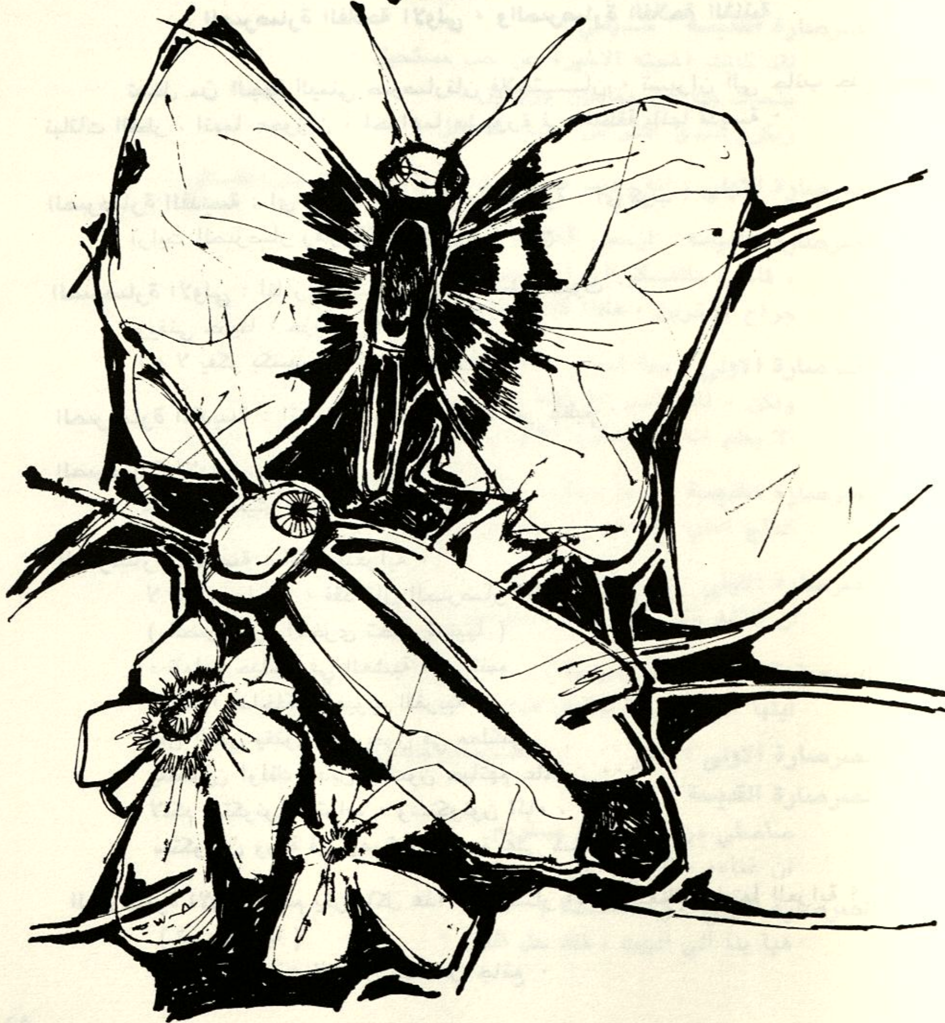
الصرصار : (ينشد بلهجة دون جوانية)
ما الذي يحدث في رأسي ؟
اية شباك حب اوقعتني بها الريح ؟
لماذا ذوت هكذا وردة صفائي ،
بينما وردة اخرى تلد في مخيلتي ؟
من هي التي ستأتي لتسرق سعادتي
ذات الاجنحة المرتعشة ، البيضاء مثل ···؟
ساصبح حزينا على الليل القاتم
وانادي امي كما عندما كنت طفلا ·
آه ، ايتها البرقوقة الحمراء التي ترى المرج كله !
بمثل جمالك اريد ان اكون

هدئي احزان هذا العاشق
الذي يبكي ندى الصباح ·
(يجلس على حجر ويبكي وهو يضع رأسه بين راحتيه · العقرب قارض الصفصاف ينهض بصعوبة ، وهو يترنح ، يأخذ بالغناء بصوت أجش)

العقرب : ان اوراق المستراتنا
لذيذ اكلهـــا
تاتارا ، تاتارا ، تاتارا

(يغمر المسرح بالضـوء)

ســــتار



الفصــل الثـاني

حديقة · في عمق المسرح هنالك شلالات كبيرة من اللبلاب ، والارض بأسرها مزروعة بأزهار مرغريت عملاقة ، انها حديقة ازهار حقيقية · الى يسار المسرح ، في الخلف ، يلمع ماء نبع تغطيه الايكة ··· جميع الازهار مصبوغة بلون الشفق الخفيف المكتمل ·

المشهد الاول

الصرصارة الفلاحة الاولى ، والصرصارة الفلاحة الثانية

تدخل من الجهة اليمنى صرصارتان فلاحتـــــان ، تسيران الى جانب جذع بعض نباتات الفطر ، انهما عجوزان ، احداهما مشهورة في المنطقة بأنها قديسة ·

الصرصارة القديسة : اي كرب اعاني ، ايتها العرابة ، اي كرب !
أرايت الصرصار وهو يلقي الشعر في المرج ؟

الصرصارة الاولى : انا رايته يتأرجح على خيط عنكبوت ·
ويغني حزينا ، حزينا · انه يحلم ·
انه لا يفكر بكسب لقمة عيشه بشرف ·

الصرصارة القديسة : انه طيب ورقيق ·· شاعر عظيم ·

الصرصارة الاولى : بل هو كسول ·
فلا احد يعيش على خيط عنكبوت ·

الصرصارة القديسة : ايتها العرابة ،
لا تنتقدي احدا ، فقد قال الصرصار الاكبر المعظم :
(الصرصارة الاخرى تحني قرنيها)
« تأملوا حياتكم في العشبة التي تنمو
وقاسوا بداخلكم العيوب الغريبة
فان الذين يغنون ويمرحون في مملكتي
يفضلون اولئك الذين يقضون حياتهم عاملين ···
لانكم ستكونون التراب ، وستكونون الماء ،
ستكونون ورقة في زهرة او قشرة على شجرة » ·

الصرصارة الاولى : ألم يكن يأكل هذا الصرصار الاكبر المعظم ، ايتها العرابة ؟
(ثم بسخرية)
اذن قولي هذه الاقوال لشخص جائع ·

الصرصارة القديسة : اصمتي !
ان الجوع شيطان قرونه من نار
يجب الابتعاد عنه ···

الصرصارة الاولى : وذلك يكون بالاكل ، اليس كذلك ؟

الصرصارة القديسة : بل بالصلوات ·

الصرصارة الاولى : دعيني بسلام ، ايتها العرابة · فأنت قديسة كبيرة وتعرفين كثيرا ،
ولكن الصرصار الكبير المقدس لم يتكلم عن هذه الحياة ···
فالصرصار نيني اذا لم يعمل وطبق الوصايا ،
فانه سيموت جوعا ، رغم ذكائه وجماله ·
لو كنت امه ، لامسكت به و ···!

الصرصارة القديسة : صديقتي ،
لقد كانت اغنيته الاخيرة عن حب مستحيل ·
يتحدث بها عن جناحين جريحين ،
ويكرم الندى اكثر من لحمة السنابل ·

الصرصارة الاولى : انه رهيب هذا الوباء الذي ينشره الناس الكسالى !

الصرصارة القديسة : ارحمي العاشق الجميل ···!
« قاسوا بانفسكم الجراح الغريبة ،
جراح الاخرين » هكذا قال القديس صرصار ·

الصرصارة الاولى : وما تعنيني هذه الحماقة ·
ولكن ، لماذا احب الفراشة ؟
ألا يعلم انه لا يستطيع ألاقتران بها ؟

الصرصارة القديسة : ربما سيكون مثل الوحل الاسود فوق الثلج ،
الثلج الذي يأتي ابيضا ، لست ادري من اين ·

الصرصارة الاولى : (بحماس)
ان الثلج يأتي من ازهار السوسن ·

الصرصارة القديسة : (بصرامة)
ايتها العرابة ، لا تؤكدي هذا ·

الصرصارة الاولى : المهم ··· ان الصرصار مجنون ·

الصرصارة القديسة : انه طيب !
صأصلي من اجله حتى يستريح ·
ان غناءه يذكرني بحبي في الشباب ·

الصرصارة الاولى : (مدمدمـــة)
هيا بنا الى البيت ، فقد حل الليل ·

الصرصارة القديسة : (حزينة جدا)
هيـــا !
(تمضيان الى الجهة اليمنى ، وتدخلان بين الجحور ، حيث مغارتهما · لقد استحكم الليـــل ، وسقط اول شعاع من القمر على غابـة المرغريت · مـاء النبع يرتجف بنعومة)

المشهد الثاني

الفراشة ، والصرصارة الساحرة ، ودونيا صرصارة
واربعة صراصير فلاحات

من ناحية اليسار تدخل الصرصارة الساحرة ودونيا صرصارة ، والدة الصرصـار · تتحدثان بوضوح ·

دونيا صرصارة : ان هذا المرج جيد ·
من اجل عمل حمام قمر لفراشتنا ·

الصرصارة الساحرة : جناحاها الشمعيان
سيصبحان كما كانا في الصباح البديع
عندما تكسرت اشعة الشمس للمرة الاولى

دونيا صرصارة : لقد قال ابني في الليل
انها آتية من الفجر ، انها زهرة تائهة ·

الصرصارة الساحرة : كوني جد حريصة ،
يا صديقتي دونيا صرصارة

دونيا صرصارة : ان قلبه المتيم
يغنيها في الليل بوجد ·

الصرصارة الساحرة : لنكن متأهبات اذن ؟
(ثم متجهة الى الاخريات ، تنادي)
تعالوا هنا ، بلا اسراع !
حاولوا ان لا تصطدم الاجنحة بالارض !
ثبتوا القرنين ، فالنسيم يحركهما ·
واخشى ان يقصفا · اعبروا الجدول !
(ثم ملتفتة الى دونيا صرصارة)
ها قد وصلوا يا سيدتي ·
(تدخل اربعة صراصير فلاحة تحمل على ظهرها الفراشة · الى الفلاحات)
انزلوهـا ببطء
(الى دونيا صرصارة)
هل وضعت لها مرهما مصنوعا من النمل المسحوق ؟

دونيا صرصارة : لقد دهنتها مرتين ·

الصرصارة الساحرة : (تتفحصها)
انها لا ترى ، ولا تحس ·
ان عيناها ميتتان ، وفمها مطبق ·
من اي مملكة اتيت بثوبك الابيض يا ترى ؟

دونيا صرصارة : (متذكرة)
انها آتية من الفجر ، انها زهرة طيارة ·

الصرصارة الساحرة : انت بأجنحتك المكسورة ، وقلبك الجريح
تمضين نحو ممالك بعيدة حيث الحب يتجمد ·
(متجهة الى دونيا صرصارة)
هنا سنتركها تحت القمر ·
اشعر بالحزن لذاك الصوت الذي سمعته في غابة السنديان
وكان يقول ضائعا في روح الرياح :
« ان حورية قد ماتت ··· حورية الحقول والبحر » ·

دونيا صرصارة : الالم او الموت يقتربان من بيتي الصغير ·
وصرصاري الصغير لا ينثني عن حبه ·

الصرصارة سيلفيا : يجب ان تزوجيه بأسرع ما يمكن من سيلفيا ·
فهو بحاجة الى اللعب ليلهو وينسى ·
(الى احدى الفلاحات)
ابقي بين الازهار
واحرسي احلام النائمة البيضاء ·
واذا تنفست ، قربي منها هذا الغصن المقدس ·

دونيا صرصارة : (ما زالت في نفسي موضوعها الاول)
آه ، ايتها الجارة الدكتورة !
ان قلبي يحدثني بمصائب ستحل ·

الصرصارة الساحرة : (دون ان تعيرها اهتمام)
احذري ! فقد يأتي الصرصار ابنك
(دونيا صرصارة تبكي بصمت)
احتفظي بشجاعتك يا سيدتي ، فأنت مضطربة ·

دونيا صرصارة : (باكية)
الذنب كله ذنب زوجي
ليس هناك مصيبة اكبر من ان يكون المرء شاعرا ·
لو كان الامر بيدي لاحرقتهم جميعا !

الصرصارة الساحرة : سيحرقهم النسيان ٠

(تذهبن ٠ ويبقى المشهد محطما ٠ الصرصــارة الحارسة تستند الى جذع زهرة مرغريت وتبقى هناك بلا حراك ، فقط تحرك قرنيها ببطء)

المشهد الثـــالث

الفراشة ، وخنافس الحراسة ٠

الفراشة : (مستيقظة)

سأطير على الخيط الذهبي
فأولادي ينتظرونني ،
هناك في الحقول البعيدة
مجمدين قرناسم (Ruecas)
وانا روح الحرير
اتيت من تابوت غامض
وسأمضي نحو الضباب ٠
ليغني العنكبوت
في كهفــه ،
وليتأمل البلبـل
اسطورتي ،
ولتذهل قطرة المطر
وهي تنزلق على اجنحتي الميته ٠
لقـد غزلت قلبي فوق لحم
لكي اصلي في الدياجير ،
والموت اعطاني جناحين ابيضين ،
ولكنه سد منبع حريري ٠
الآن فهمت لماذا تندب المياه ،
لماذا تندب النجوم ،
ولماذا تندب ريح الجبال ،
وفهمت ما يعني طنين النحلة
الواخـزة ٠
لاني انا المـوت ،
وانا الجمـــال ٠
ان ما يقوله الثلج فوق المرج ،
تعيـده النــار ،
واغنيات الدخان في الصباح
تقولها الجذور تحت الارض ،
سأطير على خيط الفضــة ،
فأولادي ينتظرونني ٠
فليغني العنكبوت

في كهفــه ،
وليتأمل البلبل ٠
اسطورتي ،
ولتذهل نقطة المطـر
وهي تنزلق على اجنحتي الميتة ٠
(الفراشة تحرك جناحيها ببطء)

المشهـد الرابــع

الفراشة ، والعقرب قارض الصفصاف ، وصراصير الحراسة ٠

(من الجهة اليمنى يطل فك العقرب الظريف)

العقرب : ان شذى لحم
طــازج وشهي
يصلني ٠

صرصارة الحراسة : (بغضب)
امضي من هنـــا !

العقرب : دعيني اراها !
(يقترب)

صرصارة الحراسة : امضي الى الغابة ، ايها السكير

العقرب : ليتني كنت هناك
اذن لكنت اكلت
اجنحتهـــا

صرصارة الحراسة : عديم الحياء !
ابتعد عن هذه الايكة ٠

العقرب : (مستعطفا)
لقمة واحدة فقط
حيث يوجد الجرح !
او طرف احد قرنيها !

صرصارة الحراسة : (غضبى)
اذا لم تذهب بسرعة
فسأنادي رفيقـــاتي
ونقتلــك !

العقرب : (بجد)
اسمعي
لو لم اكن عجوزا
لرأيت كيف كنت سألتهم
رأسك اللذيـــذ !
(العقرب يقترب مستعدا ليعض الفراشة)

صرصارة الحراسة : (مذعورة)
اني سأصرخ !... انصرف !
(الفراشة تتحرك)
لارى اذا كنت ستوقظها !

العقرب : (يقفز ، ويقهقه ضاحكا)
ماذا تقول السيدة المحترمة
الشهيــة الطريــة ؟

صرصارة الحراسة : (تقترب لتضرب العقرب)
ان هذا لا يطاق !

العقرب : (وقد اصبح قريبا جدا من الفراشة ، يفتح فكيه)
اراهن انك لن تقتربي مني ؟

صرصارة الحراسة : (مرتعبة)
تعالوا جميعا ، فانه سيأكلها !

العقرب : (منسحبا)
اصمتي ايتها الصرصارة القبيحة ٠

صرصارة الحراسة : انصرف بسرعة الى بيتك

العقرب : (يغني باستهتار)
اني ذاهب الى جحري
لآكل عشر ذبابات ٠

صرصارة الحراسة : (بغيظ ، وهي تدفعه)
انصرف !

العقرب : (بسخرية)
ليس عشاء سيئا !

صرصارة الحراسة : انت سافل ونصف !

العقرب : (ذاهبا)
وانت مجنونة وعانس !
(خنفسة الحراسة تغضب ، وتقترب لتتفحص الفراشة ، ثم تعود الى مكانها ٠ صوت العقرب الاجش يسمع وهو يبتعد شيئا فشيئا)

المشهد الخـــامس

الدودة الاولى ، والدودة الثانية ، والدودة الثالثة ، والفراشة ، وصراصير الحراسـة ٠

(بين الاعشاب يظهر بريق مجموعة من الديدان المضيئة ، وهي تتقدم ببطء)

الدودة الاولى : الان نستطيع ان نشرب
النـــدى ٠

الدودة الثانية : لقد رأيت الان في البحيرة
الزنابق وهي ترتجف
وقريبا سيسقط الندى على العشب ،
مقدســا ، وبلــوريا ٠

الدودة الاولى : ايسقط الندى عن فروع الاشجار
ام يأتي به البرد ؟

الدودة الثالثة : لن نفهم ابدا
المجهـــــول ٠
لقد انطفأ ضوئي ،
واصبحت عجوزا وهرمة ،
ولم ار النـــدى
وهو يسقط عن الاغصان ٠

الدودة الثانية : انه ينبثق من الارض ٠

الدودة الثالثة : حكيم عجوز قال مرة :
« اشربوا القطرات العذبة ،
سعداء وهـــادئين ،
ولا تسألـــوا ابـــدا
من اين اتت »

الدودة الاولى : ان هذه القطرات
تجعل الحب احلــى ٠

الدودة الثالثة : نحن العجــائز
نعرف ان الحب
تماما مثـــل النـــدى
فالنقطة التي تشربين
لا تعود الى المرج ،

مثل الحب الذي يضيع
في سلام النسيان ·
وغدا ، قطرات أخرى
ستلمع على العشب
وتصبح بعد لحظات قليلة
شيئا اخر ، غير الندى ·

الدودة الاولى : يجب ان لا نحزن ···

الدودة الثانية : لقد انطفأ ضوئي القديم ·

الدودة الاولى : ··· ونحن باحثات عن الحب ·
نجوس في هذا المكان ·

الدودة الثانية : قريبا سأرى بريق
الاوراق والارض ·

الدودة الاولى : ان هذا الرذاذ هو الذي
يصنع المروج ·

لقد اقتربوا كثيرا من الفراشة ، وهي تسمعهم ، وكحالمة تقول)

الفراشة : انا قد اشعر
كيف كانت تلك القطرات البراقة
تتحدث بعذوبة ،
وهي تحكي اسرارا
من الحقول اللانهائية ·

الدودة الثالثة : (تلتفت فجأة)
ان قطرات الندى لا تتكلم ابدا ،
فهي تلد غذاء
للنحل والديدان
وليس لها ارواح ،

الفراشة : ان حبات الرمل تتكلم ،
وكذلك اوراق الاشجار ،
ولكل منها طريقة مختلفة ،
ولكن جميع الاصوات ،
والاغاني التي تسمعون ،
هي اقنعة غريبة
لنشيد واحد ·· لخيط
سيحملني الى الغابات
حيث تظهر الحياة ·

الدودة الثالثة : أأنت حورية ؟

الفراشة : لست ادري ما كنت ،
لقد سحبت قلبي
وروحي ببطء ،
وجسمي المسكين ، الان
صار ميتا وخاويا ·

الدودة الاولى : انعمي بالحب اذن
فقد اتى الصباح ·
واشربي بسعادة
قطرات الطل !

الفراشة : لست ادري ما هو الحب ،
ولن اعرفه ابدا ·

الدودة الاولى : الحب هو القبلة
في هدوء العش ،
بينما الاوراق ترتجف
وتنظر الى الماء ·

الفراشة : جناحاي مهشمان
وجسدي بارد ·

الدودة الاولى : ولكنك تستطيعين تبادل القبلات
وتحريك قرنيك ·

الفراشة : آه !·· ولكن ليس لي فم !

الدودة الاولى : ان ردائك جميل !

الفراشة : وانتم ، أأنتم نجوم ؟

الدودة الاولى : اننا نبحث عن عاشق
ونثمل بالحب
على الطريق ·

الفراشة : انا لا اعرف ما هو الحب
فلماذا تقلقون احلامي ؟

الدودة الثانية : سنتركك بسلام !
نتمنى لك السعادة !

الفراشة : الخيط الفضي
يمضي الى الحقول

حيث تظهر الحيـــاة ...
(الديدان تمضي وهي تتحاور)

الدودة الاولى : اتكون حورية ؟
الدودة الثانية : ان جسدهـــا
ناعـــم .

الدودة الاولى : لقد افزعتني رؤيتها
لبيـــاضها ووحدتها .

الدودة الثالثة : انهـــا فراشــــه
نصف ميتة بسبب البرد .

الدودة الثانية : اي سر عظيم ورائها !
هيا بنا الى حقلنا .

الدودة الثالثة : ... فالحب ينادي
اجسادكن الملتهبــة !
التي تستطيع ان تتلوى
مع العـــاشق القوي .

الدودة الاولى : (متشككة)
ولكـن لـماذا قالت
ان قطرات النـــدى تتكلم ؟
(الديدان تذهب)

المشهد السادس

الفراشة ، الصرصار نيني ، وصراصير الحراسة

صرصارة الحراسة تقوم بعدة دورات على المسرح . يظهر الصرصار نيني ، مصبوغ باللون الاصفر بشكل طريف . يحمل وجها عليلا حزينا .

الصرصار : (منشدا)
اوراق الاشجار والازهار
تـذوي
وانا مـــع صمت
الصبـــاح .

الصرصارة الفلاحة : (ثائرة)
لقـــد أتى ،
هذا ما كان ينقصنا .

لقد لون نفسه كزهرة سوسن
ليثير حبهـــا .

الصرصار : لقد كان زمنا طيبا لاشعاري الهادئة ،
ولكن الى ابوابي وصلت حورية
ترتدي ثلوجا شفافـة
لتنتــزع روحي .
ماذا افعل فوق هذه المروج دون حب ، دون قبلات ؟
هل اقذف بنفسي الى الماء ؟
ولكني افكر في العالم الذي تحلم به امي ،
عالم من السعادة ، هناك فيما وراء هذه الاغصان ،
عالم يغص بالبلابل والمروج الفسيحة :
عـــالم النـــدى
حيث الحب لا ينتهي ،
واذا كان ليس ثمة وجود للاله صرصار ؟
فما هو هدف مرارتي المهلكة ؟
وهناك فيما فـوق الاغصـــان ،
ألا يسهر علينا ذاك الذي جعلنا
فوق جميع المخلوقـــات ؟

صرصارة فلاحة : يا للاسف !
لقـد اصبـح مجنونا تمـاما !

المشهد السابع

الفراشة ، الصرصار نيني ، صراصير الحراسة .
والصرصـارة الساحرة .

الصرصار : (مقتربا من الفراشة)
انائمـة ملكة هـذا المرج ؟
التي تختر النـــدى ؟
التي تعرف اسرار الاعشاب
وسر غنـــاء المـاء ؟
(الفراشة لا تجيب وتتراقص)
ألا تجيبيني ؟ ألم تسمعي
صـوتي الولهـــان ؟
(الفراشة تتحرك وكأنها تريد الطيران)
تريدين الطيران ؟ هناك ظلام كثير فوق
وانت مكسورة الجناح .

بقبلاتي سأشفي جراحك
اذا تزوجتني ·
وهناك بلبل عمـلاق ، صديق لي
سيحملنا ويطير الى الجبال ·
لا تصري على الطيران · فالليل مخيم ·
انظري كم من الظلمة على الاغصان
والظلمة هي القبلة التي تجعلنا ننام :
انها رقيقـة وساحقـة ·
(الفراشة تسقط على الارض)
ان قلبي يجف من دونك ·
(الصرصار يقترب منها)
اسمعي كلمــاتي
لا تفكري بالطيران الى الجبال
وابقي في منزلي ،
وانا سأصطاد ، لتسليتك ،
زيـزا جميــلا
يهدهد لاحلامـك في الليـل
وفي الاصبـاح ،
وسأحضر لك حجارة صغيرة من النبع
(صرصارة لك الحراسة ، تقترب بين جذوع ازهار المرغريت لتسمع بشكل افضل)
وسأحضر لك نملات قزمات ،
وستشربين قطرات النـدى
من شفتي الحـارقتين ·
ايتها الفراشة ، يا مرآة الحوريات !
انك مثل زهرة من عالم آخر
او مثل زبـد المـاء ·
(الصرصار يعانق الفراشة · وهذه تستسلم له وهي فاقدة الوعي)
ان جسدك بارد ، تعالي معي ،
فان جحري دافىء ·
ومن هناك سترين المرج الاخضر
المتـد الى البعيد ·
(الفراشة تبتعد فجأة وتتراقص)
أليس لك قلب ؟ ألم يحرقك
نـور كلمـــاتي ؟
اذن لمن سأروي آلامي ؟
آه ايتها البرقوقة البديعة !
يا ام الندى في مرجي ·
اذا كانت تظهر فوق الماء البارد
ظلال في الصيف ،

واذا كان ظلام الليل يتبدد
بعيون النجوم التي لا تنتهي !
فلماذا لا تحصل روحي على حب ؟
من وضع لي هذه العيون التي لا اريدها
وهذه الايدي التي تحاول
ان تمسك بحب لا اقدر عليه ؟
حب سيقضي على حياتي ·
من اضاعني بين الظلال ؟
من خلقني لاقاسي دون اجنحة ؟

الصرصارة الحارسة : آه ! لماذا تصرخ كثيرا ايها الصرصار ، أجننت ·

الصرصارة الساحرة : مـاذا حدث ؟

· · · · · · · · · · (١)

(١) ـ ناقصة في المخطوط الاصلي ·

غُزلانُ الدَّم

خيري منصور



أسئلةٌ تورق في الصّحراءِ . . ولا ماءُ

سنبلةٌ تُنْثَرُ في الرّيحِ ضفيرتها

وتصيحُ تعالوا :

ـ هذا وجه يعرفني

يتهجاني جرحاً . . جرحاً ويناديني . .

أتذكّرُ ماءً غير الماء

عشباً غير العُشبِ . .

وليلاً يتناسَلُ أياماً موحشةً ترعى ظلّي . . .

« ما أعذبَ أنْ يتجول سيف في جسدي هذي السّاعة

ما أعذب أنْ أتلاشى . . »

تبدأ من نافذةٍ مُشرعةٍ لليّلِ . .

وصيحاتِ إمرأتي

أسئلتي :

عن قمرٍ زنجيّ يشحذ خنجره ويصيح :

لنْ يُرتق هذا العصرُ بغيرِ دمي

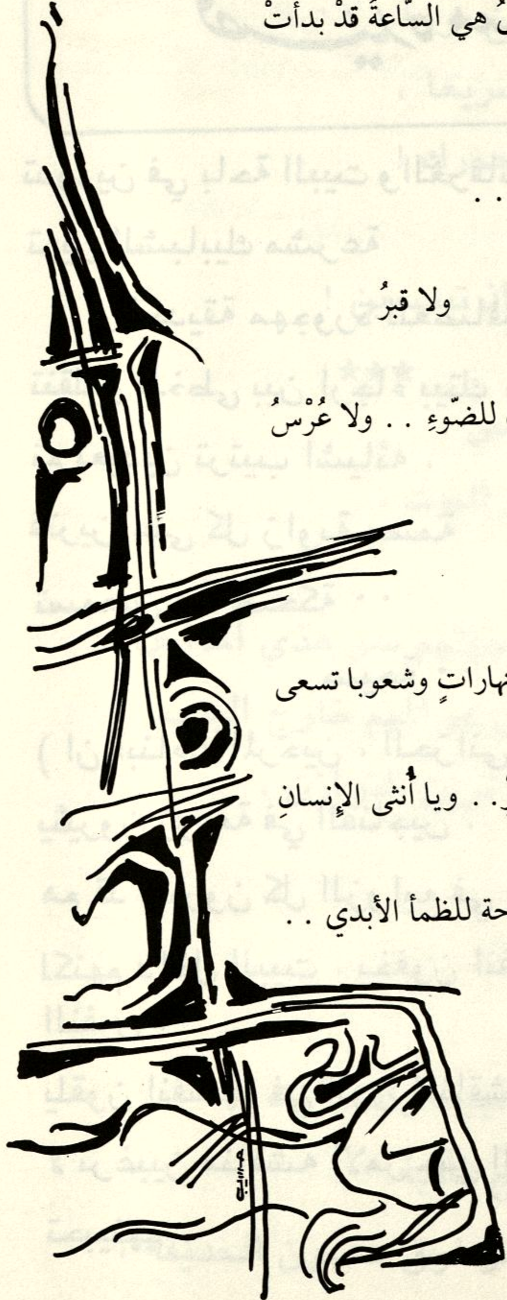
أعرُفُهُ صوتَك يا إمرأتي . .

أسمعُهُ الآن صدىً شجرياً . .

يهتف : يا حَقْلُ أتيتْ

ودماً بشريّا يهتفُ : يا بَحرُ أتيتْ

أعتقني سيفٌ همجيٌّ من قلب نبيٍّ وَأتيتْ



أأقسِّمُ موتي . .

وأقولُ هي السّاعةُ قدْ بدأتْ

. . هذا عُمْرٌ ثانٍ فاقتربوا :

ـ نصغي للنهر يراودُ قبرهُ

ـ نصغي للسّيف يراودُهُ حنجرةً . .

لدمٍ يتغربُ في الرّملِ . .

ولا قبرُ

ولأجسادٍ تعلن مملكة الضّوءِ . .

وتعلنني (قُدْساً) للضّوءِ . . ولا عُرْسُ

***

أأقولُ هُنا بدءٌ . . .

وأُسوّي ليلاً ونهاراتٍ وشعوبا تسعى

أأسوّي لكُم . . غيرَكُمُ . . .

يا أرملة الرّب ويا ذَكر الطَّيرْ . . ويا أُنثى الإنسانِ

لديَّ دمٌ يكفي كلّ عطاشِ الطّيرِ

وكلّ الأجساد الممنوحة للظمأ الأبدي . .

أنا المنثورُ على الطرقاتِ دعوني :

■ يتوضأ عاشق

■ يشرب نسرٌ مكسور

■ يملأ صحفيّ قلمه . .

■ تدهن عابرةٌ شفتيها . .

منذورٌ . . وَدَمي غزلانٌ متعبةٌ

قصيدة منزلية

مهدي محمد علي

تدورين في باحة البيت والغرفات ،
ترين الشبابيك مشرعة
والحديقة مهجورة للعصافير عند الضحى ٠
تنقلين الخطى بين ارجاء بيتك ،
ثم تعيدين ترتيب اشيائه ،
فترين على كل زاوية بصمة
تسمعين هنا ضحكة ٠٠
صيحة ٠٠
(ان ابناءك المردين ، الحزانى قليلا ،
يثيرون زوبعة في الفناجين ،
هم قد يثيرون كل الزوابع في الارض ،
لكنهم داخل البيت ، يخفون انفسهم بالصياح الحبيب الى النفس ،
يلقون انفسهم في اتون المناقشة الفجة الطعم ٠٠)
لا ترغبين مناقشة الامر حتى الجذور ٠
تحبينهم ،

تهمسين انفسك :
« لو يدخلون المطابخ يوما ٠ ٠٠ »
تريدينهم يكبرون سريعا ،
وان يمكثوا وسط حجرك !
تبتسمين طويلا ،
وقد تدمع العين ، اذ تبسمين !

***

تظلين رهن الهواجس ،
تمضين ٠٠ في آخر البيت ،
تنشغلين طويلا ٠
وقد تبصرين مدى جهلهم سر هذي المداخل ،
او تبصرين غموض عوالمهم خارج البيب
تغصين باسمة ، اذ ترين التوازن ،
تغضين باسمة ٠٠
ثـــم ٠٠
يصطفق الباب
تملأ ضجتهم باحة البيت والغرفات ٠
ترين الشبابيك تفتح ثانية
والعصافير تهتز فوق غصون الحديقة ،

والبيت يرتج
تبتسمين طويلا ،
وقد تدمع العين ، اذ تبسمين !

•••

مقاطع

١

استمر المطر طوال الاسبوع .
وظل اطفال الاحياء البائسة ،
متكئين على الحيطان الرطبة ،
ينتظرون الشمس !

٢

كنت اقيس ابعاد النوافذ في البيت الجديد .
وكانت قربي صبية الحارس حافية القدمين ،
تسألني ماذا اصنع ؟
قلت : هذا من اجل الستائر .
قالت : وما الستائر ؟
قلت : انه قماش يعلق على الشبابيك .
قالت : يعلق داخل الغرف ام خارجها ؟
قلت : في الداخل طبعا ، الم تشاهدي ستائر من قبل ؟

قالت : ابدا !
وفكرت بمن يعلقون الستائر خارج القصائد !

٣

صبية الجيران ،
تعبر الزقاق ، مسرعة ، مزهوة بجدائلها
احسدها واراني :
اعبر صمت غرفتي ، بطيئا .
لا املك شيئا
سوى الالم
ازهو به ، واتغنى !
اعتاد اطفال الجيران ،
ان يمتطوا السياج الذي بيننا ، كالحصان !
امرتهم ان يكفوا ،
فلم يستجيبوا ، وظلوا محدقين
فاكتشفت عيونهم الجميلة الملونة .
وحين كفوا ،
صار السياج بيننا ، فاصلا حقا .
واختفى ذلك النبات البشري المتسلق ، وازهاره الجميلة الملونة !

البصرة

وطن الفراشة

عبدالله رضوان

تحدث طفل من النبطيه ،
قال بأن السماء تساقط لحما ، وخوفا ،
تخثر في دمعة لنساء ركضن الى السفح ،
يبحثن في غابة اللوز ،
عن اخوة يعشقون السلاح ·

تحاوره طفلة من أراضي الجنوب ،
تعلمت الحب في زمن البندقيه ،
والموت يرتاح في غابة حول « تبنين » قالت :
ـ تراها البدايه !
ولكنها اليوم مشرقة مثل شمس الولاده ·
ـ وماذا يقول الأحبه ؟
ـ ان الزمان سيقصر في الحرب
ـ ان الرياح التي حملت بالغيوم ستسقط نارا
ـ وماذا سنصنع ؟

نسافر فوق البنادق مثل الفراش بلا موطن ····

أيهاذا المسافر فوق البنادق ،
هل تعرف اللعبة الآن !!!
هذا أوان التعمد بالدم !!!
ان بحورا من الدم ،
لن تغسل اليوم وزر البلاد ،
وساداتها ·

وان حقولا من النفط ،
لن تخفي اليوم
لو قطرة من دماء
تخضب أرض الجنوب ·

* * *

يقولون أنك قد شخت ،
في المهد ما زلت ،
أولد من لثغة الطفل ،
من وردة السفح
من عشق سيدة في الجنوب ،
ومن مجمر النار أحيا ····
فأصرخ فيه لقد بح صوتي ،
وما عانت اليوم مملكة تحتويني ،
فخذني لحضنك ،
في عرق داليه ،
أتحلل شوقا ليوم ابتداء ،
فان المسافة تقصر ،

ما بين ضغط الزناد ،
وصوت البنادق ....

* * *

كأن العيون التي فارقتني في ساعة الطلق ،
ليست عيوني ،
كأن الدماء التي خضبت أرض لبنان ،
ليست دمائي ،
اذا قلت يافا .....
تجيء البنادق تستل مني حنيني ...
وان قلت حيفا .....
يصادر حتى أنيني .....
وان قلت دبين ،
أو قلت تبنين ،
قالوا اقتلوه يريد الوطن .

وان قلت محسير (١) ،
قالوا يطالب بالمستحيل ،
فيا سادتي المتعبين ،
سأنفخ في الصور ،
هذا هو المستحيل الذي تطلبون .
فما زال بين الأضالع حلم غريب تسمونه المستحيل
تعالـوا ،

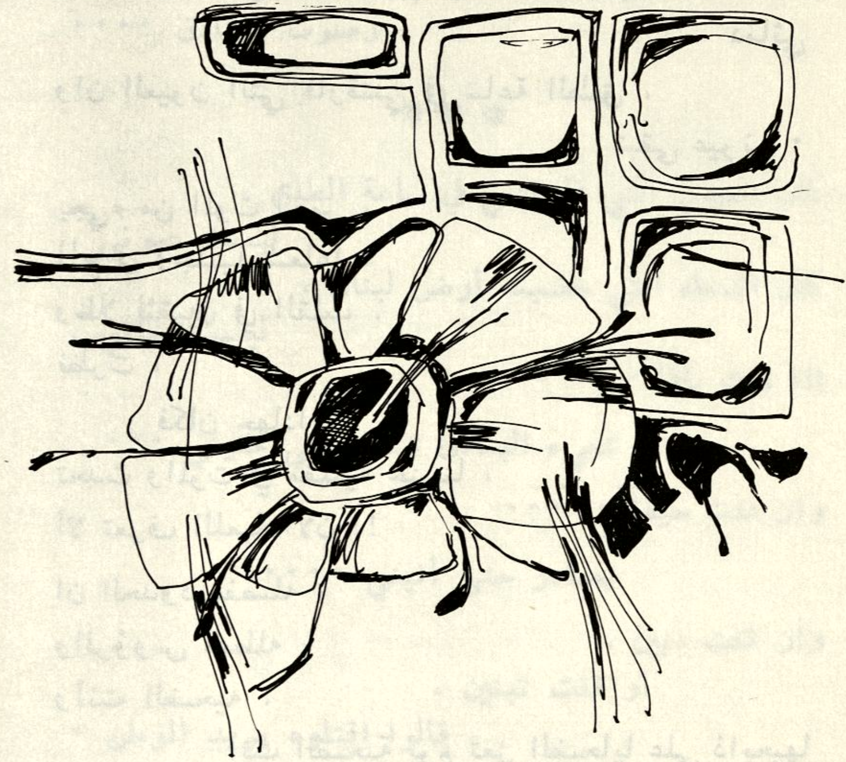
---

١ ـ محسير ـ هي قرية الشاعر ، تقع غربي القدس ، كان اسمها بيت محسير ، حولها الصهاينة الى ـ بيت ميئير .

فان الدماء التي تملأ اليوم أرض الجنوب ،
دمائي
وان العيون التي فارقتني في ساعة الطلق ،
تبقى عيوني .

يجيء من الموت أحمر ،
ألمح في وجنتيه شعاعا ،
وظلا لثقبين في القلب ،
نظرت ،
فكان جهادا ،
تحدث والموت في مقلتيه حزينا ،
ألا تعرف اللعبة الآن !!
ان الحدود مفصله ،
والرؤوس معطله ،
وأنت الضحيه ،
أنت الضحية يوم تعز الضحايا على ذابحيها
دماؤك غطت شعاب البلاد وأنت تكابر ،
أنت تناضل بالشعر ،
والشعر مات بصرخة طفل تمزق في أرض صور .

ترجل عن الشعر ،
ان الأصائل لا تقبل السرج ،
فارحل اليها ،
تراك نسيت نسيم البلاد وطعم السنابل
تراك نسيت بأنك أما قتيل ،
تحدث يوما ،
وبعضا من اليوم ،



قال : وداعا ،

صرخت ،   جهاد .....

فلم يسمع الصوت ،

كان الحنين الى الحب أقوى .....

وكان انبعاث السنابل أقوى .....

وكان نداء المحبين أقوى .....

ركضـت ،

جهـــاد ،

تطلع في مغرب الشمس قال :

هناك تراني ،

رأيت على مغرب الشمس أنثى تسمى فلسطين قالت :

وتبقى تكابر

خفت ،

صحوت ،

صرخت جهاد ،

فعاد المساء حزينا .....

نظرت الى الغرب ،

كانت تزف الى البحر أنثى تطوق بالياسمين .....

فقلت جهاد ،

فلسطين أنثى ،

جهـاد ،

فلسطين طفل تحفز في أول العين يبحث عن طفلة شردتها
الحروب .

جهـاد ،

فلسطين تولد في لحظة يستوي الحب والموت فيها
بأرض الجنوب .

جهـاد ،

فكل الدروب تؤدي اليك ،

ولكنني مغرم بصهيل الشعوب .

عمان ـ ١٩٧٨

يمشي الي ... وكنت اصفع مقلتيه
بذيمة الذكرى ،
وساعد والدي الحفار ...
اذكر ......
وارتديت مخيم الفقراء ...
فالتصق المخيم في ،
والتصقت دمائي فيه ،
وارتحلت الى كل المدائن صرختي ،
ارتحل المخيم :
جثة ، شمسا ، ولادة !!
ومشيت :
صدري مشرع للموت ،
ظهري مشرع للموت ،
صوتي مشرع للموت .... !!
والتصق المخيم في اكثر ...
كنت احمله الى كل المنافي
زهرة بيضاء ، حلما ،
كنت احمله حمامه !!

★★★

هذا أوان الانفجار

غازي الناصر

« هذا اوان الشد ، فاشتدي .... »
وهذي خطوتي تمتد في كل الدروب .
هذا اوان الانفجار ،
هذا اوان الانفجار ....
ومذ ولدت ، صرخت ...
اذكر :
كان في عيني يختنق النهار ،
وكنت اسأل :
فيم جئت ؟؟
وكيف افترش الضياء ؟؟
ومذ ولدت ، دخلت في غيبوبة الاسوار ...
كان الانهيار ،

ومشيت :

كانت صرخة المذياع والكتب القديمة

تستبيح مسامعي الحيرى !!

وكانت اعين الموتى الحزانى تقتفيني !!

آه من ذكراي اه !!

ـ فيم جئت واين اسنده جبيني ؟؟!!

الذكريات ، الذكريات ، الذكريات ......

ويهرب القلب الحزين !!

ومشيت :

يذبحني صدى المذياع !!

ـ هل اخطو الى موتي

فأولد من جديد ؟؟

★★★

واراني اهرول ، والذكريات تسابق خطوي ،

وجرح المخيم يكبر ، يكبر ...

كان الضباب كثيفا على مقلتي ،

وكانت حراب !!

الموت ، الموت ، الموت ،

وصرخة « تل الزعتر » تعدو في ذاكرتي ،



والاسوار تهرول ، تكبر ،

والمذياع يموت الآن ... ! !

فاسقط ، انهض ، اسقط ، انهض ،

افتح للذكرى كل الأبواب .

الموت ، الموت ، الموت ! !

وانا مطر :

اصفع بالقمح الاخضر كل يباب .

وانا « حيفا » :

امتد الى كل الارصفة « القرشية » ،

كي ابصر وجهي ،

امتد الى كل الفقراء ·

الموت ، الموت ، الموت ! !

وانا من رحم الموت اتيت ،

لامسح عن كل الاحداق الموت ·

***

الموت ، الموت ، الموت ! !

وانا قنبلة حيرى ،

في ليل الصحراء العربية ! !

***

هذا اوان الانفجار ،

هذا اوان الانفجار ·

فلترحلي يا صرخة الليمون

للافق المكلس باليباب ،

ولتصفعي بشذاك وجه الاقفرار

١٧ آذار ١٩٧٨

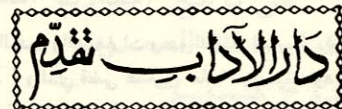


المجلة الادبية الاولى في العالم العربي

رئيس التحرير

الدكتور سهيل ادريس

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ لبنان



الشاعر العربي الكبير الاستاذ

سليمان العيسى

في سلسلة

غنوا يا أطفال . . .

مجموعة من عشر حلقات تضم ما يزيد على ١٠٠ اغنية ونشيد يتوجه فيها الشاعر الى جميع اطفال العرب في مختلف اقطارهم، وتتميز بالنزعة القومية التقدمية ، باسلوب بسيط مشرق يدخل قلوب الاطفال فيحفظون الاناشيد بايسر سبيل

ـ ١٠ اجزاء متفرقة ، كل جزء ب ٣ ل.ل.

ـ مجموعة الاجزاء العشرة مجلدة ب ٣٠ ل.ل.

هكذا يبدأ الموت وقصائد بلا اسماء

بركات لطيف

هذه اشعار كتبت بين الهدير والصفارات وعدو القطار السريع . فالعامل **بركات لطيف** (٤٥ عاما وخمسة اولاد) والذي قضى عشرين عاما من حياته وهو يقود القطارات عبر ارجاء وطنه سوريا... هذا الانسان البسيط ، الذي لم يتم سوى تعليمه الابتدائي ، والذي تراه احيانا ، بين سفرة وسفرة ، يغش الاندية الثقافية والمعارض الفنية وفي عينيه دهشة عكرة لما يرى ويسمع ، ويستعير اي كتاب تقع عليه عيناه ، فاجأنا ، منذ اربع سنوات فقط ، بمجموعة من القصائد ذات رنين جديد ونبض حي ، قصائد لم تستعر « القضية » لتلبسها فضفاضة مترهلة ، وانما عاشت فيها ومن خلالها .

لم تستطع الحياة المرهقة التي عاناها **بركات لطيف** ان تقتل فيه نلك الالتحام الفرح بالحياة والناس ، ولم يوهن فيه الظلم الطبقي روح النضال ضد الاستغلال . وها هو ، بعد اربعين عاما من « ترتيب قلقه » ، حسب تعبيره يفيض قلبه بالشعر ، فالتجربة مهما كان صدقها ، لا تستمد جدارتها الانسانية إلا من الناس وبين الناس .

شعر **بركات** ليس انعكاسا ، وانما هو تجاوز ، طعمه المالح مشبع بعرق الكفاح اليومي . والهموم الفردية ترتفع لديه لتعبر عن معاناة طبقة وآمال امة ، إنه صوت عامل يفضح الاصوات المزورة التي تتحدث باسمه ، صوت من « الحضيض » ، آت من اعماق المعامل ليذكرنا بالجوهري الذي تطمسه الاقلام بالف اسم واسم وهكذا يقف شعر **بركات لطيف** شاهدا على الزمان العقيم الذي نحياه ، وشاهدا على غنى تلك الطبقة التي تصنع التاريخ ، وحيويتها .

سعيد حورانية

نـداآت البـاعـة
تـحملهـا الريـاح
الى الخرائب .
تتصـادم الـنـظـرات
والـفـقـر يـنهمـر
كحبات البرد على الاعشاش
أب مــــات
واطفال يبحثون عن الضوء
فـي قبـو الحـيـاة
... ؟ ...
لـم يـبـق شـيء
سوى ايام تمضغ الامل
شـوارع بـــا هـتـة
ضـيــــاع
أبـنـيــة تـبـتـسـم
وضوء يطير من الفرح
على لوائح المحلات التجارية
هـكذا يبـدأ الـمـوت
جــرح كـبـيـر
تسبح فــيـه ... الشعـارات
بـمـهـارة السـمـك
الذي يفر مـن بين الاصـابـع
الـتي تـطبق عـلـيـه
ايـتـهـا الـمدينة
حين يمسك الصمت المصمغ
دمــي
يمر ليلك بـلا صـدى
وتـقـودنـي جـذوري
الـى احـشـائـك
التي قرفـت من الولادة

من الاجهاض

. . .

يا للرعب ..
فوق المياه الاسنة
تنعكس صورتي
ترتعش محروقة
بنفس النار
التي تستمد شعلتها
من اقفاص الطين

. . .

في أحياء التنك
لم يعد بوسعي
ان افرق
بين البكاء
والضحك
وبين الموت والموت
وهل السعادة هنا حقا
وبكل بساطة
في قلب هذا التراب
الذي ينهمر عليه
الزمن
وهواء الوطن ، يجتازه عابرا ؟

. . .

ذلك الطفل الذي لم يلعب
به الموت
كان يدخل ثوب امه
كلما مرت جنازة
ويهرب من الاحلام
الى صدرها
وفي اقل من عامين

استشهد والده
ومزقت الشظايا
امه .
استيقظ
في جوف الدخان
المنتفخ بالموت
ولم يكن لديه وقت
الا للصراخ
ارتعد الذباب خوفا
من ضياع وجبته الدموية
ذلك الطفل
اصبح اليوم
يهرع الى الشارع
رافعا بندقيته الخشبية
كلما مرت جنازة
تحية لوالديه

. . .

بحثت عن جميع الوسائل
للاحتفال
بالسلام الذي يصنع الان
فلم اجد
سوى جرافة تمهد قبورا
وأرامل تجرجر ظلالهن
الى ساحة الاحتفال

قصائد بلا اسماء

ـ ١ ـ

تعلمت صغيرا
ان انطح صدر امي

عندما تجف الينابيع
واصرخ من الجوع
لاعيد النبض الى نهديها

ـ ٢ ـ

اعترفي ...
ايتها الياسمينة
ما فائدة الحياة
وسط هذا المزاد العلني
في شوارعنا الساطعة
لكن ...
الفقر
ولغة الآلات
علماني
لمن يكون انتمائي

ـ ٣ ـ

مرة على هذه الارض
استرخى الزلزال
كل شيء تبدل
وضوء طويل
يسكن قطارا
يسير بسرعة فلكية
استيقظ النهار
وتنفس دمي الاحمر
بوخزات المخالب الزرقاء

ـ ٤ ـ

اتحسس في الظلام
مفتاح الحياة
بينما الالم
والسعادة
يهبطان على سلالم الزمن

ـ ٥ ـ

نظر الي
وقال ...
بابا ...
اكتب قصيدة طويلة
طويلة ...
بطول الفقر
لتتمكن من شراء ..
بدلة فتوة لي

ـ ٦ ـ

غرفة تختنق
ومذياع الجيران يشن هجومه اليومي
فرش مبعثرة
مشاجب حبلى
اطفال يخفون غضبهم
تدور اسنانهم
بالخبز اليابس
باستيحاء فأرة شعرت بالخطر .
ماما ...

لا يوجد اي رغيف
عند جارتنا

- ٧ -

بهدوء ربط شريط
حذائه
ونظر الى السماء
لم ير
سوى ضفادع
تملأ الفضاء نقيقا

- ٨ -

تنكة ماء
بنصف ساعة من الزمن
تنكة ماء
بنصف ساعة اخرى
تنكة ماء ..
نصف ساعة
مضت ..
ومضى الطفل تحت العجلات
لم ينته الغسيل
ولاول مرة منذ الصباح
استقام ظهر الام
راقبت الطريق شاردة
من كوخ على اطراف المدينة

- ٩ -

الرياح الباردة

تلفح جسدك
والفقر .. يغني
لاطفالك ..
قبل النوم
والموت
في فمك سيكارة

- ١٠ -

ابتدأ البرد
يشطر الليل
الى نصفين
انه الخريف
انه الشتاء
انظر الى برميل
الوقود
وابصق ...
لان اصابعي
اوت الى نومها الشتائي
داخل جيوبي .

- ١١ -

تناولت صباحي
دون خبز
ولا ملح
ابتسمت
وغمزت اطفالي
وأنا .. اتمتم
كأنني ابتلع سكينا

كلوا ..
هذه نعمة ... !
يا الهي !
ماذا اجيبهم !
اذا سألوني
ولكن ... ممن .. ؟

— ١٢ —

بندورة ... تنزف
اشتريتها .. هكذا
دون وزن
ليرات خمس
تحمل صورة عامل
ثمن لحم
ونفايات خضار
لا يستطيع وصفها الا شاعر !
حملتها ...
لبالة اطفال
ثم تسألني لماذا
رقبتي عوجاء ؟

— ١٣ —

من الحياة
لم تزل بقية
مختبئة في كياني
وكلما حاولت
الكشف عنها

تبنح علي
كلاب الطريق .

— ١٤ —

تتعلق الحياة
مائلة على الاسلاك
حين تمسك يدي .. راتبي
بعد شهر طويل
الديون تخفي وجهي
في هذا الزمن الحامض ...
يدحرجني التعب اليك يا امرأتي
يا وطني
بلون شاحب
تسقط احمالي ...
في عينيك
الغارقتين بالاحلام
ابتسامة خضراء
وشفة تمسح فمي
الفك كاعصار
وادع فقري يسافر
في عمق انتظارك

٢٨/ ٨/ ١٩٧٨

كتب

فيصل حوراني. بير الشؤم . بيروت ، دار الكلمة ، ١٩٧٩ .

« إن ما يهم في الرؤية التاريخية ليس اعادة سرد الأحداث التاريخية الكبيرة ، بل الايقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث ، وما يهم هو أن نعيش ، مرة أخرى ، الدوافع الاجتماعية والانسانية التي أدت بهم الى أن يفكروا أو يشعروا ويتعرفوا كما فعلوا ذلك تماماً في الواقع التاريخي » .

لوكاش (الرواية التاريخية)

« حفر ذلك البئر رجل غريب الأطوار ، قدم إلى القرية من المدينة ، منذ سنوات عدة ... وشاع في القرية ان البيارة ستكون عجيبة بين العجائب ، وسيتم العمل فيها بالآلات ، آلة تسقي ، آلة تزرع ، وآله ... الخ وكان ذلك في حينه مبعث دهشة أهل القرية ..

« وبدأ الرجل مشروعه بحفر البئر .. وصارت حكاية الحفر قصة ، قال الفلاحون ان الماء لن يظهر ، وأن تلك ارادة الله ، وقال الرجل : سأخرج الماء . وطالت الحكاية حتى تكومت حول البئر تلال من الكلس والماء لا يظهر ... وتأكد اعتقاد الفلاحين بأن البئر مشؤوم ... شاع أن الرجل كافر ... وحين ظهر الماء ، آخر الأمر ، كان مالحاً لا ينفع لزرع أو ضرع ... وبقي من كل ذلك المشروع كومة الكلس التي ينتفع بها الفلاحون كلما احتاجوا طلاء دورهم ، والغموض الذي أحاط بالبقعة التي حفر بها البئر .. حتى صار يقال ان الجان يحلون كل ليلة بالمكان ... وما عاد أحد يجرؤ على أن يزور المكان في الليل ... وظل البئر الى ذلك خطراً يتحاشاه الرعيان ... وشاع ان رجلا وقع فيه مرة ، لم يقل أحد من هو ولا من اين قدم ، ولا في أي تاريخ وقعت الحادثة .

وهكذا ترون ان البئر قد استحق لأسباب قوية ، الاسم الذي أطلق عليه » .

يبدو لي ان هذا المقطع الموزع في ثلاث صفحات (١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧) يختصر رواية فيصل حوراني « بير الشوم » فهل أراد فيصل حوراني أن ينقل في هذا المقطع حكاية من حكايا الفلاحين في فلسطين ؟ لا أظن ذلك وعن سوءنية ، لأن الكاتب يروي الحكاية ليس كما ترويها احدى الجدات العجائز لحفيدها وهي تبحث عن القمل في شعره ، بل ان الراوي أو الكاتب مثقف له توجه سياسي ، وأيديولوجي ، كما أنه في تقنيته الكتابية تطبيقي يبحث عن النموذج التي يلبسه قناعاته الأيديولوجية . وكي لا نبتعد كثيراً وسنعود الى مقطعنا الآنف الذكر لاحقاً . سأحاول تحديد زمان ومكان الحدث الرواية ، ثم شخصياتها ، والاسقاطات الأيديولوجية التي ألبسها اياها الكاتب ، وقد يكون أصاب في بعضها وأخطأ في الآخر وارتبك مع الغير . لكن عالم روايته مدروس بعناية المهندس ، والهنات فيها لا تبدو عيوباً فجة للوهلة الأولى ، فقد استطاع فيصل حوراني باستخدام شخصية خارجية ، شاهد راوي ، الخروج من أكثر من مطب كان يمكن ان يتجرجر فيه خلف النماذج التي ركبها ، وفي استخدام هذه الشخصية كان ثعلباً أيضاً متستراً بواقعية نعرفها في حكايات قرانا ورواتها الذين يتركون ابطالهم يقطعون الفيافي والقفار غالباً ويعودون بنا الى المضارب حيث (السلطان حسن ، أو الجازية ، أو عبلة الخ) .

الحدث ومكانه في رواية بير الشؤم :

جغرافياً . تقع أحداث الرواية في فلسطين (بلد الكاتب) ، ومن فلسطين في قراها الريفية ، أي اننا في وسط فلاحي . زمن الحدث ١٩٤٨ . وغني عن التعريف عام النكبة هذا الذي انتهى بتأسيس دولة اسرائيل في أراضي فلسطين ، وتشريد أهلها منها ، بغض النظر عن انتماءاتهم الاجتماعية حيث تساووا في اللجوء والاقامة في المخيمات . والرواية تؤرخ واقع احدى القرى في قلب

تلك الأحداث ، لذا جاءت الرواية مشكلة لوحة مؤطرة قلبها القرية واطارها الحدث . وحاول فيصل أن يجعل القرية نموذجاً ، وأن ما أصابها أصاب غيرها ، حتى تتوازن مع الحدث ، وأتقن ذلك الى حد . كيف حقق ذلك ؟ لقد اعتمد ملامح عامة في كل القرى . واختار نماذج أيضاً عامة في كل القرى ، كما حدد جغرافيا عامة تجدها في كل قرية ، (المسجد ، البئر التي تستقي منه القرية الماء ، حقول القمح ، دكان القرية ، ساحتها الخ ذلك) .

أبطال الرواية :

يصعب القول ان للرواية ابطالا ، بل هناك نماذج تكبر أو تصغر تبعاً للموقع الذي تحتله في الحدث ، وبهذا المعنى يصيغ فيصل حوراني مأساة هي أقرب الى عالم المسرح منها الى عالم الرواية . إذ يتحول الناس جميعهم أبطالا ، وجميعهم مهزوزون ، وينتهون الى حيث يخافون ، إلى بير الشؤم ، الى المجزرة التي ظل المختار وليد أبو حامد يدرأها عن القرية باثبات ولائه للحكام (الأتراك ، ثم الانكليز ،وفيما بعد الصهاينة..) لكن مع الصهاينة اختلف الأمر ، لأنهم ليسوا كالأتراك ، ومشروعهم في فلسطين لا يشبه مشروع الانكليز « قال شعبان : اسمع وانت سيد العارفين ومتزعلش ، كلهم بدهم بلادنا ، هنول ولا هنول صح ولا لأ ، حد يسلم سلاحه لعدوه ، وبيقعد تحت رحمته ؟ » : والمختار شخصية تعرفها القرى كوجه من وجوهها يميزه علاقاته بالسلطة وبقدر ما تكون هذه العلاقات قوية بقدر ما تتسع مكانة المختار في عيون أهل قريته .

الشخصيات الموازية في القرية لشخصية المختار في رواية بير الشؤم ثلاثة شخصيات ان لم نقل أربعة ، وقد جهد فيصل حوراني بتأنية السياسي ، ليصل في لحظة من الرواية الى تقديم الزعامة البديلة ، هذه الشخصية هي شعبان سائق الشاحنة ، الذي هجر القرية الى يافا بحثاً عن العمل وعاد الى شاحنته ينقل أهلها وبضائعهم بين القرية والمدينة وبالعكس ، فلماذا جعل فيصل حوراني من شعبان شخصية الأولى في موازاة المختار بعد أن دفع بالشخصيتين الأخرتين الى مواجهة المختار « الشيخ حسن والشاب المتهور جواد » .

إن لفيصل ذهنيته الأيديولوجية التي تقول بأهلية العمال المدنيين للقيادة ، ومشروع الثورة في الريف يجب ان يتطعم بعمال ذوي أصل ريفي ، صقلتهم المدينة . لذا وقع اختيار فيصل على شعبان ، وهو الوحيد الذي تجرأ على المختار وضربه أمام جمع القرية « لكن حنق شعبان كان قد بلغ ذروته ، وسيطر على كل عضلة في جسده فوترها ، ووجد نفسه يمسك المختار من ذراعيه كليهما ويوقف دورانه ، ويرميه على الأرض ، ويرفصه بقدمين تناوبتاه بكل ما آتاه الحنق من قوة ، وتصايح الرجال وأمسكوا بشعبان حتى سيطروا عليه ، ونحوه عن المختار ، وأقبل آخرون على المختار المرمي على الأرض فأنهضوه وأخذوا يسوون ملابسه ويهدئونه .

كف المختار عن الصياح ونهض ، ولزم الصمت ، وأخذ يدير ناظريه في الواقفين حوله ، يعاتبهم بعينين اندلق منهما احساسه بالمهانه ... وطنت في رأسه أسئلة تلسعه لسعاً ، كيف وصلت الأمور الى هذا الحد ؟ أي خطأ ارتكبه وهو الحريص على سلامة القرية ، أين ذهبت مهابته ؟ وهل يستطيع ان يرفع رأسه بعد الآن بين الفلاحين » ؟ لكن المختار يرفض ان يرى في شعبان « ابن فتحية نده » « وقفزت الى مخيلته صورة أبي جهاد ، انه الشيطان الذي أفسد عليه الناس ، لقد لعب في عقولهم وجعلهم ينسون مقامات الكبار وينسون حتى اشغالهم ، وما أسهل أن يترك الناس الحصاد ويتبعون أول مفزع حاملين البواريد بدل المناجل ، وشعبان نسخة من أبي جهاد وهو مثله لا يعرف قيمة الأرض . أبو جهاد ترك الأرض لاخوته ، وشعبان تشرد في المدينة ... وكلاهما نسي أخلاق القرية وعاداتها والغريب ان الفلاحين يستجيبون لها ولا يسمعون كلامه هو ، لكنهم سيسمعونه حين تحل بهم الكارثة .. » .

أما الشخصية الثانية التي وضعها فيصل في مواجهة المختار فهي شخصية الشيخ حسن امام القرية ، ولم يطل الكاتب في روايته مناقشة شؤون هذه الشخصية فقد أقعدها عن العمل بعد المعركة الأولى « نجدة بيت دارس ، وظلت طوال صفحات الرواية شخصية تعاني الألم ، ولا تموت . وقد رمز الكاتب بذلك الى عجز الايديولوجية الدينية عن أداء دور رئيسي ، ومقدار غبائها وعجزها « سأل الشيخ موجهاً سؤاله للجميع :

– ذخيرتكو بتكفي

ورد صوت :

– معانا شوية .
وعقب آخر :
– معندناش قنابل
وفكر هو : ما باليد حيلة ، ثم تساءل :
– بنسلم حالنا ؟
قال شعبان ووافقه الآخرون :
– الانجليز بيشنقوا المجاهدين « واذا وقعنا في ايديه الهاجاناه بينبحونا نبح النعاج .
هتف الشيخ فجأة .
– شعبان ع الشاحنة عالشاحنة يا رجال توكلوا على الله .
وقفز بخفة مفاجئة ، الى مقعده بجانب السائق » .

أما الشخصية الثالثة فهي شخصية جواد الشاب النزق ويرمز به فيصل الى المغامرة السياسية ككل ، وهي مدانة من الأطراف الأخرى ، « قاطعه شعبان : اسمع يا مختار ، فش فينا واحد راضي عن طيش جواد ، الدغري ، بس انت يا مختار بخبيش عليك زوتها » وفي عملية الهجوم على معسكر الصرار يوضح الكاتب مؤدي المغامرة التي أودت بحياة صديقة جواد بارعة « وميز صوت قائد مجموعته وهو يصرخ بأقصى قوته : أيه أنت يا جواد عليهم فأرخى لرصاص ، رشاشه العنان ، دفقات سريعة متتابعة ، لم يلبث بعدها الرشاش ان صمت فقد فرغ جرار الفشل واتاه صوت قائد المجموعة ، مستحثا محنقا ثم شاتما ، كان صندوق الذخيرة هناك حيث ترك بارعة واحتار فيما يمكن ان يعمله » لكن فيصل لا يقدم هذا النموذج على انه مكروه ، فهو وان عارضه الجميع، إلا انهم معجبون بشجاعته وجرأته لذا فقد قدم فيصل في شخصية جواد شخصية محبوبة ، لها مع ما بها من علل ايجابياتها . وطيش جواد هذا هو الذي انقذ حسان الطفل عندما هرب من مجزرة البير . « أما جواد فقد هرب عامداً ، حفزته حركة حسان حين افلت ، ووجد في يديه قوة لا يعرف من اين واتته ، فقطع رباط يديه وانطلق يجري وراء حسان حتى ادركه ، ولأمر ما تعثر حسان وسقط في اللحظة التي ادركه فيها ، فحمله جواد معطياً ظهره للرصاص كي يحمي حسان ، واتته الطلقة وهو يحمله فسار به خطوات اخرى وهو مصاب ، حتى أتته طلقة اخرى فأفلتت يداه حسان ، وأشار له كي ينحدر نحو الوادي ، وبقي جسد جواد ممدداً فوق الأرض » .

الشخصية الرابعة التي ترى لها حضوراً دائماً في روايه فيصل هي شخصية الحاج عبد العزيز الذي خسر ابنه في أول معركة دخلتها القرية ، وهو قريب من المختار لكنه متعاون مع شعبان ، ويحبه ويعتمد عليه ابو جهاد ، لكن هذه الشخصية رغم احساسك بوجودها على مدار الرواية فانك لا تستطيع تحديد هوية لها ، واعتقد أن سبب ذلك هو عدم وجود لمثل هذه الشخصيات دور في حياتنا السياسية الراهنة ، لذا لم يستطع فيصل ، بل عجز عن اعطائها دوراً في روايته ، وتركها تبدو زائدة لا معنى لها ، مع انه حاول منذ البدء تسليط الضوء على الحاج عبد العزيز بموت ابنه ، وقيام قيادة الثورة بالتعزية بأول شهيد من القرية له علاقة حميمة بالحاج .

بارعة شخصية اكثر تميزاً في الرواية ، وهي تجسد مأساة المرأة الاجتماعي في وطننا ، وقد زاد فيصل في حدة تلوين شخصيتها ، وأكمل عندما جعلها قلب المأساة في عملية معسكر الصرار ، وطريقة الدفن التي تمت لها ، مشيراً بذلك الى قسوة الأحكام الاجتماعية التي يصعب على المجتمعات الريفية التنازل عنها « اخترقت الشاحنة الهازجة أزقة القرية حتى وصلت مسجدها ، حيث سجي الشهداء بألبستهم الدامية ، فوق حصير الجامع وبقي جثمان بارعة وحده في الشاحنة .. » .

أما ما تبقى من شخصيات أهل القرية فتدخل في الاطار الذي يحدد ويلون الشخصيات المركزية في الرواية التي سبق ذكرها . وبتوسيع مركز واطار الرواية على مستوى فلسطين ككل في احداث ١٩٤٨ نرى ان ابي جهاد هو الشخصية المحورية العامة والمتميزة ، في قيادة الثورة الفلسطينية ، وهذا أيضا كما يقدم الكاتب في روايته شخصية ريفية المنبت ، مدينية الاعداد « فهو قد تخلى عن الأرض لأخوته » وهذه الشخصية تؤكد ثانية قصدية فيصل حوراني على الاعتبار الذي سبق تحديده في بداية المقال ، وحول شخصية ابـي جهـاد ترتسم شخصيات أخرى شاركت في الثورة الفلسطينية « القائد الأستاذ سليم المقيم في القدس ، الضابط المصري ، ضابط جيش الانقاذ السوري الخ .. » .

وبأسلوب متميز تمكن فيصل في روايته من تحريك شخصياته في اطار الحدث ، جاعلا منها نماذج عامة تخرج من اطار المكان – القرية ، وتكاد تفلت وان في حدود من اطار الزمان ١٩٤٨ ، الذي تحدد زمناً للرواية ،

خاصة إذا حوكمت الرواية كعمل سياسي ، أما على الجانب الفني فقد حقق فيصل بأسلوبه الذي يمزج بين العامية « حوار الأشخاص » والفصحى « السرد » ، ورغم محدودية انتشار اللهجة الفلسطينية ، حقق فيصل تواصلا بين قارئه وشخصيات روايته ، تحس بالدمعة تطفر الى عينيك أحيانا حزنا على بارعة وتشعر بالضحك في اعماقك من عزمي الدحلول . ورغم محدودية عالم الرواية : اذا قارناه بعظمة حدث ١٩٤٨ التاريخي ، فقد استطاع فيصل تحديد مفاصل مأساة النكبة في السلوك السياسي والاجتماعي لأبطاله الذين كانوا ابطالا مأساويين في ذلك الحدث . كان اللون الرمادي طاغياً في الرواية . وفي مساحة الرمادي العامة تتلمس الق الألوان الأخرى التي ما زالت بين الحين والآخر تدفع بالشعب الفلسطيني الى السطح في حياة العرب السياسية .

أحمد شاهين

الحزب الشيوعي الهندي والحزب الشيوعي السيلاني .
تجربة التحالف مع البرجوازية الوطنية (مراجعة للاخطاء ونقد ذاتي) .
ترجمة فالح عبد الجبار
دار ابن خلدون ، سلسلة دليل المناضل . ايار ١٩٧٩ .

يقدم الكتاب وثائق اقرها **الحزب الشيوعي الهندي** في مؤتمره الحادي عشر (كانون الثاني ١٩٧٧) ووثائق اخرى اقرها **الحزب الشيوعي في سري لانكا** في مؤتمره العاشر (اذار ١٩٧٨) . المؤتمران جاءا بعد الهزيمة الانتخابية التي تعرض لها الحزبين ، في الانتخابات البرلمانية التي جرت في البلدين ، عام ١٩٧٧ .

الانتخابات البرلمانية جاءت بنتائج متشابهة ، ان لم تكن متطابقة ، في البلدين . فقد تعرض **حزب المؤتمر الهندي** ، بزعامة **انديرا غاندي** ، والحاكم لمدة ٣٠ عاما لسقوط مروع ، كما شهد حزب **الحرية في سري لانكا** ، بزعامة السيدة **باندرانايكا** ، نفس المصير .

ولعل ما هو اهم من سقوط البرجوازية الوطنية من السلطة ، ما مثلته هذه الانتخابات من هزيمة للاحزاب الشيوعية بشكل خاص واليسار بشكل عام في البلدين .

فقد خسر الحزب الشيوعي الهندي نسبة كبيرة من مقاعده في البرلمان في حين خسر الحزب الشيوعي في **سري لانكا** كافة المقاعد التي كان يحتلها (في الوقت ذاته تعرض الحزب الشيوعي في بنغلاديش الى حملة ابادة واسعة) .

هذه الاحداث اثارت داخل الاحزاب الشيوعية في شبه (القارة الهندية ، حركة واسعة من الجدل والمراجعة ، يتضمن الكتاب (تجربة التحالف مع البرجوازية الوطنية) وثائق هامة لتعريف القارىء العربي بنتائج هذه المراجعة . فالوثائق تقدم تحليلا لاهم المعضلات النظرية والعملية لموضوعة التحالف مع البرجوازية الوطنية كما تتضمن تحليلا لسمات البرجوازية الوطنية في كل من الهندوسري لانكا .

اهمية الكتاب للاحزاب الشيوعية والقوى الديمقراطية العربية تأتي في الاستخلاصات والدروس التي خرج بها الحزبان مع مراجعتهما لتجربة التحالف مع البرجوازية الوطنية وفي بناء الجبهة الوطنية ، وابرز هذه الاستخلاصات المشتركة :

اولا : **التراجع المتواصل للبرجوازية الوطنية في مواجهة الامبريالية** : فكلا الحزبين ، في تشخيصه للبرجوازية الوطنية الحاكمة ، يؤكد على التحولات السلبية التي طرأت على البرجوازية الوطنية خلال الثلاثين عاما الاخيرة ، فقد تضاءلت طاقاتها المعادية للامبريالية في الستينات عما كانت عليه في الخمسينات (فترة مواجهة الاستعمار المباشر) وتضاءلت اكثر في السبعينات. ويعود هذا التراجع في مواقع البرجوازية الوطنيـــة

الى الطابع الطبقي للخط السياسي التي سارت عليه احزاب البرجوازية وخاصة في تطويرها ودعمها للعلاقات الرأسمالية وانفتاحها المتزايد على الامبريالية ووكالاتها المالية (صندوق النقد الدولي) والتعون مع الشركات متعددة الجنسية وتقديم التسهيلات للراسمال الاجنبي الخاص ، وفي الوقت ذاته اتباع سياسة اضعاف وضرب القطاع العام ، وشن هجوم على الجماهير الكادحة ومستويات معيشهـا . وتقـويض المكتسبـات الديمقراطية . ففي كلا البلدين جرت عشية الانتخابات انشقاقات داخل احزاب البرجوازية تمكنت الاجنحة اليمينية الرجعية من استلام السلطة وباشرت بعدها بخط توطيد وتعميق العلاقة مع الامبريالية وضرب وتقويض مكتسبات الجماهير الديمقراطية وممارسة الارهاب والقمع ضد الاحزاب التقدمية واستخدام سلاح الطائفية السام .

ويستخلص كل من الحزبين الشيوعيين من هذا التحليل ، بعجز البرجوازية الوطنية عن استكمال مهمات مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وضرورات المباشرة في نسج التحالف الديمقراطي بقيادة قوى اليسار لانجاز هذه المهمة .

ويؤكد التشخيص الوارد في وثائق الحزبين بان البرجوازية الوطنية تلجأ في المراحل الاولية من نموها ، ومستفيدة من هيمنتها على الدولة والمنافع الاقتصادية التي تتيحها السلطة، الى اتباع سياسات حماية للاقتصاد الوطني (قيود الاستيراد ، اشراف الدولة على صناعة بدائل الاستيراد ، تقديم القروض بفوائد منخفضة ..) وتقوية القطاع العام . الا انها وبعد استكمال « التراكم الاولي » تلجأ الى تفكيك القطاع العام او حصره في مجالات لا تشكل عبئا عليها (الهياكل الارتكازية للاقتصاد بشكل خاص) . وتبدأ في الوقت ذاته ، وفي محاولة لحل بعض ازماتها الاقتصادية ، الى الانفتاح على الامبريالية وربط الاقتصاد الوطني بالسوق الامبريالية وتشجيع تغلغل الراسمال الاجنبي وفتح المجال امام الشركات متعددة الجنسية .

كما تشدد الوثائق على ان وجود سياسة خارجية معادية للامبريالية للبرجوازية الوطنية ليست مقرونا بوجود سياسة تقدمية داخلية ، وانه لا يمكن صيانة السياسة الخارجية التقدمية دون سياسة داخلية تقدمية . فالميول الديكتاتورية التسلطية للبرجوازية تأخذ في البروز وتشتد ، رغم وجود تقاليد ديمقراطية برلمانية ، عند احتدام الازمة الرأسمالية ومع اشتداد وتطور نضال الطبقة العاملة وحلفائها . كمـا وان التحـولات في السياسة الخارجية تبدأ مع بروز الازمة الرأسمالية الداخلية وبروز استعداد البرجوازية لتقديم تنـازلات للاحتكارات والشركات متعددة الجنسية .

ثانيا : ضرورة واولوية بناء الجبهـة اليساريـة الديمقراطية :

يشير الحزبان في معرض تقييم التجربة والاخطاء الى المبالغة التي وقعا فيها في تقدير الامكانيات التقدمية للبرجوازية والمبالغة في تقدير قدرة الحزب الشيوعي والقوى الديمقراطية الاخرى في احـداث انعطافـات ايجابية داخل صفوف البرجوازية (تقويـة الجنـاح المعادي للامبريالية) . ويؤكد الحزب الشيوعي الهندي بشكل خاص ، على الفهم الميكانيكي الذي تم فيه معالجة العلاقة بين السياسة الخارجية التقدمية والوضع الداخلي وتأثيرها عليه ، وعلى عدم ايلائه الأولوية الى مكافحة السياسات الداخلية المناهضة للجماهير التي انتهجتها حكومة انديرا غاندي .

كما ويؤكد الحزب الشيوعي في **سري لانكا** ان تغليبه للتقييم الذاتي على التحليل الطبقي العلمي (الانحراف اليميني في سياسـة الحـزب) ادى ليس فقـط الى استصغاره لقوة البرجوازية الوطنية في حكومة الجبهة المتحدة ، ومغالاته في تقدير دور القـوى اليساريـة والراديكالية فحسب ، بل وايضا الى اعتماد المناورات على مستوى الحكومة والهيئات العليا للجبهة المتحدة بدلا من الاعتماد على تعبئة الجماهير استنادا للسياسات التقدمية التي تطرحها القوى اليسارية والراديكالية .

ان هذا الانحراف اليميني في سياسة الحزبين هو وراء عدم ايلاء الاولوية الى بناء الجبهة اليسارية الديمقراطية استنادا الى تحالف العمال والفلاحين كمحور وقاعدة للتحالف الجبهوي اليساري الديمقراطي .

ويركز الحزب الشيوعي في **سري لانكا** على اهمية البدء ببناء الجبهة اليسارية المتحدة ، كتعبير عن وحدة القوى اليسارية وصياغة برنامج مشترك يحدد الاهداف الرئيسية لعمل هذه الجبهة والعمل على تحشيد وتوحيد وقيادة القوى الديمقراطية الاخرى في النضال لاستكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية .

كما تؤكد مراجعة الحزبين على فشلهما مرارا في

الاحتفاظ بهويتهما الخاصة المتميزة واقتران الحزبين ، في فترات حاسمة ، باذهان الجماهير بالسياسـات الخاطئة لقادة الاحزاب البرجوازية الحاكمة . فالحزب الشيوعي الهندي اعلن على سبيل المثال ، انطلاقا من فهم خاطىء لاهداف حكومة انديرا غاندي تأييده لاعلان حالة الطوارىء التي استخدمتها الحكومة لشن هجوم على مكتسبات الطبقـة الحاكمـة وضرب الحريات الديمقراطية في البلد .

وفي **سري لانكا** اعتبر الحزب ان مهمة الدفـاع والحفاظ على حكومة الجبهة المتحدة المهمة المركزية في كافة المراحل حتى عند بروز التناقضات والتصادمات بين حكومة الجبهة المتحدة والحركة الجماهيرية . وهكذا تأخر الحزب كثيرا في عملية البدء بالانفصال عن الحكومة وجاء تشكيل الجبهة اليسارية المتحدة متأخرا كثيرا .

ومن هنا اهمية استخلاص الحزبين بضرورة اتقان تطبيق تكتيك « الوحدة والصراع » والاستعداد للانتقال من تكتيك الى اخر في اللحظة المناسبة . واهمية طرح البديل السياسي وتحشيد وجمهرة اوسع القـوى اليساريـة والديمقراطية كبديل للسياسة التي تمارسها البرجوازية والنضال بين صفوف الجماهير وتعبئتها حول البديل الثوري .

ان كتاب **تجربة التحالف مع البرجوازية الوطنية** يستحق المطالعة والدراسة من قبل كافة التقدميين والثوريين العرب لما فيه من دروس واستخلاصات هامة ليسار حركة التحرر العربي ، خاصة في ظل المراجعات الجارية لتجارب الجبهات الوطنية والتقدمية في عدد من الاقطار العربية .

جميل هلال

بيان

انعقدت في صوفيا ، في الفترة من ٧ ــ ١١/١٠/٩٧٩ ، ندوة للتضامن مع الشعب الفلسطيني . وفيما يلي البيان الختامي الذي صدر عن هذه الندوة :

•••

بدعوة من المنظمة الدولية للصحفيين واتحاد الصحفيين البلغار ، وبالتعاون مع الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين عقد ، ما بين ٧ ــ ١١ من الشهر الحالي (تشرين الأول) ، في صوفيا ، عاصمة جمهورية بلغاريا الشعبية ، ندوة لدعم القضية العادلة للشعب الفلسطيني .

حضر الندوة ممثلون عن ستة عشر منظمة صحافية عالمية من أوروبا والأقطار العربية ، وممثلون عن المنظمة الدولية للصحافيين ، واتحاد الصحفيين العرب ، وكان بين الحضور رئيس المنظمة الدولية للصحفيين ، **البروفسور كارل نورد تسترنغ** ، ورئيس اتحاد الصحفيين البلغار ، والأمين العام لاتحاد الصحفيين الفلسطينيين ، **ناجي علوش** ، ونائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب ، **الدكتور صابر فلحوط** ، وآخرون .

خلال الاجتماعات التي عقدتها اثنتان من لجان العمل المهتمة بالقضايا الاجتماعية والسياسية للندوة ، تم التركيز على أنه من واجب جميع الصحفيين الديمقراطيين والتقدميين أن يعملوا على تحريك الرأي العام العالمي للدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، في مواجهة جميع المخططات الأمبريالية ، ولأزالة القناع عن المخاطر التي ستترتب على **معاهدة كامب دايفيد** ، والمعاهدة المنفردة « المصرية الاسرائيلية » ، ولأدانة ما يسمى بالحكم الذاتي ، الذي تخطط له كل من مصر « واسرائيل » ، والقضاء على الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، من أجل إعطاء صفة للاحتلال « الاسرائيلي » للضفة الغربية وقطاع غزة .

وقد أدان المشاركون، بشدة ، الهجمات الاسرائيلية المتتابعة على جنوب لبنان ، وحيوا الوقفة البطولية للشعب اللبناني ، بقيادة الحركة الوطنية اللبنانية ، في مواجهة العدوان الذي تدعمه الامبريالية العالمية ، من أجل جر لبنان الى **معاهدات كامب ديفيد** .

كما عبر المشاركون عن تضامنهم مع الصحافيين التقدميين اللبنانيين ، الذين قدموا العديد من الشهداء في كفاحهم ضد « التوسع الاسرائيلي » ، الذي يهدف الى القضاء على وحدة لبنان وسيادته . كما أعلنوا عن تضامنهم مع السجناء السياسيين الفلسطينيين ، ومع الصحفيين المصريين المضطهدين في بلادهم .

وقد ناشد الصحفيون المجتمعون جميع الصحفيين من جميع القارات وجميع المنظمات الصحافية ، المحلية منها والعالمية ، وجميع المسؤولين المهتمين بقضايا العالم أن يدعموا الصحفيين الفلسطينيين والشعب الفلسطيني في كفاحهم من أجل استعادة حقوقهم الوطنية المشروعة ، بما في ذلك حقهم في الرجوع الى وطنهم ، وحقهم في السيادة دون أي تدخل خارجي وكذلك حقهم في اقامة دولتهم الوطنية المستقلة ، تحت قيادة **منظمة التحرير الفلسطينية** ، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . وأكد المشاركون أن الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية هي حليف طبيعي وثابت للشعب العربي ولحركات التحرر الوطني في جميع أنحاء العالم .

وقد ناقش المجتمعون في جلسات عملهم التوصيات التي سيقدمونها الى المنظمات الصحفية والمحلية والعالمية ، من أجل إيجاد أفضل الأشكال والوسائل لتقديم الدعم والمساعدة للشعب الفلسطيني .

وقد أوليت المقترحات التالية أهمية خاصة :

١ ــ تأسيس فريق متابعة من المتخصصين ، يضم ممثلين عن المنظمة الدولية للصحفيين وللاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين واتحاد الصحفيين البلغار ، يكون مفتوحا لكل من يمكن أن يساعد في تنفيذ التوصيات التي ستصدر عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الدولية للصحافيين في الوقت المناسب .

٢ ــ تنظيم ندوات عالمية مماثلة في دول اشتراكية حول مواضيع تتعلق بالقضية الفلسطينية .

٣ ــ عقد اتفاقات ثنائية بين **المنظمة الدولية للصحفيين واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .**

٤ ــ تنظيم مسابقات محلية وعالمية حول أفضل عمل صحفي عن القضية الفلسطينية ، على ان تنشر مقتطفات من العمل المختار .

٥ ــ تكريس الأول من كانون الثاني من كل عام يوم فلسطيني في الصحافة العالمية .

وقد حيا المشاركون الحزب والدولة في جمهورية بلغاريا الشعبية مقدمين شكرهم الجزيل للاستقبال الحار الذي لقوه والاهتمام الذي أحيطوا به .

الموقف العربي

سياسية فكرية شهرية

تعني بقضايا القومية العربية على طريق الوحدة

المشرف على التحرير

عبد العظيم مناف

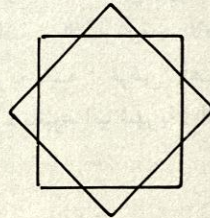
تصدر عن دار الموقف العربي للصحافة والنشر والتوزيع

القاهرة ــ ٣٨ شارع القصد العيني . ت : ٢٣٢٥١ .

آفـــاق
مجلة اتحاد كتاب المغرب

تنشر الانتاج الفكري والأدبي الذي يشكل الطليعة الثقافية الفاعلة بالمغرب .

يساهم فيها أعضاء اتحاد كتاب المغرب



عنوان المجلة : زنقة سوسه ــ الرباط
5
المغرب

قضايا عربية

رئيس التحرير : د . عبدالوهاب الكيالي

شهـرية فكرية مفتوحـة لمختلف الاتجاهـات التقدمية

سلسلة من الأعداد الخاصة
حول
الوحدة العربية وقضايا المجتمع العربي
حزيران (يونيو) ـ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩

يكتب فيها أبرز الكتاب والمفكرين العرب من كافة اقطار الوطن العربي ـ تعالج اهم المشكلات والقضايا المعاصرة للامة العربية بروح الالتزام والبحث العلمي وفي مختلف المواضيع : السياسية ، الاقتصـادية ، التـاريخية ، الادبية ، الثقـافية والفنية ـ أبـواب شهـرية ثابتـة : عرض أهم الكتب ـ فن تشكيلي ـ سينما ـ وثائق ـ ببليوغرافيا شهرية : القضايا العربية في الدوريات العربية .

رئيس التحرير الزائر : د . أنيس صايغ

المراسـلات : ماهـر الـكيالي ـ ص . ب . ٥٤٦٠
بيروت/ لبنان العنوان البرقي : موكيالي ـ ت : ٣١٢١٥٦ .



بيروت لبنان – ص . ب : ٣٠٧٥ تلفون ٣١٦٠٣١

الثمن : ٥ ليرات لبنانية